الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم التاريخ

التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب الأقصى في عهد الدايات ومن عاصرهم من سلاطين المغرب الأقصى (1081-1246هـ /1671-1830م)

مذكرة مكملة ومقدمة لنيل شهادة الماجستير في تخصص التاريخ الحديث .

إعداد الطالب :

أحـــمد بن يمينة

إشراف الأستاذ الدكتور:

أ.د عمار بن خروف

لجنة المناقشة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د مختار حساني	جامعة الجزائر 2	رئيسا
أ.د عمار بن خروف	جامعة الجزائر 2	مشرفا و مقررا
أ.دة فلة القشاعي موساوي	جامعة الجزائر 2	عضوا مناشا
أ.د دحماني توفيق	جامعة الجزائر 2	عضوا مناشا

السنة الجامعية 1438-1439هـ/ 2017-2018م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم التاريخ

التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب الأقصى في عهد الدايات ومن عاصرهم من سلاطين المغرب الأقصى (1081-1246هـ /1671-1830م)

مذكرة مكملة ومقدمة لنيل شهادة الماجستير في تخصص التاريخ الحديث .

إعداد الطالب :

أحـــمد بن يمينة

إشراف الأستاذ الدكتور:

أ.د عمار بن خروف

لجنة المناقشة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د مختار حساني	جامعة الجزائر 2	رئيسا
أ.د عمار بن خروف	جامعة الجزائر 2	مشرفا و مقررا
أ.دة فلة القشاعي موساوي	جامعة الجزائر 2	عضوا مناشا
أ.د دحماني توفيق	جامعة الجزائر 2	عضوا مناشا

السنة الجامعية 1438-1439هـ/ 2017-2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير :

الحمد لله الذي منَّ علي بإتمام هذا البحث و أعانني على إنجازه فله الحمد كله كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه .

إنه لمن دواعي الأمانة والوفاء أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الفاضل . الأستاذ الدكتور عمار بن خروف الذي تحمل عبء الإشراف على رسالتي والذي كان لي نعم المعين في إعدادها فله مني جزيل الشكر والإمتنان على ما أفادني به من ملاحظات دقيقة ونصائح سديدة وهذا العمل مدين بالشكر و الإمتنان لمجموعة من الأساتذة الذين كان لهم الفضل في إخراجه إلى النور بعد الله سبحانه و تعالى.

والشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة ، الأساتذة الأفاضل وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور مختار حساني والأستاذة الدكتورة فلة القشاعي موساوي والأستاذ الدكتور توفيق دحماني على تفضلهم بقراءة هذه الرسالة و تقويمها و تصحيحها .

كما أشكر كل من ساهم في إعداد هذا البحث و لو بالكلمة الطيبة .
والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

إهـــــــــداء

أهـــدي ثمرة جهدي على تواضعه لكل من كانوا خير مُعين لي في إعداد هذا البحث ...

إلى من قال فيهما سبحانه وتعالى " وبالوالدين إحسانا".

إلى الوالدين حفظهما الله ورعاهما.

إلى الإخوة والأخوات.

إلى الإصدقاء والأحباب و الأصحاب.

إلى كل زملائي في العمل .

إلى كل من ساهم إعداد هذا البحث

فلهم جزيل الشكر و الإمتنان

قائمة المـــختـــصرات

1- باللغة العربية

تح:تحقيق

تخ:تخريج

تر:ترجمة

تع:تعليق

تق: تقديم

ج : جزء

د. و . م : ديوان المطبوعات الجامعية

ش. و . ن .ت : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع

ص : صفحة

ط : الطبعة

م . د .ت .م : مجلة الدراسات التاريخية المغربية .

م . و.ك : المؤسسة الوطنية للكتاب .

م. د .ت : مجلة الدراسات التاريخية

2- بالغة الفرنسية :

Ibid : Ibidem

Op , cit : Opera citato .

P : Page

R.A : Revue Africaine

R.H.M : Revue d'Histoire Maghrébine

T :Tome

مـــــقدمـــــــة

يُـعد التواصل الثقافي عاملاً مهم في تقدم الشعوب، ولا يمكن تصور شعب من الشعوب يبقى منكمشاً أو منعزلاً عن الأحداث التاريخية والتيارات الحضارية التي تلِم بغيره ولا سيما بجيرانه. وبالنظر في مختلف المراحل التاريخية نجد أن التواصل بين الجزائر والمغرب كان دوما بينهما قائماً في الفترات التاريخية المتلاحقة وفي مختلف المجالات. ولكننا سنقتصر في بحثنا على مجال واحد وهو التواصل في المجال الثقافي وفي فترة محددة هي 1671-1830م أي في طور الدايات حكام الجزائر ومن عاصرهم من سلاطين المغرب الأقصى.

دوافع إختيار الموضوع :

إن الإلمام بتاريخ بلد ما ، لم يعد يقتصر فقط على دراسة تاريخه السياسي و علاقاته السياسية مع مختلق البلدان ، بل تعدى ذلك إلى دراسة جوانب أخرى إقتصادية و إجتماعية و ثقافية مع ربط مختلف الأحداث مع بعضها البعض من أجل تقديم دراسة وافية شاملة له . وسنبحث فقط كما ذكرنا في مجال واحد هو التواصل الثقافي في الفترة المذكورة آنفاً.

و أهم الدوافع التي جعلتني أختار موضوع التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب ، نذكر منها :

1 - إهتمامي بالجانب الثقافي و التساؤلات الكثيرة حول علماء الجزائر و المغرب عامة و مجالات إهتماماتهم و آثارهم و التواصل بينهم في الفترة المدروسة .

2-نقص الدراسات التاريخية التي عالجت الجانب الثقافي في الجزائر و في المغرب الأقصى

3- ميلي إلى هذا النوع من الدراسات التاريخية و المتعلقة بالجانب الثقافي و البحث في هذا المركب الثقافي للأقطار المغاربية بشكل عام و الجزائر و المغرب بصفة خاصة .

4 -إن موضوع التواصل الثقافي يُعد من المواضيع التي تكشف عمق الروابط بين مجتمع واحد في البلدين مختلفين.

5- الغوص في التراث الثقافي للمنطقة و الذي يُكسبنا فهماً عميقاً لما يجمع لا يفرق بين المجتمع الواحد في البلدين .

6- كسب أدوات البحث و آلياته و التعامل مع مختلف المصادر و المراجع التي عالجت مسألة التواصل الثقافي .

7-تشجيع الأستاذ المشرف مما جعلني لا أتردد كثيراً في خوض غمار البحث في موضوع التواصل الثقافي ولا سيما أن الأستاذ المشرف متخصص في تناول حقل العلاقات بين البلدين، الجزائر والمغرب في الفترة الحديثة وفي مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

الإطار الزماني و المكاني للدراسة :

إن الفترة الزمنية المختارة للدراسة تمتد من 1081- 1246هـ/ 1671-1830م و هي بداية عهد الدايات في الجزائر العثمانية عام 1081هـ / 1671م إلى سقوط حكمهم فيها 1246هـ/1830م ، وهي الفترة التي كان فيها المغرب الأقصى تحت حكم الأشراف العلويين ومازال حتى الأن.

إشكالية الدراسة :

إن التواصل الثقافي عملية تفاعلية معقدة بين مجتمعين ، و هو يتم عبر قنوات رسمية أي بمقتضى الإتفاقيات التي تتم بين السلطات القابضة على السلطة في هذا البلد أو ذاك . كما يتم التواصل بين مجتمعين أو أكثر عبر طرق عفوية لا تتحكم فيها الإتفاقيات المبرمة بين الحكام.

ومن خلال ما تقدم نضع الإشكالية الأساسية المراد دراستها في هذه المذكرة:

كيف كان يتم التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب؟ وما مدى فعالية التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب؟ وإلى أي حد بلغت درجة التأثر والتأثير بين البلدين؟ وهل كان التواصل الثقافي بين علماء البلدين بشكل عفوي طبيعي أم تحكمت فيه مجموعة من العوامل؟

وتتفرع من هذه الإشكالية العامة عدة تساؤلات منها: **ماهي القواسم الثقافية المشتركة بين البلدين؟ إلى أي مدى أثرت السلطة الزمنية في البلدين في عملية التواصل الثقافي، بمعنى آخر هل شكل سقوط حكم الأسرة السعدية وقيام حكم الأسرة العلوية في المغرب الأقصى من جهة وبداية عهد الدايات في الجزائر العثمانية من جهة آخرى قطيعة ثقافية؟ وماهي مظاهر التواصل الثقافي بين البلدين؟ وما مدى حرية انتقال العلماء والفقهاء وطلبة العلم بين البلدين؟**

المنهج المتبع:

اتبعت في هذه الدراسة منهجين، الأول سردي حيث قمت بتتبع أهم الأحداث التاريخية التي شهدها البلدين في فترة موضوع البحث والأوضاع التي نجمت عنها. أما المنهج الآخر فهو تحليلي حيث ناقشت كل ما رأيت أنهُ يستحق المناقشة والتحليل محاولاً من وراء ذلك التوصل إلى استنتاجات وأفكار جديدة.

الخطة المتبعة في الدراسة :

للإجابة عن تلك الإشكالية و التساؤلات ، إعتمدت في موضوعي على خطة إشتملت على مدخل تمهيدي و ثلاثة فصول .

حاولت في المدخل تقديم لمحة **عامة حول التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب (1600-1671م).**

و جاء **الفصل الأول تحت عنوان الأوضاع السياسية و الثقافية في البلدين** ، و قسمناه إلى مبحثين أبرزنا في **المبحث الأول الوضع السياسي و الثقافي في الجزائر من بداية عهد الدايات إلى نجاح الغزو الفرنسي و سقوط البلاد 1246 هـ/ 1830م .**

و **جاء المبحث الثاني لدراسة الوضع السياسي في المغرب الأقصى 1082هـ /1670 م إلى غاية الغزو الفرنسي للجزائر 1246هـ/ 1830م** ، ذلك أن هذا الحدث أثر على المنطقة المغاربية بشكل كبير ثم إنتقلنا إلى معالجة الوضع الثقافي في المغرب الأقصى .

أما الفصل الثاني فقد خصصته لدراسة عوامل التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب الأقصى و قسمتهُ إلى مبحثين .

المبحث الأول عالجت فيه القواسم الثقافية المشتركة بين البلدين من خلال دراسة البنية الجغرافية و الطبيعية في االبلدين و البنية البشرية ثم إنتقلت إلى تحديد أهمية العامل الديني في توثيق التواصل الثقافي ثم إستعرضنا المؤسسات الثقافية في البلدين و دور حكام البلدين في التواصل الثقافي .

و درسنا في **المبحث الثاني أهم مراكز التواصل الثقافي في البلدين** .

و جاء الفصل الأخير تحت عنوان **مظاهر التواصل الثقافي بين البلدين** . و قسمناه إلى ثلاثة مباحث عالجنا في **المبحث الأول الإجازات العلمية المتبادلة بين علماء البلدين** و التي قدمت لنا عرضاً واسعاً لطبيعة العلوم و المعرفة و أهم علماء و شيوخ و فقهاء في البلدين .

و إنتقلنا في **المبحث الثاني إلى دراسة الرحلات و الهجرات على إختلافاتها في الإتجاهين** .وتطرقنا في **المبحث الثالث إلى المراسلات العلمية المتبادلة بينهما ، ثم إستعرضنا أهم الكتب و المصنفات التي راجت في تلك الفترة** .

و ختمنا المذكرة بخاتمة حتوت على أبرز النتائج التي توصلنا إليها و أتبعنا الخاتمة بملاحق ضمت نسخ لبعض المخطوطات التي عالجناها.

التعريف بأهم المصادر و المراجع المعتمدة في الدراسة :

1- **المصادر** : إعتمدت على عدد من المصادر المخطوطة المطبوعة و من أهمها مايلي :

أ –المصادر المخطوطة التي أفادتني نذكر:

- الناصري أبوراس: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار. مخطوطة في المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 1632 . أفادني في دراسة الوضع الثقافي في الجزائر .
- الجامعي عبد الرحمن : شرح أرجوزة الحفناوي في فتح مدينة وهران. مخطوطة بمكتبة عبد العزيز العامة ، الرباط .تتبعت هذا الرحالة المغربي في مختلف الحواضر الثقافية في الجزائر .

ب–ومن أهم المصادر المطبوعة:

- " **تقييدات إبن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها** " لإبن المفتي بن رجب شاوش و،و رغم ضياع النسخة الأصلية أعاد " فارس كعوان " تجميع نصوصه التي نُشرت في عدد من الكتب و المجلات فجزء مترجم عن النص الذي نشره " دفان " في المجلة الأسيوية 1922 م وقسم آخر ماخوذ من النص الذي نشرهُ نور الدين عبد القادر في كتابه " صفحات في تاريخ مدينة الجزائر "و ديفلوكس في المجلة الإفريقية و عليه فقد أعاد الباحث الروح إلى الكتاب والذي

يُعد مصدرا يتناول علماء مدينة الجزائرفي العهد العثماني بحيث ترجم للعلماء الذين تولوا الإفتاء المالكي و الحنفي في القرن 11هـ / 17م .

- " **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية** للشيخ عبد الكريم الفكون، حققهُ أبو القاسم سعد الله، شمل هذا المصدر على تراجم لعلماء وأعيان مدينة قسنطينة، صور لنا الحياة الثقافية والفكرية في مدينة قسنطينة.
- " **الدررالمصونة في علماء و صُلحاء بونة** " للشيخ أحمد بن قاسم البوني ، هو مصدر نظمي يشير إلى علماء المدينة دون التوسع في تقديم ترجمة لهم .
- " **فتح الإله و منته بالتحدث بفضل ربي و نعمته** " لحمد أبي راس الناصري المعسكري ،يسلط المصدر الضوء على الحياة الثقافية في مازونةو معسكر التين درس بهما و يُعرف بالعديد من علماء مدينة مازونة ومعسكر و مدينة الجزائر و حتى علماء المغرب الأقصى.
- " **نزهة الحادي باخبارملوك القرن الحادي** " **لمحمد الصغير الأفراني المراكشي** ت 1155هـ / 1742م عالج فترة حكم الأسرة السعدية ثم بداية حمك الأسرة العلوية في المغرب الأقصى إلى غاية عصر السلطان إسماعيل، وقد صححهُ هوداس ونشرهُ عام 1889 م، وأفادني المصدر في تتبع مسار الأحداث التاريخية في الجانب السياسي للدولة العلوية في المغرب.
- " **صفوة من انتشر من أخبار وصُلحاء القرن الحادي عشر** " للأفراني وإحتوى المصدر على ذكر أعلام وعلماء المغرب الأقصى في القرن 11 هـ/ 17م، وأعانني في ترجمة علماء المغرب الأقصى.
- " **نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر و الثاني** " لأبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري ، و قام بتحقيقهِ احمد توفيق و محمد حجي و نشرهُ مع كتب آخرى في موسوعة أعلام المغرب و سلك صاحبهُ المنهج الحولي في ترجمة العلماء و الاعيان و يزودنا المصدر المعلومات حول تاريخ المغرب الأقصى .
- " **تاريخ الضعيف** " لمحمد بن عبد السلام بن أحمد الرباطي ، كان حياعام 1233هـ / 1818م و عنوانهُ " تاريخ الدولة العلوية السعيدة من نشاتها إلى أواخر عهد المولى سليمان " و الذي إعتمدت عليه في سرد بعض الوقائع التاريخية و الشواهد الثقافية .
- " **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف** "لصاحبه أبو القاسم الزياني و عالج المصدر في قسمهِ الأول تاريخ الدولة العوية من النشاة إلى نهاية عهد المولى محمد بن عبد الله .
- " **نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان** " للرحالة ابن زاكور الفاسي ت 1120 هـ / 1708 م. مصدر مهم ساعدني في تتبع إجازات علماء مدينة الجزائر للرحالة المغربي.

- " **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة براً وبحراً** يكتسي الكتاب أهمية خاصة بإعتباره مصدراً مهما إحتوى على معلومات إتصلت بجواني حضارية ومظاهر جغرافية وعمرانية وبالواقع السياسي والثقافي للفترة التي عاصرها، استفدنا من المصدر في تشخيص الواقع الثقافي لبعض حواضر الجزائر خلال العهد العثماني مثل مدينة تلمسان وقسنطينة.
- رحلة ابن حمادوش و المسماة بـ " **لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال** " للرحلة عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري ، و ما سجله في رحلته هو الجزء الثاني أما باقي الرحلة الأول و ربما الثالث أيضاً يعتبر ضائعاً أو في حكم المفقود ، و يعد الكتاب مصدراً مهماً للتعرف على الحياة الإجتماعية و الثقافية للجزائر و المغرب في القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر الميلادي) وقد تضمنت رحلتهُ معلومات متنوعة و تقدم وصفاً دقيقاً لعلاقة العلماء بعضهم ببعض و كان يدور في المجالس من مسائل فقهية و أمور علمية واستفدنا منه في مواضع متعددة تعلق الأمر بالإجازات و الأسانيد و طرق القراءة و الإقراء.

أما اهم المراجع التي إستفدت منها كثيرا و أهمها :

- " تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830 م)" لصاحبه الدكتور أبو القاسم سعد الله، يعد المرجع موسوعة شملت عشرة أجزاء ولقد خدمنا الجزء الأول والثاني في الغوص في الموروث الثقافي للجزائر خلال العهد العثماني وامتازت كتاباته بالتنوع والغزارة و، استطاع أن يقدم صورة للفعل الثقافي في الجزائر بذكر المؤسسات الفعالة في الفعل الثقافي وأهم المصنفات والشخصيات العلمية والثقافية للجزائر خلال العهد العثماني.
- كتاب " تعريف الخلف برجال السلف " لمؤلفه أبو القاسم الحفناوي هو في جزأن ، أستفدنا من الجزء الثني في ترجمة للعديد من الشخصيات الفاعلة في الجانب الثقافي.

أما المراجع المغربية: فنخص بالذكر

- " الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى " لصاحبه أبي العباس أحمد بن خالد الناصري ت 1897 ، و ضم الكتاب تسع أجزاء ، و أفادتنا الأجزاء من الجزء الخامس إلى الثامن في تتبع ورصد مسار الأحداث التاريخية و الشواهد الثقافية للدولتين السعدية و العلوية.
- " النبوغ المغربي في الأدب العربي " لصاحبه عبد الله كنون تناول الباحث بالتحليل و المناقشة الحركة الفكرية و الثقافية في فترة السعديين و من بعدهم العلويين.
- " المغرب في التاريخ " لمؤلفه إبراهيم حركات إشتمل الرجع على ثلاثة أجزاء و إستفدنا من الجزء الثالث في ذكر أهم الحواضر المغربية .
- " جامع القرويين " لصاحبه عبد الهادي التازي، اشتمل المرجع ثلاثة أجزاء أفادنا في تتبع المسار الثاقفي لأهم مؤسسة تاريخية وثقافية للمغرب الأقصى.

المقالات والرسائل الجامعية:

-هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى و بلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني للدكتور بوشنافي محمد ، ساعدني المقال في معرفة أهم العلماء الذين هاجروا إلى فاس في الفترة موضوع البحثو و هم في غالبيتهم من علماء تلمسان.

-مقال الدكتور عمار هلال ، بعنوان العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر و العشرين الميلاديين/ الرابع و الرابع عشر هجري ، وركزت على فترة القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي فوجدت أن أغلب العلماء الذين هاجروا في هذه الفترة هم من علماء تلمسان

ومن أهم المصادر والمراجع الأجنبية:

H, D, de Grammont : Histoire D'Alger sous la domination turque (1515-1830)

تتبع المسار السياسي للجزائر خلال العهد العثماني

Dr. Shaw : Voyage dans la Régence d'Alger

ساعدنا في تشخيص الوضع الثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني

كما إستفدنا من عدة مقالات المجلة الإفريقية " La Revue Africaine " في أعداد و سنوات مختلفة متعلقة بالجانب السياسي و الثقافي للجزائر في العهد العثماني .منها على سبيل المثال

Albert Devolex : les Edifices Religieux de L'Ancien d'Alger.

أفادنا في تقديم معلومات حول المنشأت الدينية في مدينة الجزائر من مساجد وجوامع ومدارس وزوايا.

كما استفدت من مصادر ومراجع ومقالات ودراسات كثيرة، سأضعها وفق ترتيبها في قائمة المصادر والمراجع في آ خر الدراسة.

الدراسات السابقة:

إن من يبحث يجد أن هناك دراسات تناولت الموضوع من زوايا مختلفة ، و من هؤلاد نذكر:

- دراسة الأستاذ الدكتور عمار بن خروف عالج موضوع العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مؤلفهِ وهو يضم جزأن الأول في الجانب السياسي بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ/16م والآخر في بقية الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
- كتاب التاريخ الجزائر الثقافي للدكتور أبو القاسم سعد الله خاصة الجزء الأول والثاني. والذي تناول الموضوع بزوايا متعددة ولا يستطيع الباحث تجاهله لما يحتوية الكتاب من موسوعة ثقافية عالجت تاريخ الجزائر في فترات تاريخية متنوعة
- دراسة " لزغم فوزية " البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925-1246هـ/1520-1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، تحت إشراف محمد بن معمر، جامعة وهران 2013-2014.

- دراسة ليْلى غويني و المسومة بـ " التواصل الثقافي للرحلة الجزائريين مع العلماء المغاربة في العصر الحديث " في مجلة الدراسات التاريخية العدد14 لسنة 2012م. .
- دراسة الأستاذ الدكتور أزرقي شويتام في مجلة الدراسات التاريخية التي تصدرها جامعة الجزائر 2 والتي كانت تحت عنوان: " العلاقات الثقافية بين الأقطار المغاربية ". العدد13 ، السنة 2011

أما الدراسات المغربية

- دراسة عبد الله كنون في مؤلفه النبوغ المغربي في الأدب العربي والذي تناول الحركة الفكرية والعلمية في المغرب الأقصى في عهد العلويين
- دراسة عبد الهادي التازي الموسومة بـ " جامع القرويين ، المسجد و الجامعة و بمدينة فاس " ساعدتني تلك الدراسات في تتبع أهم المصادر و المراجع للبلدين و جمع المادة العلمية وحاولت في بحثي هذا دراسة الموضوع التواصل الثقافي بين البلدين مبرزاً عوامله و مظاهره في الفترة المذكورة أعلاه.

الصعوبات المعترضة:

- صعوبة الحصول على المصادر التي تناولت هذا الموضوع و الإعتماد على الأنترنت لتحميل و قراءة مجموعة هامة من الكتب و المقالات ، فقضيت الساعات الطوال أمام الحاسوب لعلي أحصل على مصدر أو مرجع يثري دراستي .
- إنشغالي بالتدريس في التعليم الثانوي مع إرتباطي بأقسام نهائية ما صعب الوصول إلى حالة التوفيق بين التدريس و التحضير للموضوع .
- حرصي على تناول البحث من خلال مراكز عديدة للتواصل الثقافي بين البلدين
- واجهتني عوائق التعريب و الترجمة لبعض المصادر و المراجع باللغة الفرنسية

و في ختام هذه المقدمة يطيب لي أن أتقدم ببالغ شكري و عظيم إمتناني لأستاذي المشرف الفاضل الأستاذ الذكتور : عمار بن خروف لما غمرني به من إهتمام و تشجيع على البحث و سعة نفسهِ ما كان له أعظم الأثر في إنجاز هذه المذكرة بتوفيق من الله تعالى ، فله الشكر و التقدير و جزاهُ الله عني خير الجزاء.

و أخيرا فإن أصبت في شيء من هذه الدراسة فبتوفيق من المولى عز و جل و عونه ، و إن جانبت ذلك فحسبي أني إجتهدت و حاولت ، آملا أن أستفيد من توجيهات أساتذتنا الفضلاء و الذين وُكِّلَ إليهم عملي لتقويمهِ و مناقشتهِ و تصحيحهِ. و الله الموفق .

المدخل التمهيـــــدي :

لمحة حول التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب

قبل عهد الدايات

(1009- 1081هـ /1600 -1671م)

إن الوحدة و الترابط التي جمعت شعبي البلدين (الجزائر و المغرب الأقصى) تجعل الباحث عاجز عن وضع خط فاصل بينهما، فهناك عناصر مشتركة كثيرة جمعت البلدين ما جعل المنطقة متماسكة، و كان الشعور على أنهما ليسا بمجتمعين متغايرين و إنما مجتمع واحد يجب أن يكون تحت قوة سياسية واحدة [1].

إن أصحاب كتب تراجم الأعيان و العلماء صعُب عليهم مسألة تحديد انتماء علماء و فقهاء البلدين، وكثيراً ما كانت تشير إلى انتماء العالم إلى بلده في آخر إسمه فيقال: فلان الجزائري أو القسنطيني أو التلمساني أو الفاسي أو المراكشي أو الدلائي و هكذا [2]. و حتى علماء البلدان المشرقية كانوا لا يميزون بين علماء البلاد المغاربية خاصة منهم الجزائر و المغرب الأقصى و كان لعلماء وفقهاء البلدين أروقة خاصة في معظم المراكز الثقافية و العلمية المنتشرة في العالم الإسلامي مثل رواق المغاربة [3] في الجامع الأزهر بمصر . وقطن هؤلاء في المدن الإسلامية وعرفت حارتهم بحارة المغاربة.

أفرز القرن 10هـ /16م معطيات جديدة أثرت في جميع العلاقات التي جمعت الجزائر بالمغرب الأقصى، فارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية عام 923هـ / 1519م [4]. وشكل هذا الارتباط تحولاً في

---

[1] عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي. جزأن، دار الأمل ،الجزائر ، 2008 ،ج2 ، ص : 182.

[2] إن أهم كتب التراجم التي إغتنت بترجمة علماء البلدين نذكر على سبيل المثال لا الحصر: إبن مريم " البستان " وابن عسكر " دوحة الناشر هذين المصدرين لعلماء البلدين في القرن 10هـ /16م، أما المصدرين الآخرين اليفريني " صفوة " والقادري " نشر المثاني " فكانا في القرن 11-12 هـ / 17-18 م. أما المراجع فنذكر الكتاني في "فهرس الفهارس "ومخلوف في " شجرة النور الزكية " و عادل نويهض في " معجم أعلام الجزائر".

[3] يقع رواق المغاربة في الجانب الغربي من الجامع الأزهر بمصر، وهو يمنة الداخل من باب المغاربة أحد أبواب الجامع التسعة الرئيسية و قد تم تجديدهُ عامي 872هـ و 901 هـ / 1466 م و كانت به مكتبة كبيرة. عبد لارحيم بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم : المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517 – 1798 م) . د .م .ج ، م. ت. م ، تونس ، الجزائر ، 1983 ، ص: 99.

[4] مجهول : غزوات عروج و خير الدين . تح : نور الدين عبدالقادر ، المطبعة الثعالبية ، 1934 ، ص :42.
عبد الجليل التميمي : رسالة أهالي مدينة الجزائر للسلطان العثماني بالغلة العثمانية ، م ت م ، تونس ، 1976 ، ع 5 ص :99.

المنطقة المغاربية لصفة عامة ومنعرجاً حاسماً في العلاقات بين البلدين خاصة الجانب السياسي من خلال ما يلي:

1- وجود قوة في المنطقة – الأتراك العثمانيون في الجزائر – جعل مسألة الحدود[1] تطفوا على السطح بين حكام البلدين، فالعثمانيون أخفقوا في احتواء المغرب الأقصى بسبب قوة الدولة السعدية في عهد أولئك الحكام خاصة أحمد المنصور الذي سعى إلى بناء جيش عسكري نظامي حاكى فيه التنظيم العسكري العثماني هذا من جهة، وإلى فشل محاولات السعديين في تحقيق مشروع وحدة المنطقة ما جعلهم يتجهون نحو الجنوب إلى بلاد السودان لمد نفوذهم إليها ونجحوا في تحقيق رغبتهم في عهد أحمد المنصور الذهبي من جهة آخري.

2- اختلاف في البنية البشرية والثقافية وحتى المذهبية بين الأتراك العثمانيون وسكان الجزائر فكان المذهب الحنفي هو المذهب الرسمي في الجزائر في العهد العثماني في حين تعلقت شعوب المنطقة بالمذهب المالكي. ورغم أن الأتراك العثمانيون لم يعملوا على نشر اللغة العثمانية في الجزائر الخاضعة لسلطتهم، بقيت لغتهم لغة إدارة وجيش ولم ترقى إلى مستوى التواصل اللغوي بين الأهالي.

رغم أن قضية الحدود شكلت هاجساً لدى حكام البلدين الأتراك العثمانيون في الجزائر والسلاطين الدولة السعدية في المغرب الأقصى وبلغ التوتر السياسي بينهما إلى حالة الحروب في أكثر من مرة لم يؤثر بشكل كبير على علماء وفقهاء البلدين، فكان كل عالم إذا ترك بلاده واستقر في البلد الآخر لا يشعر بالغربة أو الانعزال بل كان من هؤلاء العلماء من تزوج وانصهر في بيئة غير بيئته[2]

كانت هجرة علماء البلدين في الاتجاهين رغم الاضطراب السياسي الذي عرفهُ البلدين، فهناك من سافر من أجل التحصيل العلمي والمعرفي والآخر لنيل الإجازات العلمية من مشايخ وعلماء البلدين وهناك منهم من فضَّل الاستقرار وكان منهم من تقلد الخطط الشرعية من القضاء والإفتاء والإمامة والخطابة. وظل المغرب الأقصى أوفر حظاً من حركة تنقل الأفراد والجماعات خاصة فئة العلماء الجزائريين وكانت حاضرة المغرب التاريخية الثقافية خاصة مدينة فاس محل استقطاب و جذب عدد كبير منهم و يرجع ذلك أساساً إلى:

---

[1] للاطلاع أكثر أنظر: المكي جلولي : مسألة الحدود بين الجزائر و المغرب (من 631- 1263 هـ / 1234 – 1847 م) . رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، معهد التاريخ ، 1993.

[2] أرزقي شويتام : العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية (الفترة العثمانية) ، م. د .ت ، جامعة الجزائر 2 ، 2011 ، ع 13 ، ص :90 .

1- النشاط العلمي والثقافي الذي شهدته مدينة فاس و كثرة علمائها و مساجدها ومدارسها و هذا ما أفصح عنه المقري حين قال: " ... حللت الحضرة الفاسية – أحاطها الله – حيث المجالس غاصة بالعامة و الخاصة و المساجد آهلة معمورة و المشاهد بالزوار مغمورة و حُلل المعارف فضفاضة و العوارف الجليلة مفاضة، حضرة ربيعي و امتزاجها بالنفوس طبيعي، و لما لا و قد نظمت المفاخر و نسقتها و جمعت المئر و نسقتها "[1] .

2- التراجع والتقلص الذي عرفته المراكز الثقافية في الجزائر خاصة مدينة تلمسان، فقد كانت المدينة سجالا بين أتراك العثمانيون في الجزائر وسلاطين السعديين في المغرب الأقصى في الفترة (1551-1560م) ومن أهم تلك الحملات العسكرية بينهما نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- التدخل السعدي الأول في تلمسان والغرب الجزائري عام 957-958 هـ /1550-1551م.
- إسترجاع الأتراك العثمانيون في الجزائر مدينة تلمسان والتدخل في المغرب الأقصى 961هـ/1554م.
- فشل الحملة العسكرية السعدية الثانية على تلمسان 964هـ /1557م.
- حملة أتراك الجزائر على المغرب عام 965هـ/1558م.
- فشل الحملة العسكرية السعدية الثالثة على تلمسان 968 هـ / 1560م [2].

إن الحملة العسكرية الأخيرة كانت لها آثار سلبية على النشاط الثقافي والعلمي لمدينة تلمسان حيث هجر الكثير من التلمسانيين إلى فاس وبينهم طائفة هامة من علمائها و فقهائها. و لقد عدد لنا محمد حجي في مؤلفه " الحركة الفكرية في المغرب في عهد السعديين " مجموعة من العلماء التلمسانيين الوافدين إلى حواضر المغرب الأقصى[3] و ذكر عمار بن خروف في مؤلفهِ " العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية " أن هجرة معظم علماء و أهل العلم من الجزائر نحو الحواضر المغربية أدى إلى ضعف النشاط الثقافي في حواضر الجزائر خاصة مدينة تلمسان و فضّل علماؤها الاستقرار بمدينة فاس بصفة نهائية ما ترك فراغاً كبيرا في المدينة ، و من العلماء الأوائل الذين ربطتهم صلات ثقافية بعلماء

---

[1] أحمد بن محمد المقري : أزهار الرياض بأخبار القاضي عياض .تح : السقا مصطفى و الأبياري إبراهيم و شلبي عبد الحفيظ . 5 أجزاء ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، 1939 ، ج 1 ، ص : 04.

[2] عمار بن خروف المرجع السابق، ج2، 216.

[3] محمد حجي : الحركة الفكرية في المغرب في عهد السعديين . جزأن ، منشورات دار المغرب ، 1978 ، ج2 ، ص – ص : 355 – 358.

المغرب الأقصى و مؤسساته العلمية بحكم القرب الجغرافي بين مدينة تلمسان و مدن المغرب الأقصى خاصة مدينة فاس أبو الحسن المطغري و أحمد الونشريشي و علي بن موسى بن هارون ومحمد بن محمد التلمساني و محمد بن شقرون و عبد الواحد الونشريسي و ابن جيدة الوهراني و علي بن عيسى التلمساني و احمد العقابي و محمد بن عبد الرحمن التلمساني و أبو القاسم بن سلطان و يحي الزواوي ومحمد بن الوقاد و أحمد المقري .

إن أبرز الأسر العلمية التي ترددت بين مدينتي تلمسان وفاس والتي اهتمت بعلوم الفقه والحديث ونحوهما عائلة الونشريسي و المغليلي و العقباني و المقري[1] و كان من بين هذه الأسر من فضّل المقام و الإستقرار في المغرب الأقصى و كان منهم من تقلد المناصب الشرعية و تصدى للتدريس بمؤسساتها الثقافية من مساجد و زوايا و مدارس[2]. و لعل أهم هؤلاء العلماء الجزائريين والذي قطع أشواطاً كبيرة نحو الاندماج داخل المجتمع المغربي و ساهم بشكل كبير في النشاط الثقافي في المغرب الأقصى نذكر على سبيل المثال لا الحصر أحمد المقري .

1-رحلة أحمد المقري إلى المغرب الأقصى:

زار الشيخ أحمد المقري المغرب الأقصى لأول مرة عام 1009هـ /1600 م و دخل حاضرة المغرب التاريخية و الثقافية مدينة فاس و حلَّ بجامع القرويين حيث حضر حلقات الشيخ علي بن عمران السلاسي في مختصر خليل و تباحث معه في مسائل فقهية مختلفة [3] . وإنشرت سمعة الشيخ المقري العلمية بين علماء مدينة فاس وأقام بها مدة يفيد ويستفيد وأجاز واستجاز ولقي حظوة عند أحد قواد السلطان السعدي أحمد المنصور.

ساهم المقري بالتعريف بأهم الأعلام والعلماء والشيوخ في المغرب وعدد منهم أربعة وثلاثين عالما من مدينتي فاس ومراكش وهذا ما جعل رحلته مرآة لمظاهر التواصل الثقافي بين علماء البلدين. وفاقت المدة التي مكث فيها المقري عن الخمس عشرة سنة في المغرب الأقصى كوَّن علاقات وطيدة بعلمائها وفي هذه المدة ساهم في إنعاش الحركة الفكرية و لثقافية في المغرب الأقصى. و من جملة

---

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 10 أجزاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 ، ج2 ، ص: 67.

[2] عمار بن خروف : المرجع السابق ، ج2 ، ص: 150.

[3] أحمد بن محمد المقري: روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيتُه من أعلام الحضرتين مراكش و فاس. المكتبة الملكية ، الرباط ، 1983 ، ص : 33.

العلماء الذين أجازهم المقري و هو بالمغرب الأقصى الشيخ محمد بن قاسم الشهير بابن القاضي[1] فأذن له برواية كل مروياته و مصنفاته النثرية و النظمية و سرد جملة من الأسانيد وبعض عن المختصر[2] ، و سعى الشيخ محمد بن يوسف التاملي[3] في عام 1026هـ /1617م إلى نيل الإجازة من الشيخ المقري و نظم الأول قصيدة جاء فيها

ويرقب منكم إجازتكم له بمرويكم عسى تكون له زلفى

و ينشركم بيتا تقادم عهده لصاحب ود إذ ينادي به ألفا [4] .

و رد آخر على طلبه و جاءت إجازته منظومة في إثنين و عشرين بيتامن بحر الطويل و أذن له فيها براوية تآليفه و أسانيده و مما ورد في القصيدة ما يلي :

و ها انا أشهدت أني أجزتكم على السنن المعلوم و المقصد الأوفى

جميع تآليفي و نظمي و إن هي و نثري و إن جاز الركاكة و الضعفا

و كل الذي أرويه عمن لقيت من أساتذة الغر الألي احسنوا الرصفا [5].

3-رحلة سعيد قدورة إلى المغرب الأقصى.

و رحل الشيخ سعيد قدورة [1] إلى المغرب الأقصى عابراً مدينة تلمسان و متوجها إلى الجنوب قاطعا صحراء فجيج ثم سجلماسة و بني عباس عام 1015هـ /1606م و تصدى للتدريس بجامعها

---

[1] محمد بن قاسم بن القاضي ت1040هـ / 1631م أخذ عن عمه و عن الشيخ أحمد المقري ، قُتل بسبب اتهامه بموافقة تمكين العرائش للمحتل الإسباني .

القادري ، محمد بن الطيب : نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر و الثاني . تح : محمد حجي و أحمد توفيق ، عشرة أجزاء ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1996 ، ج3 ، ص: 1291.

التازي عبد الهادي : في تاريخ المغرب جامع القرويين (المسجد و الجامعة بمدينة فاس) موسوعة لتاريخها المعماري و الفكري . 3أجزاء ، دار الكتاب البناني ، بيروت ، 1973 ، ج2 ، ص : 519.

[2] المقري : رحلة المقري إلى المغرب و المشرق . تح : محمد بن معمر ، مكتبة الرشاد ، الجزائر ، 2006 ، ص:78.

[3] أبو عبد الله محمد بن يوسف التاملي السوسي المراكشي كان حيا سنة 1048هـ / 1638م أخذ عن أجلة علماء فاس و منهم الشيخ أبو عبد الله الترغي و محمد المستغانمي .

المحبي محمد أمين : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر . 4 أجزاء ، دار صادرة ، بيروت ، د . ت ،ج2 ،ص: 271.

[4] المقري : المصدر السابق ، ص : 193.

[5]نفسه ، ص : 193.

الأعظم . و التقى بالشيخ أحمد بن أبي محلي السجلماسي[2] و تباحث معه في مسائل متعلقة بعلوم الحديث و جزء من صحيح البخاري و انقطعت صلته بالشيخ السجلماسي عندما قام الأخير بالثورة في الجنوب، و ذهب الناصري إلى القول أن الشيخ سعيد قدورة ذهب رفقة وفد من أهل تلمسان والراشدية لتهنئة ابن محلي السجلماسي على نجاح ثورته [3] و لكن الأصح أن الشيخ سعيد قدورة تتلمذ عليه قبل ثورته التي قامت عام 1019هـ . ودخل الشيخ سعيد قدورة مدينة فاس وأخذ عن علمائها وأعلامها[4] إلا أن المصادر المغربية مثل الأفراني في صفوة والقادري في نشر المثاني لم تذكر شيوخه غير ابن أبي محلي السجلماسي.

وكان العلماء المغاربة يتوافدون بدورهم إلى الجزائر للإفادة والاستفادة ومن العلماء، وتعتبر الجزائر من أهم البلدان التي ورد ذكرها في كتب الرحلات المغربية المدونة و تعد محطة تواصل أساسية بين المغرب و طرق المشرق، فمنهم من تنقل إلى المشرق في مهمة دبلوماسية أو علمية أو لأداء فريضة الحج و منهم من فضل الاستقرار بالجزائر، ما ساهم ذلك في تقوية التواصل الثقافي بين البلدين و من هؤلاء المغاربة الذين مروا بالقطر الجزائري أو حلوا به نذكر:

---

(1) أبو عثمان سعيد بن إبراهيم المعروف بقدورة (ت 1066هـ/1655) تونسي الأصل جزائري الولادة و المنشأ ، تولى خطة الإفتاء على المذهب المالكي ستين سنة. حسين بن رجب شاوش بن المفتي : تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها . تر: فارس كعوان ،بيت الحكمة ، الجزائر ، 2009 ،ط1 ، ص: 95. ابو القاسم محمد الحفناوي:تعريف الخلف برجال السلف . نق :محمد رؤوف القاسمي الحسيني . جزآن ،دار موفم للنشر ،الجزائر ،1991 ج2، ص: 221.

عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر. مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980، ط2، ص:259.

(2) أبو العباس بن أبي محلي (1022هـ / 1613 م) : فقيه صوفي ثار ضد السعديين و إستولى على سجلماسة و المناطق المجاورة لها من مؤلفاته " الأصيلت الخريت في قطع حلقوم العفريت النفريت " و له فهرسة و رحلة في وادي الساورة عام 1016 هـ . القادري : المصدر السابق ، ج3 ، ، ص: 1210 .

(3) أحمد الناصري السلاوي : الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى . تح : جعفر الناصري و محمد الناصري ، 09 أجزاء ، الدار البيضاء ، 1955 ، ج6 ، ص : 30.

(4) عبد القادر نور الدين: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى إنتهاء العهد التركي. مطبعة العث ، قسنطينة ، 1965 ، ص : 279.

1-رحلة التمغروثي:

كلف السلطان أحمد المنصور السعدي عام 1589 م التمغروثي بمهمة دبلوماسية إلى السلطان العثماني[1] و قيد رحلته و المسماة بـ " النفحة المسكية في السفارة التركية " . و سجل خلالها التمغروتي ملاحظاته و أخذ إنطباعاته حول المدن الساحلية الجزائرية خاصة مدينة الجزائر فوصف الحياة الثقافية بالمدينة [2] قائلاً : " ... الجزائر عامرة كثيرة الأسواق، كثيرة الجند حصينة، لها أبواب ثلاثة فيها المسجد والجامع واسع، إمامه مالكي المذهب..."، و أضاف قائلا: "فبلادهم لذلك أفضل من جميع بلاد إفريقية وأعمر و أكثر تجارة و فضلا و أنفد أسواقا و أوجد سلعة". و الواضح أن المدينة انتعشت اقتصاديا وتجاريا و واصل قائلا: " فهي مدينة أعمر تجارة وفضلا وأنفذ أسواقا وأوجد سلعة ومتاعا وحتى أنهم يسمونها بإسطنبول الصغرى..." وأشار حول الحياة الثقافية قائلا: "... وطلبة العلم فيها لابأس بهم والكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقية وتوجد بها كتب الأندلس كثيرة..." [3] .

إن شهادة التمغروثي حول المدينة تدل على أن المجتمع الجزائري كان يهتم بالعلم و المعرفة وأن الحضور الأندلسي ساهم في فعالية الحركة الثقافية في المدينة.

2-رحلة الشيخ محمد بن سليمان الورداني :

نزل الشيخ محمد بن سليمان الروداني السوسي المغربي [4]بمدينة الجزائر أثناء رحلته إلى المشرق و أقام بها مدة و خلالها أخذ على علمائها و على رأسهم الشيخ سعيد قدورة الجزائري الذي أخذ

---

(1) علي بن محمد التمغروثي: النفحة المسكية في السفارة التركية. تح : عبد الطيف الشاذلي ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 2002 ، ص: 129.

(2) مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال الرحالة المغاربة. ش ، و ، ن ، ت ، الجزائر ، 1981 ، ط2 ، ص : 57.

(3) التمغروثي، المصدر السابق، ص: 129. مولاي بلحميسي ، المرجع السابق، ص: 26.

(4)أبو عبد الله محمد بن سليمان الروداني: ولد بتارودانت نشأ بها وقرأ بدرعه على الإمام ابن ناصر أقام عنده ثم رحل إلى سجلماسة ومراكش فأتقن علم المنطق ثم قصد فاس لطلب العلم وحل بمدينة الجزائر وأقام بها مدة ثم رحل إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة حصلت له وجاهة وحظوة كبيرة عند أمرائها توفي بالشام عام 1094 هـ له حاشية على التوضيح والتسهيل وله مختصر تخليص المفتاح وشرحه.

محمد الروداني: صلة الخلف بموصول السلف. تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ط1، ص:21.

محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله المراكشي الأفراني: صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر . تح:عبد المجيد الخيالي ، مركز التراث ، الدار البيضاء ، 2004 ، ط1 ، ص، ص:331 - 332.

المشرقي: محمد بن محمد بن مصطفى: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية. تح: إدريس بوهلبلة، جزأن ، منشورات وزارة الأوقاف، المغرب، 2005، ط1، ج1، ص، ص: 208 - 216.

عنه الحديث المسلسل بالأولية و حديث المصافحة و حديث المشابكة [1] و أجازه له جميع ما يرويه عن شيوخه [2]ومنهم الشيخ سعيد المقرى و نقلاً عن عبد الرحمن ذويب ذكر الشيخ الروداني في فهرسته الشيخ سعيد قدورة مايلي "... أما بعد فيقول كاتبه أفقر عبيده و أحوجهم إلى رحمته محمد بن محمد بن عيسى السوسي عانه الله بفضله و لطفه، لما أن مَنَّ الله علي بالإجتماع مع شيخ الإسلام و قدوة الأنام شمس الوقت و ضيائه ... شيخنا و بركتنا و وسيلتنا إلى ربنا أبي عثمان سيدي سعيد ابن المرحوم الناسك الحاج إبراهيم مسكنا أدم الله لقاءه " ... إلى أن قال : " حضرنا مجلسه النافع الذي لا يُحرمُ منه إلا خبيث السريرة... فسمعنا قراءته مع تفهم و بحث و تحقيق في معظم الصحيحين البخاري و مسلم، و حضرنا أيضا مجلسه للبخاري سرداً ثلاث مرات أو يزيد على ذلك ... و أُخذ كل ما تقدم من الضيافة على التمر و الماء و المصافحة و التحديث بالحديث المذكور و ذلك كله في ضحوة يوم الخميس لعشرين خلت من شهر شوال سنة أربعة و ستين و ألف بداره بمدينة الجزائر ... " إلى أن قال "وخصّه بجميع ذلك عن شيخه العالم العلامة رأس المحدثين أبي عثمان سدي سعيد أحمد القري" .

ورد ذكر الشيخ سعيد قدورة في فهرسة الشيخ الروداني في ثمانية مواضع في ثُبَتِهِ [3] " صلة الخلف بموصول السلف " [4]وهذا يدل أن الشيخ الروداني أطال في مدة إقامته بمدينة الجزائر و أخذ عن الشيخ سعيد قدورة علوم شتى و وصف الشيخ الروداني شيخه على أنه أجل مشايخه و يدل ذلك على شهرة علماء مدينة الجزائر فكان العلماء المغاربة لا يترددن في الإقامة بها و الأخذ عن شيوخها لا سيما في علم الحديث و الفقه المالكي و أصوله.

3- الرحلة العياشية " ماء الموائد" :

تعد الرحلة العياشية من أهم الرحلات الحجازية المغربية [5] لتعددها فصاحبها قام بأكثر من رحلة عام 1649 م ، 1653 م ، 1658م ، 1661 م . و بما تحتويه هذه الرحلات من شواهد تاريخية

---

[1]الروداني: المصدر السابق، ص، ص:471 ـ 476.

[2] عبد الله بن محمد العياشي: الرحلة العياشية (1661م-1663م) تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، جزأن، دار السويدي للنشر، الامارات العربية، 2006، ط1، ج2، ص:183.

[3] عبد الرحمن ذويب: الأعمال الكاملة للشيخ المهدي بوعبدلي ، عالم المعرفة للنشر ،وزارة المجاهدين ،ط1 ، 2013 ، ص: 100.

[4] الروداني: المصدر السابق، ص ـ ص: 471 ـ 476. المحبي: المرجع السابق ، ج4، ص:204.

[5] تنوعت و اختلفت الطرق البرية لركب الحجيج المغربي ، فهناك الطريق البري المنطلق من فاس و إعتمده العديد من المغاربة ، ظهر هذا الطريق تاريخيا في عهد الدولة المارينية ثم تطور في عهد الدولة العلوية ، و الثاني الطريق البري المنطلق من سجلماسة و إعتمده عدد غير يسير من المغاربة في القرنين 11- 12 هـ / 17- 18 م و يرجع الفضل فيه

تخص الجزائر و حواضرها الصحراوية خاصة من خلال وصف المدن و القرى و الحديث عن العادات و التقاليد و المستوى الثقافي و الاتصال بعلماء المناطق و ذكر الزوايا و المزارات و الطرق الصوفية و الأوراد . وعُرفت بالرحلة العياشية والمسماة بـ " ماء الموائد أو الرحلة العياشية إلى الديار النورانية ".

خرج صاحبها من سجلماسة قاصدا وادي الساورة في القطر الجزائري و زار زاوية الشيخ أحمد بن موسى فقي منطقة بني خلف من فرى بني عباس[1] ثم انتقل الركب السجلماسي[2] رفقة العياشي إلى منطقة توات و زار زاوية " سيدي عبد الله ابن طمطم " [3]و أشار العياشي أن صاحب الزاوية كان من أهل الخير و الدين [4] ثم قطع الركب ورقلة و نقوسة و تقرت و وادي سوف . و عند عودته من الحج زار العياشي بسكرة و إلتقى مع بعض صلحائها و ذكر منهم " الشيخ سيدي محمد بن بوعلي " أحد أعيان المدينة [5] .

4-رحلة الشيخ علي الأنصاري السجلماسي إلى الجزائر:

وحلَّ الشيخ علي الأنصاري السجلماسي[6] في مدينة الجزائر بين عامي 1045-1047 هـ/ 1635-1636م واستقر بأسرته بمدينة الجزائر بعد عودته من الحج ولقي ترحيباً من طرف حاكم

إلى الركب السجلماسي أحد أقدم الركب المغربي المتوجهة إلى الحجاز ، أما الآخر فكان الطريق البري المنطق من مراكش لم يكن يحظي بأهمية كبيرة بالنظر إلى العدد القليل من إرتادوه ، و إرتبط تاريخ الركب المراكشي الذي كان ركب الرسمي للدولة في المغرب على عهد السعديين .

بوسليم صالح و بن قايد عمر :الأضرحة و المزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية .مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، 2015 ،ع 21. ص- ص : 268-269 .

(1) العياشي : المصدر السابق ، ج1 ، ص : 78.

(2) محمد المنوني : من حديث الركب المغربي . مطبعة المخزن ، تيطوان ، 1953 ، ص : 33.

(3) أبو محمد عبد الله بن طمطم الدغامسي صاحب الزاوية من رجال القرن 11هـ /17م ومن أعيان بلاد توات ومن أهل الفضل فكان يطعم الواردين إليه من أفراد الركب.

الأفراني ،محمد الصغير : صفوة من إنتشر من أخبار و صُلحاء القرن الحادي عشر . تح : عبد المجيد الخيالي ،مركز التراث الثقافي المغربي ، الدار البيضاء ، 2004 ، ط1 ، ص : 169.

(4) العياشي : المصدر السابق ، ج1 ، ص : 80.

(5) العياشي : المصدر نفسه ، ج 2 ، ص -ص : 540-541.

(6) علي بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله أبو الحسن الأنصاري السجلماسي ت 1057هـ / 1647 م : أخذ من مشايخ و علماء المغرب و حج و دخل مصر و أخذ عن علمائها منهم الشيخ الأجهوري و الشيخ الشهاب الغنيمي ، ثم

الجزائر يوسف باشا الذي قربه منه. و أخذ عن الشيخ الأنصاري عدد كبير من طلبة العلم الجزائريين ومن بين أهم تلامذة الشيخ الأنصاري ملازمة له الشيخ عمر المنجلاتي [1] و الذي لازمه أربع عشرة سنة و أخذ عنه جملة من الفنون .و الشيخ عيسى الثعالبي الذي لازمه مدة قاربت على عشر سنين أخذ عليه فيها علوما كثيرة و نال منه إجازات متعددة و عدد المحبي في ترجمته للثعالبي الكتب التي قرأها على الشيخ الأنصاري[2] و وصف العياشي ملازمة الثعالبي لشيخه الأنصاري قائلاً : "... لزوم الشاخص و خدَمهُ خدمة الراغب حتى اختص به و صار من أتباعه ..." [3]. ومن تلاميذه الشيخ الأنصاري أيضا قاضي الحنفية بمدينة الجزائر الشيخ محمد بن علي القوجيلي [4]والذي نظم في حق شيخه عبد الواحد الأنصاري قصائد كثيرة.

من خلال ما تقدم يتضح لنا أن عملية التواصل بين الجزائر و المغرب الأقصى كانت قائمة و سنحاول في الفصل الأول دراسة الوضع السياسي و الثقافي في البلدين في عهد الدايات في الجزائر ومن عاصره من سلاطين المغرب الأقصى .

رجع و استقر بمدينة الجزائر له مؤلفات كثيرة على شكل نظم . اليفرني : المصدر السابق ، ص : 243. المحبي : المرجع السابق ، ج3 ، ص : 173.

[1] أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المنجلاتي (ت 1104هـ) قرأ على مشايخ جلة الأعلام ول ازم الشيخ عبد الواحد السجلماسي الأنصاري أربعة عشر سنة أخذ عنه الأصول والبيان والمنطق ومصطلح الحديث والفقه والسير والتصوف. الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص- ص: 124- 128. عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 318.

ابو عبد الله محمد بن أحمد القسنطيني الشريف الحسيني المعروف بابن الكماد (ت 1116هـ/1704م) أخذ عن أبي عبد الله محمد المغربي الجزائري بجبل زواوة وعن محمد بن قدورة وإبن المؤمن وغيرهم وأجازوه، رحل إلى فاس وأخذ عن الكثير من علمائها.

القادري: المصدر السابق، ج5، ص: 1902.

[2] المحبي : المرجع السابق ، ج 3 ، ص : 240.

[3] العياشي : المصدر السابق ، ج2 ، ص : 127.

[4] كحالة عمر رضا : معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية). 4 أجزاء ، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر ، بيروت، 1993 ،ط1 ، ج3 ، ص : 500.

الفصل الأول :

الأوضاع السياسية و الثقافية

في الجزائر و المغرب الأقصى

(1081-1246هـ/1671-1830م)

مقدمة الفصل الأول :

الفصل الأول : الحياة السياسية و الثقافية في الجزائر و المغرب الأقصى

(1081- 1245 هـ /1671-1830 م).

إن من يبحث في تاريخ البلدين و تاريخ العلاقات بينهما يكتشف أن الصلات كانت قائمة على مر العصور التاريخية السابقة و لا سيما في المجالين السياسي و الثقافي . و سنحاول في هذا الفصل دراسة الوضع السياسي و الثقافي في البلدين ، و الذي قسمنا الفصل إلى مبحثين ، الأول عالجنا فيه الوضع السياسي و الثقافي في الجزائر في عهد الدايات و تطرقنا إلى مايلي :

أ-الجانب السياسي :

1- مرحلة الإرتباط الضعيف بين حكام الجزائر و الدولة العثمانية (1659- 1711 م) و صولا إلى حالة الإستقلال بالقرار بين حكام الجزائر و الدولة العثمانية (1711 – 1830 م).

2- تميز عهد بعض الدايات بالقوة و ذكرنا على سبيل المثال لا الحصر : الداي شعبان و الداي محمد عثمان باشا و الداي حسين باشا .

3- إشتداد الحملات الأوربية ضد الجزائر في الربع الثاني من القرن 19م .

4- نهاية حكم الدايات و زوال حكومة الجزائر 1246هـ / 1830م .

ب- الجانب الثقافي للجزائر في عهد الدايات و فتطرقنا إلى :

1- طبيعة الوضع الثقافي في الجزائر .

2- خصائص و معالم الوضع الثقافي في الجزائر.

3- تحديد دور المهاجرين الأندلسيين في بعث الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني .

أما **المبحث الثاني** جاء لمعالجة **الوضع السياسي و الثقافي في المغرب الأقصى** ، و تتبعنا الوضع السياسي منذ عهد الرشيد مروراً بعهد القوة مع السلطان إسماعيل ليعقبها فترة الفوضى و الفتن ثم عهد المولى محمد بن عبد الله و السلطان سيلمان و صولاً إلى السلطان عبد الرحمن بن هشام و الذي تزامن مع نجاح الغزو الفرنسي للجزائر . ثم إنتقلنا إلى دراسة الوضع الثقافي و تحديد دور سلاطين المغرب الأقصى في بعث الحركة الثقافية في البلاد.

و في الأخير ختمنا الفصل بمجموعة نتائج و إستنتاجات .

أولاً : الأوضاع السياسية في الجزائر في فترة الدايات

عهد المؤرخون على تقسيم العصر العثماني في الجزائر إلى أربعة أطوار[1] و هي :

1- طور البيلربايات بدأت حكم خير الدين بربروسة و انتهى بمغادرة العلج علي الجزائر (923-996هـ/ 1519- 1588م) .

2- طور الباشاوات(996- 1069هـ/ 1588- 1659م) حيث حددت فترة حكم كل واحد بثلاثة سنوات .

3- طور الأغاوات (1069-1081هـ /1659-1671م) .

4- طور الدايات(1081-1245 /1671-1830م) [2] . وذهب عمار بن خروف إلى القول إن هذا التقسيم إرتبط بدرجة علاقة حكام الجزائر بالدولة العثمانية أكثر من بروز تغيرات ذات معنى في علاقة أولئك الحكام بالرعية، وظلت تلك العلاقات تقريبا بدون تغير من بداية العهد العثماني إلى غاية نهايته [3]. وهنا يمكن أن نميز مرحلتين :

أ- عهد الإرتباط القوي بين حكام الجزائر و الدولة العثمانية (1519 – 1659 م):

كان إرتباط حكام الجزائر و الدولة العثمانية وثيقاً جداً حيث كان السلطان العثماني هو الذي يعين و يعزل و تزامن هذا العهد بحكم البيلربايات و الباشاوات و الفرق بين الأول و الآخر في أن البيلربايات كانوا يعينون لمدة غير محدودة و من تقلد هذا المنصب كان من شخصيات التي تميزت بالقوة و الشجاعة و كانت لها بطولات في الحروب البحرية و سبق لها العمل في الجزائر ، في حين كان نظام الباشاوات قد حدد حكم الجزائر لمدة ثلاث سنوات مبدئياً و بعضهم عزل قبل أن يُتمها و قليلون من جُدد لهم حكم البلاد .

ب- عهد الإرتباط المحدد بين حكام الجزائر و الدولة العثمانية (1659 – 1830م) :

كان حكام الجزائر في هذه المرحلة أقل ارتباطاً بالدولة العثمانية من المرحلة السابقة ذلك أن إختيارهم لِحاكم البلاد يتم في الجزائر و ليس للسلطان العثماني إلا تزكية ذلك الإختيار و لُقب الحكام

---

[1] Kaddache(m): l'Algérie durant la période Ottoman. opu, Alger 1991, p: 94 .

[2] يحي بو عزيز: الموجز في تاريخ الجزائر. د. م. ج، الجزائر، 1999. ج2، ص:265.

[3] عمار بن خروف : العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي . جزأن ، دار الأمل ، ج2 ، 2016 ، ط2 ، ص : 30.

الأربعة لقب آغا حتى عام 1671 م ، وكان الحكام الأغوات يختارون من كبار ضباط الجند المشاة لمدة محددة ، و في الفترة الممتدة من 1671 إلى غاية 1711م لُقب حكام الجزائر بالدايات [1] . في بداية المرحلة كان الدايات من طائفة رياس البحر و أشار إليهم ابن المفتى في ولاية حسن التريكي ثم إنتقلت إلى صهرهِ حسن شاوش ثم ولاية حسن راسي1096هـ/1664 ثم ولاية الداي شعبان1101هـ/ 1688 م [2] حيث مكث في الحكم سبع سنوات ثم إستعادت الطائفة الانكشارية نفوذها بعد ولاية الداي شعبان[3] .

و في العقد الأول من القرن 12هـ/18م حمل حكام الجزائر لقب الداي باشا و ذلك إثر فرض الداي علي شاوش(1122-1130هـ/1710-1718م) أمر الواقع على الدولة العثمانية و جمع بين منصبي الداي و الباشا الداي حينما رفض الداي علي شاوش مبعوث السلطان الباشا إبراهيم و هدد الباشا بالقتل إذا أصر على النزول بميناء الجزائر و بعث إلى السلطان العثماني أحمد الثالث رسالة شارحاً فيها مخاطر السلطة المزدوجة[4]، و كان مبعوث السلطان العثماني يشارك الداي في حكم الإيالة و كان على الأول مراقباً و رقيبًا ، و عُد أحد أسباب إنتشار الفوضى و القتل في قصر الإيالة[5].وواصل

---

[1] H, D, de Grammont : Histoire D'Alger sous la domination Truque (1515-1830).Ernest Leroux , paris, 1887, p:220.

ذكر وليام سبنسر رواية أخرى قائلا "... لقد خلف الآغا إسماعيل الآغا علي و نتيجة ضعف الأول و عجزه عن صد الأطماع الفرنسية ثارت عليه طائفة رياس البحر و نُفذ الإعدام في حقه سنة 1671م و إغتنم رياس البحر تلك الوضعية ليحولوا منصب السلطة من نظام الأغوات إلى نظام الدايات..".

وليم سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر. تر: عبد القادر زبادية، دار القصبة ، الجزائر، 2006، ص: 89

[2] ابن المفتي المصدر السابق، ص، ص:55-56.

[3],H, D, de Grammont : op, cit, p :227.

[4] Ibid, p :276.

إن طول المدة الزمنية التي يتطلبها الحصول على فرمان و إشارات التنصيب الرمزية المصاحبة له من اسطنبول إلى جانب مطالب الانكشارية من دفع الرواتب جعلت حياة الداي في خطر دائم. وليام سبنسر: المصدر السابق، ص:93.

[5] كان إنتخاب أي من الدايات يتطلب التأكيد من قبل السلطان العثماني فبعد الإنتخابات يرسل مرسول مباشر إلى القسطنطية يطلب التأكيد على إنتخاب الداي. كانت جل هذه المطالب مستجابة دائما في كل مرة. كان مبعوث السلطان يذهب إلى الجزائر حاملا نسخة من فرمان التأكيد و كذا قفطاناً شرفياً أحمر اللون و سيفاً من الدولة و يُعد ذلك إعترافاً رسمياً من طرف السلطان العثماني.

حمدان خوجة بن عثمان: المرأة. تر و تح: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP ، الجزائر، 2005،ص:9 .

وليام سبنسر: المصدر السابق. ص-ص:90-91 .

الدايات الذين أعقبوا الداي على شاوش على رفض مبعوث السلطان العثماني ،وذكر ابن المفتي إلى عدد الحكام الذين جمعوا بين منصب الداي والباشا فإلى جانب الداي على شاوش نفي الداي "ميزومورطو" مبعوث السلطان العثماني الباشا إسماعيل إلى المغرب و أرجع الداي "عبدلي باشا" مبعوث السلطان علي باشا و أصيب ابراهيم و ترك الولاية لصهره إبراهيم الحزناجي[1].

كان لقب الداي شرفي يُقصد به باللغة التركية الخال[2] ، و يتم تعيين منصب الداي في الجزائر عن طريق إجراء الانتخابات[3] في الظروف العادية[4]-وفاة الداي بشكل طبيعي- و كان الداي على رأس الهرم السلطة و مِن حوله مجموعة من الموظفين السامين شكلوا دعائم لحكمهِ [5] أمّا في الظروف الإستثنائية حين يقتل الداي و هو ما حدث كثيراً و قِصر المدة التي يقضيها الداي و يرجع إلى كثرة الإغتيالات وغالبا ما تكون نهاية هؤلاء مأسوية بين الشنق و القتل والذبح[6] و أشار فونتر دي باردي "Venture de Paradais " أن بعض الدايات حكم أيام معدودات[7].إن هذه العملية كانت تُجرى وسط منافسة شديدة و أصبح منصب الداي يختار من الموظفين السامين الثلاث وهم :الجزناجي وخوجة الخيل و أغا العرب.

تُعد مرحلة الدايات ; و هي الفترة الزمنية لموضوع الدراسة من أهم مراحل الحكم السياسي العثماني في الجزائر و يرجع ذلك إلى مايلي:

أ- طول هذه المرحلة من حيث الامتداد الزمني (مائة وتسعة وخمسون عاما).

Venture de paradis : Alger au 18 siècle, éd, Eagnan, Alger ،1898, p :104.

(1) ابن المفتي: المصدر السابق ، ص- ص:62-63.

(2) Venture de Paradais : op, cit , p:98.

(3) Laugier de Tassy : Histoire de Royaume d'Alger. p : 212.

(4) أشار سبنسر إلى دور المفتي الحنفي عقب نهاية الانتخابات و تعيين داي قائلاً : " ... حيث كان المفتي يقرأ بصوت عال قائمة واجبات هذا المنصب مشيراً إلى أن الله قد إ ستدعى ذلك الداي ليقود البلاد و يجب أن يستعمل سلطته لتنفيذ العدالة و ضمان الأمن في الداخل و يؤمن الدخل الضروري و يوفرّ الراتب المنتظم للجنود..." . وليام سبنسر المصدر السابق، ص: 90.

(5) H, D, de Grammont : :op, cit, p:229.

(6) ابن المفتي: المصدر السابق، ص، ص:55-61.

(7) Veuture de paradais: op, cit, p :99.

ب-الأحداث التي ميزتهُ على المستوى الداخلي حيث استكمال الجزائر لوحدتها الإقليمية بإسترجاع مدينة وهران من المحتل الاسباني عام1206هـ/1792 هذا من جهة، و تواصل الحملات الاوروبية العسكرية على البلاد خارجيامن جهة آخرى.

ج-نهاية مرحلة الدايات بزوال حكومة الجزائر وسقوط البلاد في يد الاستعمار الفرنسي1246هـ/1830م

أشار سبنسر إلى إنتقاد أوربي عام على الجزائر فيما يتعلق بالإستقرار في بنية السلطة المركزية والتي تميزت بقصر مدة حكم الدايات و السرعة الفجائية التي كان يتم بها تبديل الدايات بآخرين. ففي الفترة 1671- 1830م ، تولى حكم البلاد سبعة و عشرون دايًا[1] و كان معدل سنوات البقاء في الحكم لا يتجاوز ستة سنوات و يمكن تمييز صنفين من الحكام في مرحلة الدايات و ذلك على حسب مدى نجاح و إخفاق حكام قوة و طول أو قصر مدة الحكم و أهم الأحداث التي واجهها الداي . يُعد حكم محمد عثمان باشا 1766- 1790 م أطول حكام الجزائر مدة زمنية و أكثرهم فعالية و يأتي الداي إبراهيم 1732- 1745م في المرتبة الثانية ، و يَحِل في المرتبة الثالثة الداي حسين 1818- 1830 آخر دايات الجزئر.

إنطلاقا من الأحداث التي ميزت الفترة ، يمكن أن نصف عهد بعض الدايات بالقوة و نذكر منهم :

1- الداي شعبان (1100- 1106هـ/1689- 1695م).

حكم الداي شعبان البلاد يعد عجز الداي الحاج حسين ميزومورطو في تسير أمور البلاد حيث تخلي عن المنصب و فرّ بفرقاطة و ركب البحر[2]. زحف السلطان المغربي إسماعيل العلوي بجيوشه نحو الجزائر و جهز الداي شعبان عشرة آلاف من الجنود المشاة و ثلاثة آلاف من الفرسان و إتجه بهم إلى المغرب الأقصى.[3] إلتقى الجيشان و إنتصرت قوات الداي رغم قِلتِهم و تمكنوا من قتل خمسة آلاف من جنود السلطان المغربي، وواصل الداي زحفه إلى فاس التي كانت محصنة بأربعة و عشرون ألف من الفرسان و على الرغم من قوة تحصينات المدينة إلتمس السلطان المغربي إسماعيل من الداي

---

(1) وليام سبنسر: المصدر السابق، ص: 92.

(2) ابن المفتي: المصدر السابق، ص: 56.

(3) محمد بن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية. تح: محمد عبد الكريم ، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ، ص: 23.

إبرام الصلح [1] و أشار ليون غاربريت " Léon Galibert " إلى ذلك قائلا : "... إن السلطان مولاي اسماعيل عندما كان ذاهبا إلى الخيمة من أجل إبرام عقد الصلح كانت يداه مكتوفتين و ذلك إشعار بإستسلامه و خضوعه و عندما وصل إلى الخيمة قَبَّل الأرض ثلاث مرات ثم دعا الله أن يستره و وأردف قائلا "... أنت خنجر وأنا لحم فإن شئت قطّع..." واتفق الطرفان على شروط عجز السلطان عن تطبيقها فيما بعد..."[2].

2- الداي محمد عثمان باشا (1180-1206هـ/ 1766-1791م).

عُرفت العقود التي حكم فيها الداي محمد بن عثمان باشا البلاد بالإستقرار السياسي على مستوى هرم السلطة حيث ظل في الحكم ما يقارب الربع القرن منح فيها البلاد الأمن و الرخاء و وصفه أحمد الزهار قائلا : "... كان عارفاً بقوانين المُلك ملتزماً بأحكام الشريعة الإسلامية محباً للجهاد مؤثرا للعدل والإنصاف..."[3] و أضاف قائلا : "...كان جاف الطبع بصحة جيدة نظراته حادة غير راغب في الزواج لا يشرب الخمر..."[4].

كانت فترة حكم الداي محمد بن عثمان باشا من أطول فترات الحكم في عهد الدايات و يرجع ذلك إلى سياستهِ الحكيمة حيث أحاط نفسه بالرجال الحكماء الأكفاء سياسياً و عسكريًا و قلَّدهم المناصب العليا على مستوى ديوانه و على مستوى البايلكات الثلاث (التيطري، بايليك الشرق، وبايليك الغرب) و ذكره الزهار قائلا: "... كان يولي من يستحق الولاية و يعزل من يستحق العزل..."[5] و تعامل بحكمة وقوة و عزم فشنق الخزناجي عام 1787 م بعد شكاوى باي الشرق صالح بن مصطفى بعد

---

[1] H , De Grammont: op, cit, P: 262.

[2] Léon Galibert : Histoire de L'Algérie Ancienne et Moderne, paris, 1843, P: 234 .

[3] الزهار، أحمد الشريف: مذكرات أحمد الشريف الزهار (1754 – 1830م). تح: أحمد توفيق المدني، ش و.ن.ت، الجزائر، 1980، ط2، ص: 23.

[4] عين صالح بن سليمان بايا على بايليك الشرق سنة 1771 واستمر في الحكم مدة طويلة قاربت العقدين ومصطفى بن سليمان الملقب بالوزناجي (1774-1792) على بايليك التيطريفي حين وضع محمد بن عثمان بايا على بايليك الغرب بعد وفاة الباي الحاج خليل عام 1779 وظل في الحكم وإلى غاية 1797 ولم تشيرالمصادر إلى محاولة أحد منهم التمرد أو الإنقلاب على الداي بل أبدوا له الطاعة والولاء. الزهار: المصدرنفسه ، ص:24

Venture de paradais : op ,cit , P.23

[5] نفسه، ص: 43.

ثبوت سرقة الخزناجي لخاتم الرسالة الباشوية و عدم تنفيذهِ للأوامر و تعليمات الداي في مسألة منع تصدير الحبوب للوكالة الإفريقية الفرنسية بعنابة[1].

أهم النجاحات التي حققها محمد بن عثمان

1- مواجهة تمرد الإنكشارية

سعى الداي إلى التقليل من أثر الصدام الدائم بين طائفة رياس البحر و الجند الإنكشارية، فقلص عدد هؤلاء وعمد إلى تنظيمهم و منعهم من التجول بالسلاح في المدينة، و واجه بحزم المتمردين فقتل سبعة منهم[2]، و أمام تكرار حالات التمرد و القتل منع دخول الجند الانكشارية إلي قصر الداي و أمر بتفتيش كل من يقصده[3].

إستطاع وضع حد للإنكشارية الذين لطالما قَتلوا الدايات في فراشهم و آلفوا على إحداث تغييرات في تنصيب أو نفي أو خلع أو قتل الدايات، و تجدد تمرد الإنكشارية 1189هـ/1775م عقب الانتصار على الحملة الإسبانية بقيادة " أورلي Oréilly " حيث لم يرضوا بالعطايا التي وزعها عليهم الداي و طالبوا بمكافآة أكبر. و أشار فونتير دي باردي "Venture de paradais " أن الداي إستغرب لهؤلاء بعد القضاء على الحملة البحرية الاسبانية و تسأل كيف يبحث الجند الإنكشارية عن المكافأة وهم يدافعون عن دينهم و بلادهم من العدو.[4]

2- مواجهة القبائل الثائرة:

واجه الداي محمد بن عثمان في بداية حكمه حركة عصيان شنتَّها قبيلة فليسة الواقعة بجبال جرجرة حيث إمتنعت هذه القبائل عن دفع اللزمة السنوية و قطعت الطريق و سَلبت القبائل الموالية الحكم العثماني ، وتمنعت في جبال جرجرة و نظراً لجغرافية المنطقة و صعوبة تضاريسها لم تستطع قوات الداي من إخضاعها سنة 1768م.[5]

تطلعت القبيلة إلى القيام بتمرد واسع يمتد من الشرق إلى الغرب ، الأمر الذي جعل البايات الثلاث يجتمعون لمواجهتها. حققت القبيلة –فليسة– إنتصارات و تمكنت من التقدم إلى سهل متيجة

---

(1)H , De Grammont: op, cit, P: 339.

(2)Ibid, P: 318.

(3) Venture de paradais : op,cit ,P: 99.

(4)Ibid: P: 97.

(5) الزهار: المصدر السابق، ص: 28.

حيث نهبوا القوافل المحملة بالحبوب[1] ، و غدت الأرزاق لا تصل إلى مدينة الجزائر ما أدى إلى حدوث مجاعة شديدة في المدينة و أمام هذا الوضع تعرض الداي خلال ثلاثة أشهر إلى محاولات إغتيال.[2]

شكَّل الداي قوة عسكرية جديدة في السنة الموالية 1769 م و أمرهم بتفادي التوغل داخل المناطق ذات التضاريس الصعبة و الإقتصار على التمركز في الحاميات العسكرية للمراقبة القبائل مع فرض حصار عليها ، الأمر الذي جعل المؤونة لا تصل للقبائل المتمردة ، فإنتشر الجوع في صفوفهم ودّب الخلاف بينهم و طلبوا الأمان من الداي و تعهدوا بدفع الزكاة و الأعشار [3].إنتهى الصراع الذي دام سبعة سنوات إلى إبرام إتفاق بين الداي محمد بن عثمان باشا و القبائل المتمردة، و أهم ما جاء فيه:

1- تلتزم كل قبيلة من قبائل فليسة بدفع ضريبة سنوية قدرها مائة بوجو.

2- لا تتوغل السلطات العثمانية في أرض فليسة.

3- يُقتل كل قاطع طريق يُمارس السلب خارج أرض فليسة.[4]

3- تحرير ثغر وهران من المحتل الإسباني

أ- الفتح الأول لثغر وهران 1120هـ/ 1708م.

شكَّل الإحتلال الإسباني لمدينة وهران 1510م شوكة في جسد الإيالة الجزائرية لقرون طويلة ، و حاول بايات الغرب إسترجاع المدينة بداية من حسن بن خير الدين الذي قتل ثم الباي شعبان الزياني (1679-1686م)[5] الذي أستشهد لِيخلفه الباي الباي مصطفى بوشلاغم.[6] هذا الأخير أبدى إهتماماً

---

[1] الزهار: المصدر السابق ، ص: 28.

[2] H , De Grammont: op, cit, P: 320.

[3] نفسه ، نفس الصفحة.

Tauxier: Expédition des trucs contre le flissas, In: RA, 1875, T: 19, P: 333.

[4] Robin: Les Oulad ben Zamoun, in R.A, 1875, T: 19, P-P: 32-37.

[5] الباي شعبان (ت 1098هـ/1686م) صاحب مازونة في أواخر القرن 11هـ/17م حاول فتح وهران و حاصرها و لكنها إمتنعت عليه و دارت بينه و بين الإسبان حروب كثيرة أدت إلى إستشهاده.

أحمد عبد الرحمن الشقراني الراشدي: القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط. دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991، ط1، ص-ص: 68- 69.

[6] مصطفى بوشلاغم يوسف بن محمد بن اسحاق باي مازونة و تلمسان، نَقل كرسي حكمه إلى قلعة بني راشد ثم معسكر.

محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران. تح: المهدي بوعبدلي، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1978، ص: 275.

كبيراّ بمسألة إسترجاع ثغر وهران خاصة بعد أن تَلقى الدعم الكبير من داي الجزائر محمد بكداش[1] و تم فتح المدينة بعد محاولات عديدة عام 1120هـ/1708م. نقل الباي عاصمتهُ من معسكر إلى وهران.

فاضت قرائح الشعراء إثر الفتح و عبّروا عن إبتهاجهم و مدى سرورهم فألف قاضي تلمسان ومفتيها محمد بن أحمد الحلفاوي قصيدة جاء مطلعها:

مَا أرَادَ الله بِالدِينِ جَلاَ عَنْ أَرْضِ وَهْرَانَ بِالكُفْرِ جَلَا

و إبتهج تلميذ الشيخ الحلفاوي عبد الرحمان الجامعي المغربي و نظم قصيدة كان مطلعها:

تَلَتْ رُسُلُ البَشَائِرِ يَوْمَ عِيدِ عَلَيْنا سُوَرَةُ الَفتحِ السعيدِ

و قُلْ وهرانُ يَكْفِيكِ إفتكاكِ و إنْقاذٌ مِنَ الأسْرِ الشديدِ[2].

ب-دور الرباطات في الفتح الثاني واسترجاع ثغر وهران

أُشتهرت الرباطات بحراسة الثغور من الهجمات الصليبية على سواحل المغرب الإسلامي و قامت معظمها على يد علماء الدين حيث أشرفوا عليها بعدما وَقفوا على ضعف الحكام و الأمراء. جَنَّدَ محمد الكبير[3] في معركة تحرير وهران العلماء و الطلبة و أمرهم أن يتوقفوا عن التدريس بالمدن و أن يُدرسوا في الرباطات و المواقع الأمامية من ثغر وهران و إستجاب الشيخ محمد بن علي الشارف المازوني حيث

---

[1] الداي بكداش: أبو عبد الله محمد بن خوجة بن علي داي الجزائر، تولى الحكم 1118هـ/1707م و إغتيل سنة 1122هـ/1710م على يد الداي إبراهيم آغا.

الآغا بن عودة المزاوي: طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر. تح: يحي بوعزيز ، ثلاثة أجزاء ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ، ج1، ص: 234.

[2] عبد الرحمن الجامعي :شرح أرجوزة الحلفاوي في فتح مدينة وهران. مخطوط بالمكتبة عبد العزيز العامة ، ورقة : 100، 101 . ابن ميمون الجزائري: المصدر السابق ، ص: 256.

[3] الباي محمد الكبير (1739-1797م): محمد بن عثمان الكردي وكنيتُهُ أبو الفتوحات أو أبو النصر أو أبو الفتح ولد بمليانة التي كانت تحت قيادة والده عثمان الكردي قُلد بايا على بايليك الغرب سنة 1779م إهتم بالجيش و قاد حملات عسكرية ضد الإسبان بثغر وهران ساهم في بعث الحركة الثقافية فيها بإنشاء المساجد و المدارس و ترميم الجوامع.

الشقراني الراشدي: المصدر السابق، ص، ص: 72، 74.

مسلم بن عبد القادر الوهراني: تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب و المسافر. تح: رابح بونار، ش و، ن. ت، الجزائر، 1974، ص-ص: 17- 23.

إلتحق بالرباط مع ولده وأخاه و بِصحبتهم نحو مائتي طالب.[1] و إستطاع محمد الكبير أن يستنفر نحو أربعمائة طالب و درّبهم على خوض المعارك و أمدّهم بالسلاح [2].

حاصر محمد الكبير المدينة و قصف حصونها وعقدت هدنة بين الطرفين 1199هـ/ 1785م و سرعان ما تجددت المعارك بسبب مناوشات بين القبائل العربية و القبائل التابعة للإسبان، ضرب المدينة زلزال كبير عام 1205هـ/ 1791م حطم النسيج العمراني لها و مات خلق كثير قارب ثلاثة آلاف شخص[3] كان من بينهم حاكم المدينة "الدون نيكولا غارسيا" و أمام حصار الباي للمدينة قطعت الإمدادات و المؤونة و إضطربت المدينة و إنتشرت الفوضى بها، تمكن الباي من إسترجاع المدينة بشكل نهائي عام 1206 هـ /1791م.

حظى الفتح الأخير لمدينة وهران بقصائد و نظم شعرية جاءت في معظمها لمدح الباي محمد الكبير و من هؤلاء الشعراء نجد إبن زرفة صاحب كتاب "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية" حيث رافق ابن زرفة الجيش و حضر حصار مدينة وهران و شهد على تحرير المدينة، وكذلك أحمد بن سحنون كان هو الآخر قد رافق للجيش و ألف كتاباً سماهُ "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"[4] أما أبى راس الناصري فله قصيدة مدح فيها الباي محمد الكبير وسماها "نفيسة الجمان في فتح وهران على يد المنصور بالله سدي محمد بن عثمان" ومن جملة الأبيات نذكر:

خَلِيلِي قَدْ طَابَ الشَرَابُ المَوْرِدُ لَمَّا أَنْ سَارَ الأَميُر فِي الثَّغْرِ يَقْصِدُ
و أَجَفَّتْ رِحَالُ الوَافِدِينَ أُم عَسْكرُ و قَدْ كَانَ مَأوَى لِلوفُودِ و مَقْصَدُ
تَجَبذَّتُهُ وَهْرَانُ لَّمَا إفْتَتَحَهَا و قَدْ قَالتْ أهلاً بِالحبيبِ مُحمدُ [5].

---

(1) سعيدوني ناصر الدين: من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ط1، ص: 411.

(2) أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي: (ت 1211هـ/1796م): الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني. تح: المهدي بوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973، ص: 235.

(3) أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792م) . ش، و. ن. ت، دار البعث، الجزائر، ص:524. H, De. Grammont: op, cit, P:343

(4) سعيدوني ناصر الدين: المرجع السابق، ص: 439.

(5) الناصري، أبو راس: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار. تح: بوركبة محمد، جزآن ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011، ، ج1، ص: 160.

3-الداي حسين 1818- 1830م

حاول الداي حسسين إعادة بعث قوة الدولة و تخليصها مما لحق بها من أسباب الضعف الوهن .فأصدر عفواً شاملاً في حق الإنكشارية بعدما قمعهم سَلفهُ الدي" على خوجة " و قتل منهم ألف ومائتي جندي و خمسين ضابطا[1].

برزت مظاهر التذمر و الفوضى في صفوف الإنكشارية و أصبح الكثير منهم يَفِر من الخدمة العسكرية و لا يلتحقون بالحاميات العسكرية مفضلين البقاء في مدينة الجزائر لِرعاية مصالحهم وتجارتهم أو العودة إلى مواطنهم، ففي عام 1821 م أرسل أغا محلة الشرق رسالة إلى الداي يُعلمه فيها غياب أربعة عشر جندي من محلته.

سعى الداي حسين إعادة تنشيط عملية التجنيد ، فتوجه بطلب رسمي إلى السلطان العثماني سنة 1827 م يلتمس منه السماح للإيالة بجمع المتطوعين من الأناضول و المناطق الأخرى و مما ورد في الرسالة "منذ عدة سنوات لم تتحصل الأوجاق على فرق عسكرية من الأناضول و نحن في حاجة إلى فرق تركية ، و لهذا نرجو منكم الموافقة على إرسال بعض الفرق من المتطوعين من مدينة أزمير والمناطق الساحلية الأخرى..."[2] ودوّن الداي فرق زواوة في سجل الجيش الإنكشاري واعتبرهم جنود نظاميون يتقاضون أجورا وليس كجنود إحتياطيين.[3]

إن أخطر ثورة واجهها الداي حسين كانت الثورة التيجانية التي تنتسب إلى محمد الكبير التيجاني[4] كان يقطن قرية عين ماضي[5] بالقرب من الأغواط ، فَرَّ من إضطهاد الأتراك و لجأت عائلته إلى مدينة فاس . عقب وفاة والده عام 1815م عادت إلى الجزائر. أثارت عودة الأسرة التيجانية مخاوف الأتراك فكلّف الداي حسين باي وهران حسن بمراقبة تحركات التيجانين و إرسال حملات

---

(1) H De,Grammont، op, cit،p: 382.

(2) Kuran, Erkumemt: La lettre du dernier Dey d'Alger au Grand- vizir de L'Empire ottaman , in R A, 1952, P- P: 188- 195.

(3) الزهار: المصدر السابق، ص- ص: 165- 166.

(4) ذكر أحمد التيجاني أن شرفه يقوم على تأكيد مباشرة من الرسول الكريم، وعجز عن تأكيد نسبه الشريف في مدينة فاس.

محمد المنصور: المغرب قبل الإستعمار 1792 -1822 م (المجتمع و الدولةو الدين) . وزارة الثقافة ، المغرب ، 2006 ، ط 1، ص: 289.

(5) الزهار: المصدر السابق ، ص: 159.

عسكرية ضدهم، الأمر الذي جعل محمد الكبير التجاني يُحرضُ قبائل جنوب وهران على الثورة فهاجموا مدينة معسكر و تمكن باي وهران من القضاء على التيجاني و قمع ثورتهم سنة 1826م.[1]

إستفحال قوة الإنكشارية في حكومة الجزائر :

إن الفوضى التي كانت في قصر الإيالة في الفترة الممتدة (1791- 1818م) كان سببها الأساسي تمرد الإنكشارية حيث إنحرفت عن مسارها فبعدما كانت تُعد مصدر الأستقرار و الأمان للبلاد غدت مُغذي للفوضى و الإضطرابات و أداة في يد حكام الدايات الذين يدفعون أكثر. ذكر حمدان خوجة إلى مسألة سوء إختيار الجند الإنكشارية فَبدّل أن يتبع مندوبي جمع الأجناد في أزمير الطريقة القديمة و التي تسمح أن يُجند في الإنكشارية إلاّ الرجال النزهاء الذين كان لهم جاه ومكانة، فُتح باب التجنيد أمام المجرمون والمحكومون عليهم بالإعدام [2]. وصف وليام شالر هؤلاء الجند الإنكشارية بالأشرار ينتمون إلى أحط الطبقات الإجتماعية [3] و أصبحت المناصب العليا تُباع و تُشترى و كان الوضع يُلائم رجال الحكم الذين كان معظمهم يتجاوزون القانون [4].

حكم في الفترة (1791- 1818م) دايات عُرف عنهم العجز و الضعف في تسيير شؤون البلاد ذلك أن معظمهم شَغلوا مِهن بسيطة نذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر الداي علي باشا الذي عُرف بالغسال و وصل إلى منصب الداي بفضل تمرد الإنكشارية[5]، و أشار Grammont أن معظم الدايات كانوا متعطشين للدماء و في الغالب كانت نهايتهم مأسوية بين القتل و الخنق و الشنق و عجز معظمهم عن فرض سلطانهِ [6] ، فالدايات الثمانية الذين حكموا البلاد قُتل منهم ستة ، و إستفحلت ظاهرة ظاهرة القتل لتشمل البايات حكام الأقاليم و مختلف الموظفين السامين حيث قُتل صالح باي سنة 1792م و جل البايات التسع عشر الذين خلفوه [7] .

---

(1) الزياني: المصدر السابق، ص: 247.

(2) حمدان خوجة: المصدر السابق ، ص: 111.

(3) وليام شالر: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكي في الجزائر (1816- 1824م). تع: إسماعيل العربي، ش و ت، ن، الجزائر،1982، ص: 53.

(4) حمدان خوجة: المصدر السابق، ص: 113.

(5) الزهار: المصدر السابق، الهامش1، ص: 103.

(6) H,De Grammont: op ,cit, P: 370.

(7) ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية (دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الثقافي العهد العثماني) . دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص: 255.

حصدت الإنكشارية في الفترة (1798- 1818) ست دايات من أصل ثمانية دايات حكموا البلاد، منهم الداي مصطفى باشا (1798- 1806 م) الذي قُتل من طرف الإنكشارية ليخلفه الداي أحمد باشا الذي واجه تمرد ابن الأحرش و قُتل في إحدى المعارك بعد أن حكم عاما واحداً. ليتولى الداي علي (1809- 1815م) الذي كان عاجزاً عن فرض طاعتهِ على الإنكشارية و في عهده بلغت الإضطرابات ذروتها و جاء الدور على الداي عمر آغا (1815- 1817م) حيث تعرضت البلاد في عهده إلى حملة اللورد أكس ماوث 1816م وكانت نهاية الداي مأسوية حيث قتل خنقاً.[1]

أمام تكرار حالات الإغتيالات و القتل حاول الداي علي بورصالي أن يتخلص من نفوذ الإنكشارية بسنِّ جملة من الإجراءات الإحترازية حيث أمر سكان مدينة الجزائر أن يغلقوا أبوابهم في ساعة مبكرة وتغلق جميع الثكنات و دسَّ عيون يلتقطون له الأخبار من داخل الإنكشارية و نقل كنوز و أموال البلاد إلى القصبة، و رغم هذه الإجراءات الوقائية لم يدم في الحكم سوى ستة أشهر حيث قُضي عليه و سائت أحوال البلاد ووقع كثير من النهب قام به وزراؤه و حاشيته.[2]

المؤتمرات الأوروبية حول المسألة الجزائرية

لم تسلم البلاد من التهديد الخارجي و تدهورت العلاقات الخارجية بين الجزائر والقوى الأوروبية خاصة فرنسا وبريطانيا سعت هذه القوة الأوروبية إلى الحد من نشاط البحرية الإسلامية في الحوض المتوسط والقضاء على ما أصطلح عليه في الأدبيات الأوروبية بالقرصنة البحرية [3].

---

[1] حمدان خوجة: المصدر السابق ، ص: 113.

[2] الزهار: المصدر السابق، ص: 134.

[3] القرصنة: يرادف مفهوم القرصنة في الأدبيات الأوروبية لصوصية البحر ووصف نشاط البحرية الإسلامية العثمانية وما وما بعدها الجزائرية على أنهم لصوص وقطاع طرق يهدفون إلى الاستيلاء على الأموال والممتلكات دون أي اعتبار ديني أو سياسي ولكن المتأمل في العمليات العسكرية التي كان يقوم بها البحار العثمانيون والجزائريون من بعدهم أن هؤلاء سعوا إلى الدفاع عن المسلمين في السواحل الإسلامية والمساهمة في إنقاذهم وعليه فإن نشاط البحرية الجزائرية كان عبارة عن عمليات عسكرية منظمة قام بها أفراد مسلمون تحت راية دولة مسلمة وبالتالي فإن هذا النشاط نوع من الحروب المشروعة والمقننة التي تخضع لمنهاج عام معترف به وهذه العمليات العسكرية تكون ضد السفن المعادية أما سفن الدول الصديقة المرتبطة مع الجزائر باتفاقيات فكانت البحرية الجزائرية تدافع عنها و تحميها.
مجهول: مذكرات خير الدين بربروس. تر: محمد الدراج . الأصالة، الجزائر، 2010، ط1، ص:10.
الزهار: المصدر السابق، انظر مقدمة الكتاب، ص: 09.
هلايلي حنيفي :القرصنة و شروط إفتداء الأسرى الإسبان في الجزائر خلال العهد العثماني . مجلة الأدب و العلوم الإنسانية ، جامعة سيدي بلعباس ،2003 ،ع:4 ،ص:243.

المؤتمرات الاوربية التي عالجت القضية الجزائرية :

- 1 مؤتمر فيينا جانفي 1815م

حضر المؤتمر القوى الأوربية التي كان لها الفضل في القضاء على نابليون و الحروب التي أثارها في أوربا و هذه الدول هي : بريطانيا ،روسيا و النمسا ، بروسيا .اجتمعت هذه القوى لإجاد حل للمشاكل المطروحة حول الحدود و التي شكلت عائقاً امام حالة الوفاق الأوربي مع إعادة السلم إلى القارة الأوربية [1]. إلى جانب هذه المسائل أدرجت مسألة استرقاق المسحيين في إيالات المغاربية بشكل عام و الجزائر بشكل خاص، خَلُصَ المؤتمر إلى تشكيل جبهة اوربية موحدة لوضع حد لنشاط البحرية الإسلامية في الحوض المتوسط استنادا إلى المذكرة التي وجهها سدناي سميث(Sideny Smith) إلى قادة أوربا[2] .

إعتبرت الدولة العثمانية تعرض مؤتمر فيينا لقضية الإيالات المغاربية تدخلاً مباشراً في الشؤون الداخلية للباب العالي و أرسلت الدولة العثمانية مبعوثاً عثمانياً إلى الجزائر و تونس و طرابلس الغرب لتنبيههم بالأخطار الحدقة بهم و طلبت منهم عدم التعرض إلى السفن التي لها علاقات طيبة مع الباب العالي [3]. ذكر عبد الجليل ان قائد البحرية العثمانية "محمد خسرو" قد نبه السطان العثماني محمود الثاني في رسالة بتاريخ 02 جويلية 1815م عن حاكم الجزائر " الحاج علي " أنه منذ أن أصبح واليا على الجزائر إزدادت المظالم ضد المسحيين بحيْث تحولت الصداقة مع الأوربيين ألى عداوتو نزاعات [4].

2-مؤتمر إكس لا شابيل 1818م :

كان نشاط البحرية الجزائرية في الحوض الغربي للمتوسط إحدى القضايا التي نالت إهتمام القوى الأوربية خاصة بريطانيا حيث عقد مؤتمر لندن 1816م جمع القناصل الأوربيين لكنه لم يؤدي في الواقع

---

(1) يُعد مؤتر فيينا 1815 م في نظر المؤرخين أبعد نقطة إتفاق أوربي و وصلت إليه القوى الأوروبية بعد صلح واستفاليا عام 1648م . عبد المجيد النعنعي :أوربا في بعض الأزمنة الحديثة و المعاصرة . دار النهضة الأوريبية ،بيروت ،1983 ،ص:326.

(2) E.Marchand L'Europe et La Conquête d' Alger d'après des documents originaux، tires: du archives de L'état ، paris ، perrin ، 1913 ، p-p : 21-23

زكية زهرة : الأميرال سدناي سميث و التحالف الأوربي – المسيحي ضد الجزائر عام 1814م . مجلة الدراسات التاريخية ،جامعة الجزائر 2 ،2013 ، ع: 15-16 ،ص:224.

(3) هلايلي حنيفي : الوفاق الأوربي و إنعكاساتهُ على إيالة الجزائر . مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس ،2016 ،ع:13-14 ،ص:16.

(4) عبد الجليل التميمي :بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1816- 1871م) . د، م ، ج . و .م ، د ، ب ، ع ، الجزائر ، زغوان ،1985 ،ط2، ص:56.

إلى إنهاء النشاط البحري المغاربي عموماً و الجزائري خاصة رغم تراجعهِ رغم ذلك إستطاعت الجزائر إعادة بناء أسطولها[1] و تجدد نشاطها من جديد ، الأمر الذي جعل الدول الأوربية تعود لإثارة هذه القضية من جديد في مؤتمر إكس لا شابيل في جنوب ألمانيا 1818م .

يُعد مؤتمر إكس لا شابيل آخر المؤتمرات الأوربية التي ناقشت مسألة القرصنة . تمكنت القوى الأوربية في 20 نوفمبر 1818م الوصول إلى إتفاق يقضي بمواصلة بريطانيا و فرنسا الضغط على الإيالات المغاربية و الجزائر بشكل خاص مع تحذير القوى الأوربية للباب العلي و بصورة ودية من الأخطار التي قد تتعرض لها الإيالات المغاربية .[2]

تشكلت فرقة بحرية مشتركة فرنسية و بريطانية في النصف الثاني من عام 1819م و توجهت إلى مدينة الجزائر من أجل إخبار الداي حسين مطالب القوى الأوربية الصادرة عن مؤتمر أكس لا شابيل . خصص الداي لممثلي الفرقة البحرية الفرنسي و البريطاني لقاءين يومي 05 و 09 سبتمبر 1819م إستمع خلالها إلى قرارات مؤتمر إكس لا شابيل المتعلقة بوضع حد لنشاط البحرية الجزائرية في الحوض الغربي للمتوسط و شكل ذلك إنذار للجزائر بشكل مباشر [3].

رفض الداي حسين الإمتثال لمطالب الوفد الأوربي و ذكر أنه لا يخضع لأوامر الملوك الأوربيين وأن دولتهُ حرة تحارب و تسالم من تشاء[4] ، و اصدر أوامرهُ بتكثيف النشاط البحري في حين كان رد بقية الإيالات المغاربية تونس و طرابلس الغرب إيجابياً [5] حول مطلب الوفد الأوربي . أما المغرب الأقصى فذكر الناصري موقفهُ من قرارات مؤتمر إكس لا شابيل قائلاً : " ... و في هذه السنة 1233هـ/ 1818م أبطل السلطان سليمان الجهاد في البحر و مُنع رؤساهُ من القرصنة و فرَّق بعض قراصنتهِ على الإيالات المجاورة مثل الجزائر و طرابلس ..." [6].

---

[1] عقب الحملة البريطانية – الهولندية عام 1816م على الجزائر . كتب الداي حسين باشا إلى السطان العثماني محمود يطلب منه المساعدة لإعادة بناء الأسطول ، فأعطاهُ السلطان العثماني ثلاث مراكب من نوع فركاطة و زوج كرايت و مدافع و ألات حربية رجعوا بها إلى الجزائر . الزهار : المصدر السابق ،ص:127. شالر : المصدر السابق ،ص: 159.

[2] شالر : المصدر السابق ،ص: 325.

[3] Henri Garrot : Histoire générale de L'Algerie ، Alger ، 1910 ، p-p : 446-467.

[4] Ibid ، p: 641.

[5] هلايلي حنيفي ، المرجع السابق ، ص : 19.

[6] الناصري : المصدر السابق ، ج8 ، ص :133.

أهم الحملات البحرية على الجزائر :

1-حملة الولايات المتحدة الأمريكية على الجزائر1815م

كانت العلاقات الجزائرية – الأمريكية في الفترة الممتدة 1795- 1797م تسودها الصداقة حيْث تم إطلاق سراح الأسرى الأمريكيين و إلتزمت الولايات المتحدة الأمريكية بدفع ضريبة سنوية على شكل عتاد و أجهزة حربية مقابل عقد السلام مع الجزائر[1] ، فقد مرَّت سنة 1799 م حوالي ثمانين سفينة تجارية تابعة للولايات المتحدة الأمريكية في سلام في الحوض المتوسط [2] .

توترت العلاقات بين البلدين إثر رفض الو م أ دفع الإتاوة المقررة عليها إلى الجزائر في العقد الثاني من القرن 19م ، الأمر الذي جعل الداي الحاج علي باشا يقوم بطرد القنصل الأمريكي عام 1812م[3] . في الوقت الذي عقدت فيه الو م أ الصلح مع بريطانيا و إنهاء الحرب بينهما كان الأسطول الجزائري منشغلاً في حربه ضد الأساطيل بعض القوى الأوربية مثل الإمارات الإيطالية و إسبانيا و بروسيا[4] ، تمَّ تجهيز أسطول حربي أمريكي ضد الجزائر [5].

إلتقى الاسطولين الجزائري و الأمريكي قرب الشواطئ الإسبانية و بعد يومان من الصدام البحري إنهزم الأسطول الجزائري و قتل قائدهُ الرايس حميدوا[6] و توصل الطرفان إلى إتفاق في 30 جويلية 1815م[7] و جاء فيه :

- إلغاء الإتاوة السنوية.
- إطلاق سراح الأسرى الأمريكيين.
- تتعهد الولايات المتحدة الأمريكية أن ترد إلى الجزائر السفينتين اللتين إستولى عليها الأسطول الأمريكي مع إطلاق سراح الأسى الجزائريين [8].

---

(1) سبنسر : المصدر السابق ، ص: 186.

(2) جون (ب) وولف : الجزائر و أوربا 1500–1830 م . تر : أبو القاسم سعد الله ،م، و، ك ، الجزائر ،1986 ،ص:416.

(3) شالر : المصدر السابق ، ص : 142.

(4) هيلالي حنيفي : المرجع السابق ، ص: 22.

(5) شالر: المصدر السابق ،ص:147.

(6) الزهار : المصدر السابق ،ص: 118.

(7) H ، De .Grammont : op,cit ، p : 376.

(8) هلايلي حنيفي : الرجع السابق ، ص: 23.

2-الحملة النجليزية- الهولندية 1816 م.

توالت الحملات الأوربية ضد الجزائر عقب مؤتمر فيينا 1815م قصد القضاء على نشاط البحرية الجزائرية في الحوض المتوسط ، و جاء الدور ضد الجزائر في هذه الفترة على بريطانيا وهولندا ويَرجع أسبابها إلى مايلي :

- رفض الداي عمر باشا تجديد المعاهدة مع هولندا في جويلية 1815م بحجة أن الهولنديين لديهم إتاوات متاخرة وجب دفعها قبل تجديد الإتفاقية [1].
- عقد بريطانيا مؤتمر لندن أواخر اوت 1816م جمع قناصلة القوى الأوربية (روسيا والنمسا ،فرنسا و بروسيا) [2] للبحث حول إمكانية تكوين حلف عسكري بحري أوربي مشترك لمدة سبعة سنوات لمقاومة نشاط القرصنة في الإيالات المغاربية بشكل عام و الجزائر على وجه الخصوص ، إلى جانب كسب تأييد أوربي حول الحملة العسكرية التي كانت تُعدها بريطانيا رفقة هولندا.
- التذمر و السخط الشعبي وسط الرأي العام البرطاني بسبب إستخدام بريطانيا لخيار المفاوضات لتحقيق أهدافها بهد السجال السياسي و الدبلوماسي الذي وقه بين الورد إكس ماوث و الداي عمر باشا بسبب طول فترة التشاور بين الجزائر و الباب العالي حول مطالب بريطانيا حول الأسرى و التي حددها الداي عمر باشا بفترة ستة أشهر [3].
- رفض الداي عمر باشا بعد الاجتماع بديوانهِ مطالب الورد إكس ماوث و امره الداي بسحب الأسطول البريطاني من مرمى المدافع الجزائرية ، تزامن ذلك مع إعتقال القنصل البريطاني و وضعهِ تحت الحراسة و تم نقل أفراد أسرتهِ إلى الريف [4].

تأزم الوضع فأمرت الحكومة البريطانية بإعداد حملة عسكرية بحرية ضد الجزائر تكون أكثر فعالية . ساندت الأسطول البريطاني قطع حربية من الأسطول الهولندي ، وصل الأسطولين إلى الجزائر في 17 أوت 1817م وبعد معركة بحرية ذامت تسع ساعات لم تصمد الدفاعات الجزائرية،الأمر الذي جعل الجزائر تسعى وراء الصلح ، حلَّلَ شالر الوضع قائلاً :"...لو أستأنف قصف المدينة – مدينة الجزائر – في اليوم التالي لجلى الأتراك منها و لأصبح من الممكن للأسطولين البريطاني والهولندي من إحتلالها

---

(1) الزهار : المصدر السابق ،ص : 127. شالر : المصدر السابق ،ص : 149.

(2) Marchand : op,cit , p: 26.

(3) شالر : المصدر السابق ،ص: 155.

(4) نفسه ، ص:153.

..."[1] وأشار مولاي بلحميسي إلى فارق في القدرات العسكرية بين الأسطولين ذلك أن الذخيرة الحربية للأنجليز والهولنديين بلغت أربعمائة وخمسين مدفعاً من عيارات 32 ،24 ،18 . في حين التحصينات الدفاعية للجزائر لم تتجاوز مائة و سبعين مدفعاً[2]. و عليه يمكن أن نتصور مدى الدمار والخرب الذي لحق بمذينة الجزائر مع فقدان الأسطول الجزائري لمعظم قطعِه الحربية و عليه كان من اللطبيعي أن تُفرض على الجزائر شروط قاسية للصلح ، و تمثلت فيما يلي :

- إطلاق سراح جميع العبيد المسحيين[3] .
- إعادة مبلغ 350000 دولار إلى ملك نابولي و سردينيا ، كانت قد دُفعت فدية لرعاياهما الذين أطلق سَراحهم في شهر أفريل عام 1816م .
- تنازل الإيالة في المستقبل عن حقها في إسترقاق رعايا الدول المسيحية.
- عقد معاهدة الصلح و السلام مع هولندا بنفس الشروط التي تضمنتها معاهدة الجزائر مع بريطانيا[4]

حمَّل الزهار كل المصائب التي لحقت بالبلاد بداية بالحرب مع الولايات المتحدة الأمريكية و إستشهاد الرايس حميدوا مروراً الحملة البريطانية الهولندية بقيادة إكس ماوث وصولاً إلى فرض شروط قاسية على الجزائر إلى الداي عمر باشا [5]الذي كانت نهايتهُ مأسوية حيث قُتل خنقاً[6] .

3-الحملة الإنجليزية 1824م :

تمكنت الجزائر من إهادة بناء اسطولها البحري بفضل الصناعة المحلية و المساعدات العسكرية التي قدمتها بعض الدول الإسلامية ، فذكر الزهار أن الداي عمر باشا أرسل سفارة دبوماسية بقيادة الشيخ الحاج محمد العنابي يطلب من السلطان المغربي سليمان العلوي مساعدات عسكرية لتجديد الجيش

---

(1) شالر : المصدر السابق ،ص :158.

(2) Belhamissi ، Moulay : Marine et Marins D' Alger (1518- 1830) . B، N، A، 3 Tome , Alger ، 1996 , T2 ،P : 72.

(3) الزهار : المصدر السابق ، ص:128. وليم سبنسر : المصدر السابق ،ص: 194. عبد الجليل التميمي : المرجع السابق ، ص: 194.

(4) كانت لحملة إكس ماوث نتائج خطيرة على نشاط البحرية الجزائرية فإلى جانب تحطم معظم قطع الأسطول الجزائريو تضرر مدينة الجزائر و مينائها .جاء تحرير الأسرى دون فدية ضربة قاسية حيث ضيع على البلاد فرصة إنتعاش الجزينة . هلايلي حنيفي : المرجع السابق ، ص: 25.

(5) الزهار : المصدر السابق ،ص:127. Belhamissi , op, cit , P: 75.

(6) حمدان خوجة : المصدر السابق ، ص: 113.

والعمارة البحرية ، فأعطاه السلطان العلوي مركبين من نوع كربيط و بلاندره و أموال و أمره بتسليمها للمجاهدين ، أما يوسف باشا أمير طرابلس الغرب فبعث بسفينة من نوع بلاكرة [1]. هذا إلى جانب المساعدات التي أرسلتها الدولة العثمانية عام 1232 هـ/1817م. شنَّ الأسطول الجزائري عدة غارات على السفن الأوربية و تمكن من تحقيق عدة غنائم على سفن كل من بروسيا و هولندا و هامبورغ و إنجلتر [2] .

أرجع الزهار سبب الخلاف بين البلدين – الجزائر و إنجلتر– إلى تورط بعض الخدم في القنصلية الإنجليزية في الهجوم على إحدى السفن الأمريكية ونهبها عندما قذفتها الأمواج و العواصف إلى سواحل بجاية ، فرفض القنصل الإنجليزي " ماك دونال " Mac Donell " تسليم المتهمين في الحادثة إلى الداي لمعاقبتهم[3] . الأمر الذي جعل القنصل الإنجليزي يُحرر مذكرة إحتجاج ضد اعمال حكومة الإيالة بشأن التدخل في القنصلية الإنجليزية ، ورد الداي على ذلك الإحتجاج أن بلادهُ حرة في تصرفاتها مع رعاياها كما هو شأن سائر البلدان المتحضرة [4].

تطور الخلاف بين الدولتين و أعلنت إنجلتر الحرب ضد الجزائر[5] ، حيث أرسلت أسطولها الحربي بقيادة الأميرال " Harry Neal" هاري نيل في مارس 1824 م لتقديم الشروط الإضافية لمعاهدة الصلح الموقعة عام 1816م[6] ، و تضمنت هذه الشروط الإضافية مايلي:

–عدم مراقبة الدبلوماسيين البريطانيين.

– إعفاء الأهالي الذين يعملون داخل القنصلية البريطانية من الضرائب [7].

فرضت إنجلتر الحصار البحري على موانئ مدينة الجزائر لمدة ستة أشهر[8] بعد رفض الداي للمطالب الإنجليزية ، و إستطاعت الجزائر أن تصمد أمام الحصار البحري و الذي تسبب في تضرر التجارة

---

(1) الزهار : المصدر السابق ، ص: 127.

(2) Belhamissi : op cite ،T2 ، p : 78.

(3) الزهار : المصدر السابق ،ص: 151.

(4) محمد العربي الزبيري: مقاومة الجزائر للتكتل الأوربي قبل الإحتلال . مجلة الأصالة ، الجزائر ، 1972 ، ع12 ،ص:128.

(5) شالر : المصدر السابق ، ص: 215.

(6) Sir Harry et Berbugger (A) : Guerre de 1824 entre Alger et L'Angleterre . In RA ، N 8 ، 1864 ، P.203:

(7) الزبيري ، المرجع السابق ، ص: 129.

(8) الزهار : المصدر السابق ، ص: 153.

الخارجية للجزائر و تغير خط التجارة من البر إلى البحر عن طريق تونس و المغرب [1]. وعندما يئست إنجلتر من الحصار لجأت إلى ضرب المدينة بالمدافع في 11 جويلية 1824م ، ولكن صمود الجزائريين أرغم إنجلتر على إبرام الصلح في 26 جويلية 1824م [2].

4 -إنهيار حكم الداي حسين و سقوط الإيالة 1245هـ/ 1830م.

كشفت الحملة الإنجليزية على الجزائر عام 1824م مدى ضعف القدرات العسكرية للبلاد و ما زاد من تأزم الوضع تحطم أغلب قطع الأسطول الجزائري في معركة نافرين 1827م بالقرب من جزيرة كريت لتقديم الدعم و العون العسكري للدولة العثمانية في حربها ضد اليونانيين [3].

تُرجع المصادر و الدراسات أسباب النزاع بين الجزائر و فرنسا إلى مجموعة من العوامل :

1- تفاقم مسألة الديون :

إن جذور مسألة الديون تعود إلى وقت الثورة الفرنسية 1789م حيث قدمت مؤسسة "بكري" قروض بحوالي مليوني طن من القمح إلى بلديات و أسطول و جيوش فرنسا . تضاعف حجم الديون و بلغت عام 1805 حوالي 8154012 فرنك و 51 سنتيماً [4]. كانت مؤسسة بكري و بوشناق مَدِينَه لِخزينة الجزائر بمبالغ هامة لقيمة كميات من الصوف كانت قد إشترتها من الدولة الجزائرية[5] ، و نظراً لِتقدم عدد كبير من دائني هذه المؤسسة ، أرسل الداي في طلب "بكري" و أمره بدفع الديون لأصحابها ، فرد عليه أن له مالاً بذمة فرنسا . أرسل الداي و تكلم مع القنصل الفرنسي " Piérre Duval " دوفال " في قضية الديون و في مسألة الحصن الذي بناه الفرنسيين و وضعوا له المدافع في القالة [6]. أشار حمدان خوجة أن السبب الوحيد الذي جعل الداي حسين يتدخل في مسألة الديون أن بكري كان جزائرياً ومَديناً لخزينة الدولة [7]. إن تدخل الداي جعل القنصل الفرنسي يَعدُه بتسديد المبلغ المترتب لـ " بكري " لفائدة خزينة الدولة ، و رغم أن الداي راسل الحكومة الفرنسية عدة مرات لكن دون جدوى.

---

(1) الزبيري : المرجع السابق ، ص: 129.

(2) ذكر شالر أن الداي قبل جميع الشروط الإنجليزية و لكنه رفض عودة القنصل الإنجايزي " ماكدونالد ". شالر : المصدر السابق ، ص:216.

(3) الزهار : المصدر السابق ، ص:156. Belhamissi , op , cit , T2 , P – P : 99-100.

(4) سبنسر : المصدر السابق ،ص:215.

(5) حمدان خوجة : المصدر السابق ، ص:140.

(6) الزهار : المصدر السابق ، ص :161.

(7) حمدان خوجة : المصدر السابق ، ص:141.

2- حادثة المروحة :

جرت العادة أن يقوم قناصل الدول الأوربية المعتمدين لدى الجزائر بتهنئة الداي بمناسبة الأعياد الإسلامية . و كان القنصل الفرنسي و البريطاني يتنافسان الصدارة في هذه المناسبات و لتجنب ذلك قرر الداي أن يستقبل الأول عشية الإحتفال و الأخر يوم العيد[1].

أشار الزهار إلى واقعة المروحة قائلاً :"...فلما إلتقى القنصل مع الباشا و هنأه بالعيد سألهُ الباشا عن الجواب – يبدوا أن القنصل أجابه بوقاحة –فإغتاظ الباشا و كانت بيدهِ منشه ينش بها الذباب فضربهُ بها ... "[2] . ذهب حمدان خوجة إلى القول أن إجابة القنصل الفرنسي ترجع إلى جهلهِ باللغة .

3- فشل مساعي الإنفراج :

أ-محاولة فرنسية لعقد الصلح:

سعت فرنسا إلى إقامة الصلح مع الجزائر و قدم الوفد الفرسي في 30 جويلية 1829 بقيادة " De Bretonniere La " دولا بروتونيا " و إلتقى بالداي و وقع الإتفاق المبدئي بينهما و لم يبق إلا إطلاق مدافع الصلح ، في اليوم الموالي غضب الداي من الأميرال الفرنسي عندما طلب منه أخذ رجل معه إلى فرنسا و راى ان ذلك إهانة للبلاد . أمر الداي بمغادرة السفينة الفرنسية من ميناء الجزائر في مدة لا تتجاوز ساعتين و أمر وكيل الحرج و باشا طبجي بِضربها إذا إنتهت المدة و عند إقتضائها قُصفت السفينة بالمدفعية [3] ، هذا ما أزم الوضع و فرضت فرنسا حصاراً بحرياً على الجزائر بحجة الإنتقام .

ب – تجاهل الداي حسين للوساطة العثمانية لإقامة الصلح مع فرنسا

بعث السلطان العثماني محمود عدة فرمانات إلى الداي حسين من أجل عقد الصلح مع فرنسا حيث أرسل المفتي الكبير الأسبق لمدينة الجزائر الشيخ الحاج خليل و الذي كان بمدينة أزمير إلى الجزائر[4] . ذكر الزهار الحديث الذي تم بين مبعوث السطان و الداي حسين قائلاً : "... أتركني أنا اذهب إلى فرنسا وأجعل لك الصلح معهم ... فلم يقبل الداي ذلك ..."[5] . كانت الدولة العثمانية تدرك أنها في فترة ضعف

---

(1) حمدان خوجة : المصدر السابق ، ص: 142.

(2) الزهار : المصدر السابق ، ص : 164.

. E ,Marchand : op cite , P : 106. H,De : Grammont : op cite , P : 389

(3) حمدان خوجة : المصدر السابق ،ص: 145.

(4) سبنسر : المصدر السابق ، ص: 219.

(5) الزهار : المصدر السابق ، ص: 167.

ضعف فحاولت مرة ثانية لإقناع الداي لعقد الصلح مع فرنسا و أرسلت إليه والي مصر محمد علي لكن دون جدوى [1].

4-سوء تسير الحرب :

إنطلقت الحملة الفرنسية من ميناء طولون يوم 25 ماي 1830م ، و إستعانة الداي لمواجهتها بالقوات المحلية المكونة من القبائل لِقلة الجنود النظاميين . وصلت الحملة الفرنسية يوم الأحد الثاني والعشرين من ذي الحجة 1245هـ/1830م [2] و إستطاعت القوات الفرنسية النزول بسلام في بسيدي فرج أ جمعت المصادر أن قوة الداي لم تكن تتمتع بأي تنظيم عسكري و بدى الإرتباك واضحاً عليها حيث عُزل يحي أغا و الذي يتمتع بكفاءة عسكرية كبيرة و تولى إبراهيم أغا و توالت الهزائم ثم أوكل قيادة الجيش إلى شيخ الإسلام المفتي إبن العنابي الذي كان رجل دين و ليس رجل حرب ، لِيعين مكانهُ باي التيطري مصطفى بومزراق[3] .

عقد الدي إجتماعاً طارئاً عقب سقوط حصن مولاي حسنى حضرهُ الأعيان و أعضاء حكومتهِ وضباط الجيش للتشاور بين مواصلة الجهاد أو الإستسلام فكان إتفاقهم على الراي الثاني ، أرسل الداي يم 04 جويلية 1830م وفداً يضم كاتبهُ و القنصل الإنجليزي إلى جانب أحمد بوضربة و حمدان خوجة كمترجمين لمقابلة قائد الحملة الفرنسية " Bourmont " دي برمونت "للإتفاق على شروط الإستسلام .ذكر الزهار ما ورد فيه قائلاً : "... فكتب لهم الجنرال كتاب الأمان في نفوسهم و أموالهم و مساجدهم وأمور دينهم و أن لا يتصرف بشئ من أمورهم ....و أنه قبل الزوال يدخل بعسكره إلى البلاد..." [4]. في اليوم الموالي تم التوقيع على معاهدة الإستسلام و سقوط المدينة [5]. و إنتهى عهد الإيالة الجزائرية الذي دام أكثر مت ثلاثة قرون و وجد الأهالي أنفسهم بلا حكومة في مواجهة قوة إستعمارية كانت الجزائر فيها بمثابة مفتاح لبناء إمبراطوريتها الإستعمارية .

---

[1] الزهار : المصدر السابق ، ص: 168. H,De :Grammont : op, cit , P : 393.

[2] الزهار : المصدر نفسه ،ص : 171.

[3] حمدان خوجة : المصدر السابق ، ص: 164.

[4] الزهار : المصدر السابق ،ص: 175.

[5] حمدان خوجة :المصدر السابق ، ص: 170.

ثانياً-الوضع الثقافي بالجزائر خلال العهد العثماني .

تميزت الحياة الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني بالجمود الفكري و شيوع التقليد حيث أصبح التأليف مقتصراً على التعليقات و شرح المتون و الحواشي و الإستدراكات و غدت الثقافة ممزوجة بالإتجاه الصوفي خالية من الابداع.

إن مسالة التميز بين العلم و الدين في تلك الفترة عسيرةٌ جدا حيث يكاد يكون للعلم و الدين مدلولاً واحدًا على إعتبار أن الطابع الثقافي الغالب هو الطابع الديني و أكد محمد بن ميمون على ذلك قائلا :"... إن مفهوم العلوم في ذلك العصر مرتبط بحفظ القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف ومعرفة أصول العقيدة والفقه ، أما فن المنطق فقد جرى فيه خلاف بين العلماء لأنّه يَمتُ إلى الفلسفة التي حرم بعض العلماء الخوض فيها و حذروا منها تلامذتهم و منعوهم أن يتعلموها ، لاسيما الذين لم ينالوا قسطاً وافرًا من عقائد أهل السنة خوفا عليهم أن يتيهوا في دروب الكفر و مزالق الإلحاد..."[1] وأشار أبو القاسم سعد الله إلى صعوبة الفصل بينهما على اعتبار أن التصوف جزء من ممارسة العلم ، فالعلماء و الفقهاء يأخذون الأذكار و الأوراد من شيوخ الطرق الصوفية و ذكر على سبيل المثال لا الحصر أسرة التيجاني حيث جمعت بين خدمتها للدين و العلم أي العلم الظاهر من علوم شرعية وفقهية[2]. اشار " اندري ريمون" إلى صعوبة تحديد العالم وذكر على أنه مفهوم واسع يندرج فيه موظفي محاكم العدالة و المؤسسات الدينية و التعليمية و طلبة الجوامع و المدارس الكبيرة و العاملين في مؤسسات دور العبادة و التعليم و الجماعات الصوفية و من ثم فهي مجموعة إنسانية واسعة متشعبة مرتبطة بالدين و المعرفة و إصدار الأحكام ونشر الثقافة و غالبية مواردها من الاوقاف والحبوس[3].

صنف أبو القاسم سعد الله فئة العلماء في الجزائر خلال العهد العثماني إلى ثلاثة اصناف.

1- العلماء الموظفون: هم أصحاب الوظائف الدينية والعلمية والإدارية وأشار إليهم قائلا :"... العلماء فئة معينة إحتكرت مجالات معينة في المجتمع كالإفتاء والقضاء والإمامة والخطابة..." إلى جانب

(1) ابن ميمون: المصدر السابق، ص: 47.

(2) ابو القاسم سعد الله: المرجع السابق ، ج1، ص 472.

(3) أندريه ريمون: المدن العربية الكبرى في العصر العثماني. تر، لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، 1991،ط1، ص، ص 62-63.

هؤلاء ذكر منهم الكُتاب الذين يكتبون للباشاوات و البايات و يسجلون محاضر جلسات الديوان و المفاوضات و المعاهدات التي تتم مع الدول.

2- المثقفون الأحرار: هم العلماء و الفقهاء غير الموظفين كانوا أشد كفاءة[1] من أقرانهم في الوظائف الدينية والإدارية.

3- المرابطون: كانت هذه الفئة في قمة الهرم الاجتماعي خاصة في الأرياف، حيث أشرفوا على الكثير من القضايا في مناطقهم و إلتفت القبائل من حولهم و دعمت مركزهم و كان منهم الأشراف و منهم من إدعى ذلك ، إهتم هؤلاء بالإشراف على الزوايا ، فكانت بعض الزوايا مقراً للصلاة و الضيافة و البعض الأخر مقصداً للطلبة من أهل العلم و تصدى المرابط إلى التدريس و القيام بدور المؤذن والإمام و الخطيب إلى جانب مهام الفصل بين الخُصوم والإصلاح بين القبائل[2].

ب-الوظائف الدينية والعلمية بالجزائر خلال العهد العثماني:

إهتم العثمانيون بأمور الحكم و السياسة حيث تقلدوا المناصب القيادية الكبرى السياسية والعسكرية و الإدارية والإقتصادية في حين أغفلوا الجانب الثقافي و تركوا للسكان المحليين الوظائف التى لا تتعلق بالحكم والتسيير لا سيما المتعلقة بالدين والعلم و نخص بالذكر منصب الإفتاء والقضاء والخطابة و الإمامة إلى جانب مهام التدريس بمختلف مراحله . وسنحاول التعريف بهذه الوظائف و التي إرتبطت بشكل كبير بفئة العلماء عبر مختلف مراحل الحكم العثماني بالجزائر.

الافتاء: يُعد منصب الإفتاء أعلى وظيفة يتولاها العالم في تلك الفترة و تُسند إلى العالم المتبحر ذو دارية واسعة بالقرآن الكريم و علوم الحديث الشريف و المتعمق في مسائل الفقه و علوم اللغة إلى جانب صفات الصلاح و العدل و الشجاعة [3]و غالبا ما كانت هذه الوظيفة وراثية فيولى الآباء لأبنائهم .

---

[1] اشار ابن المفتي إلى معلومات هامة عن فئة العلماء وذكر أن من بين هؤلاء علماء أجلاء حازوا على تقدير الحكام واحترام الحكام والسكان وآخرون كانوا دون ذلك ووصفهم بالمرتشين. ابن المفتي: المصدر السابق، ص 89.

[2] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص 397.

[3] الحجوي الثعالبي : الفكر السامي في الفكر الإسلامي. 4 أجزاء، إدارة المعارف ، الرباط ، 1340هـ، ج4 ،ص: 245.

كان العلماء يُستشارون في مسائل فقهية مختلفة قبل الوجود العثماني ليسوا كموظفين رسميين تابعين للدولة ، فكان العالم إذا شاع بين الناس توافدت عليه المسائل الفقهية النوازل من العامة والخاصة و أصبح هؤلاء مرجعاً للفتوى و وجد عدد من الكتب و النوازل الفقهية أصحابها كانوا علماء دون أن يكونوا موظفين تابعين للدولة[1].

أصبح الإفتاء وظيفة رسمية مع الوجود العثماني وغدى صاحبها يُعين و يُعزل كباقي الموظفين، كانت الفتوى على المذهبين المالكي مذهب غالبية السكان و الحنفي المذهب الرسمي للبلاد ولَّقب العثمانيون المفتي الحنفي بشيخ الاسلام و جعلوه مقدماً على المفتي المالكي في الحظوة والرأي والإعتبار[2].

رغم أن منصب الإفتاء يُعد أعلى جهاز ديني بقي بعيداً عن الشؤون السياسية[3] بل سعت الإدارة والسلطة العثمانية في الجزائر إلى التقرب إليهم في مسائل متعلقة بعلاقاتها مع السكان المحلين،كان الجامع الأعظم مقر المفتي يتولى إدارته و يشرف على أوقافه و تصدى المفتي إلى وظائف اخرى كالخطابة و الإمامة و التدريس.

توارثت أسر علمية مهمة الإفتاء في الجزائر خلال العهد العثماني حيث لا تكاد تخرج خطة الإفتاء من تلك الأسر، فتولت أسرة قدورة الإفتاء المالكي في مدينة الجزائر و توارثته لمدة قاربت القرن [4]حيث تصدى الشيخ سعيد قدورة مهمة الإفتاء لمدة قاربت ثلاثة عقود و خَلفهُ من بعده أبنائه في حين تولت أسرة إبن علي و ابن العنابي خطة الافتاء على المذهب الحنفي مع إدارة الجامع الجديد بمدينة الجزائر

---

(1) نذكر على سبيل المثال لا الحصر نوازل المازوني " الدرر المكنونة في نوازل مازونة" وفتاوى الونشريسي" المعيار المعرب في فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب"" وعد هؤلاء من رموزا ومراجع الافتاء.

(2) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق،ج1، ص 392.

رغم أن الحكام الاتراك العثمانيون كانوا يقدمون المفتي المالكي إلا أن ذكاء وصلاح وعلم أسرة قدورة خاصة سعيدة قدورة مكنته أن ينال الحظوة لدى هؤلاء الحكام وأعيان مدينة الجزائر.

(3) ذكر ابن المفتي أن انشغال أحمد بن سعيد بن ابراهيم بن قدورة واخاه بأمور السياسة جعل الداي محمد بكداش 1118هـ/1706م يحجزها وكان الأول مفتاً للمالكية والآخر قاضياً وضيّق عليهما الداي و قتلهما في الأخير، ابن المفتي: المصدر السابق، ص 106.

(4) المدة الطويلة التي تصدت فيها أسرة قدورة خطة الافتاء رغم المنافسة الشديدة بين العلماء حول المناصب العلمية والدينية تدل على المكانة العلمية والدينية التي تمتعت بها اسرة قدورة في مدينة الجزائر . ابن المفتي ، المصدر السابق، ص 29.

، حيث تولى مصطفي العنابي خطبة الإفتاء الحنفي و أشير له في الإتفاق الذي أبرم بين جماعة الحمايمية عام1111هـ/1700م "... كان الإتفاق مع أصحاب الحمايمية بالجزائر المحمية ، بمحضر العلامة الفهامة سيدنا مصطفي العنابي بن رمضان وقد حضر بصفته مفتيا..."[1]، أما في قسنطينة فرغم إدارة عائلة ابن الفكون الجامع الكبير بالبطحاء و تداولها لِخطتي الإمامة و الخطابة و تصديها لإمارة ركب الحجيج لعقود كثيرة [2] إلا أنها لم تتقلد خطة الإفتاء، وفي مازونة تولت أسرة الكتروسي خطة الافتاء المالكي[3].

أشار إبن المفتي إلى حالة النزاع بين مفتي المالكية أحمد بن سعيد قدورة و مفتي الحنفية النيار في الجامع الأعظم حول قضية خلافية تتعلق بمسألة " الزوجة إن أساء إليها الزوج " تصاعد الخلاف الذي وصل حد السباب و إنقسم علماء البلد إلى فريقين أحدهما مع مفتي المالكية و الآخر مع مفتي الحنفية و إنتهي الفصل لصالح ما أفتي به مفتي الحنفية و عُزل مفتي المالكية أحمد بن سعيد قدورة و ولي مكانه عبد الرحمن المرتضى[4].

2-القضاء:

يأتي القضاء في المرتبة الثانية بعد الإفتاء من حيث الأهمية، و يشترط في من يتقلد هذا المنصب أن يكون عادلاً متمكناً من وسائل الإجتهاد متبحراً في العلوم الشرعية[5]. كانت السلطة العثمانية تُعين القضاة في كل مدينة أحدهما مالكي و الآخر حنفي[6] ، لم يكن القاضي يتدخل بشكل مباشر في المسائل السياسية ومهمته تكمن في النظر حول القضايا المتعلقة بالسكان من زواج وطلاق وعقود البيع

---

(1) عبد الله بن محمد الشهيد: قانون اسواق مدينة الجزائر(1107هـ- 1117هـ/1695م-1705م). تح: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2006، ط1، ص 90.

(2) Emest Mercier: Constantine au 17 eue siècle (élévation de famille el fagoun), P: 27.

(3) لزغم فوزية: البيوتات والأسر العلمية في الجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والحضارية الاسلامية، وهران، 2014، ص:44.

(4) ابن المفتي: المصدر السابق، ص 102.

(5) مصطفي أحمد حموش: المدينة والسلطة في الاسلام (نموذج الجزائر في العهد العثماني). مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث دوائر البشائر، الامارات، دمشق، 1999،ط1، ص 95.

(6) ابن المفتي: المصدر السابق، ص 81.

والشراء وعقود الأوقاف، وتنافس العلماء على خطة القضاء[1]. ضمَّ المجلس العلمي القاضيان والمفتيان الحنفي والمالكي ، عالجا القضايا الصعبة ويساعدهما عدة شخصيات من أعيان البلاد[2].

3-الخطابة والإمامة.

يؤدي الخطيب صلاة الجمعة والعيدين وعادة ما كان يجمع بين خطتي الخطابة والإمامة،لابد أن يتوفر في الخطيب الفصاحة و الصوت المسموع مع سعة الإطلاع والشجاعة الأدبية ، كان للأهالي دور في إختيار الخطيب إذ يرشحونه للباشا إذا ما إستحسنوا علمه وخلقه وفصاحته[3]. تنافس العلماء على الخطابة و الإمامة و تقلدت أسر الخاطبة وتوارثتها في الجوامع الكبرى وإرتبطت بشكل كبير بخطة الإفتاء فلا تكاد تخرج عن الأسر العلمية مثل أسرة قدورة في مدينة الجزائر وا حتكرت الأسر الحنفية – أسرة ابن العنابي – الخطابة في الجامع الجديد و في قسنطينة إقترنت أسرة ابن الفكون بخطتي الإمامة و الخطابة بالجامع الكبير، ويرجع أهمية خطتي الإمامة والخطابة إلى أهمية الجوامع وما يحتويه من أوقاف ذلك أن الإمام هو الذي يشرف على إدارة المسجد وأوقافه[4].

ج-مساهمة المهاجرون الاندلسيون في الحياة الثقافية بالجزائر.

أدى سقوط غرناطة آخر إمارة إسلامية ببلاد الأندلس عام 898هـ/1492م بيد المماليك الإسبانية إلى هجرة أندلسية واسعة تجاه بلدان المغرب الاسلامي خاصة المغرب و الجزائر بحكم القرب الجغرافي من جهة و التواصل التجاري و الثقافي بين بلاد الأندلس و الأقطار المغاربية من جهة أخرى.

إن إستقرار الأتراك العثمانيين بمدنية الجزائر خلال القرن 10هـ/16م جعل المدينة ثغرًا[5] من ثغور الإسلام فدور المدينة الفعال في مواجهة الغزو الأيبيري خاصة الإسباني منه كان له دور في

---

(1) ذكر ابو راس الناصري ان شيخه الشيخ عبد القادر المشرقي تنازل عن خطة القضاء . ابو راس الناصري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته. تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، م، وك، الجزائر، 1982، ص 53.

(2) ابن المفتي: المصدر السابق، ص 81.

مصطفي بن حموش: مساجد مدينة الجزائر وزواياها من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، دارالامة، الجزائر،2007، ط1، ص 59.

(3) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص 395.

(4) ابن المفتي: المصدر السابق، ص 103.

(5) هلايلي حنفي : الحضور الأندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء المحمكم الشرعية ، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي ، تونس ، 2002 ، ع،25 ،ص: 315.

تحديد وجهة الأندلسيين إليها [1] . و رغم أن هؤلاء إعتبروا أنفسهم في دار هجرة موقتة يترقبون الوقت الذي يتمكنون فيه من العودة إلى بلادهم الأصلية إلا أن تأثيرهم في مجتمع المدن الساحلية كان عميقاً كونهم أكثر ثقافة و تطور ونشاطا عن باقي الجماعات الأخرى لبراعتهم التجارية و تنوع مختلف الأنشطة الحرفية فأفرغوا كل ما جَلبوهُ معهم من الأندلس في المجتمع الجزائري[2] و من ثم فإن التنوع في مختلف الحرف ساهم في تنوع الثقافات فكل مهنة و حرفة حملت معها معالم ثقافية[3].

تضاعف عدد الهجرات الأندلسية بعد حركة الاسترداد المسيحي " Reconquista " وإستقرار هؤلاء في المدن الساحلية و ساهموا في دفع الحركة الثقافية و العلمية في البلاد خاصة أنّ الكثير منهم تقلدوا المناصب الشرعية و الدينية فأسسوا الزوايا و المدارس منها زواية لتعليم القرآن الكريم و مختلف العلوم(1033هـ/1623م) و التي عُرفت بزاوية الاندلسيين[4] .وصف أبو القاسم سعد الله مستوى التعليم فيها أنه عالٍ[5]. و أشار سعيدوني إلى دورهم في إنتشار اللغة العربية في الجهات التي ظلت تستعمل لهجتها محلية[6]. أشارت المصادر المحلية إلى مجموعة من الأسر و العلماء ذوي الأصول الاندلسية والتي ساهمت بشكل كبير في الحياة الثقافية ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر

---

(1) أشار ابو القاسم سعد الله ان فئات المهاجرين الأندلسيين من أحفاد الملوك و الوجهاء والأعيان اثر بشكل كبير في المجتمع الجزائري فإلي جانب دورهم الاقتصادي لا يمكن إغفال دورهم الثقافي خاصة في ميدان التدريس، فلم يقتصروا على
حفظ القرآن الكريم بل اضافوا إلى التعليم قواعد جديد حديثة و نقلوا طريقتهم الخاصة و نشروا خطهم الأندلسي و أدلو بدلوهم في مجالات معرفية كالنحو و الأدب و الفنون و الموسيقي. أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص:35.

(2) ناصر الدين سعيدوني و المهدي بو عبدلي: الجزائر في العهد العثماني، م، و، ك، الجزائر، 1984، ص:97.

(3) عائشة غطاس: الحرف والحرفيون.

(4) Albert Devolex : les Edifices Réligieux de L'Ancien d'Alger, in R .A .N° 68, P : 278.

(5) ابو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص:282.

(6) سعيدوني: المرجع السابق، ص :98.

1-الشيخ أحمد زروق.

تَرجم له صاحب تقييدات قائلاً :"... الشيخ أحمد زروق بن السيد محي الدين بن عبد اللطيف عاش بمدينة الجزائر خلال القر12هـ/18م درس على مشايخها ، تولي الفتوى المالكية سنة 1152هـ/1739م [1]. و ذكرهُ ابن عمار في أشعاره قائلاً :

إمام دار الهدى مفتي الأنام وشيخهم فتى الرأي و العلم و التدبير و النظر[2].

ذكره ابن حمادوش في رحلته حيث حضر سرد الشيخ أحمد الزروق لصحيح البخاري في الجامع الأعظم و كان إمامه و مفتيه و خطيبهُ برفقةِ أخيه عبد الرحمان عام 1157هـ/1744م[3].

2-أحمد بن عمار ت بعد 1205هـ-1790م:

وصفه أبو القاسم سعد الله بالعلامة الأديب من نوابع الأدباء في عصره [4] ، وصفهُ في إحدى المجالس العلمية بالإمام العلامة الفهامة الخطيب الواعظ مُحيِ المدارس تولي وظيفة الفتوى المالكية عام 1180هـ/1766م و عُزل ثم أعيد إلى خطة الإفتاء و إحتفظ به إلى سنة 1184هـ-1770م [5].

3-ابن نيكرو[6]:أسرة أندلسية استقرت بمدينة الجزائر أقتران إسمها بمسجد إبن النيقروا حيث إهتمت بإدارة شؤونه يُعد محمد بن ابراهيم بن احمد بن موسي النيقروا (ت1153هـ-1739م) من أشهر علماء هذه الاسرة [7]وصفه ابن المفتي قائلا : "... العالم الفقيه، النحوي الأصولي الفرائضي المحدث، سيدي محمد بن سيدي ابراهيم بن أحمد بن موسي النيقروا الأندلسي الأصل الجزائري الولادة و الدار والمنشأ والقبر..."[8] درس على يد والده ابراهيم و على مشايخ و علماء مدينة الجزائر تصدى للخِطابة

---

(1) ابن المفتي: المصدر السابق، ص 113.

(2) ابن عمار: اشعار جزائرية. تح:أبو القاسم سعد الله ،م ،و ،ك ، الجزائر ، 1988 ، ص 62.

(3) ابن حمادوش الجزائر: رحلة ابن حمادوش"" لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" . تح : أبو القاسم سعد الله، م، و، ن، ت، الجزائر،1983 ص، ص 122-123.

(4) ابو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص:225 .

5 Albert Devolex : op,cit , P : 117.

(6) ورد صياغة كلمة ابن النيكرو قارة بحرف الغين(ابن النيغروا) وبحرف الكاف ابن النيكرو وقارة بحرف القاف ابن النيقروا.

(7) Devoulx: op, cit: p:288.

(8) ابن المفتي: المصدر السابق، ص: 110.

بجامع القشاش و كان خطيبا بالجامع الاعظم تصدى لخطة الإفتاء على المذهب المالكي و جمع بين الفتوى و الخطابة و التدريس و رواية الحديث بزاوية الاندلسيين[1].

وصف للحياة الثقافية استنادا من المصادر المحلية والاجنبية.

أشارت المصادر المحلية إلى حالة الوضع الثقافي للجزائر خلال العهد العثماني ، وقدم لنا ابو راس الناصري وصفاً للحياة الثقافية و العلمية قائلا : "... أنني في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهدهُ وسُدَّت مصادره وموارده و خلت دياره و مراسمه و عفت أطلاله و معالمه لا سيما فن التاريخ والادب وأخبار الأوائل والنسب ، قد طرحت في زوايا الهجران و نَسجت عليه عناكب النسيان وأشرقت شمسها على الأفول و إستوطن فحولها زوايا الخمول يتلهفون عن إندراس العلم والفضائل ويتأسفون من إنعكاس أحوال الأذكياء و الأفاضل..."[2]. لم يحد"Shaw " شاو "[3]عن ذلك الوصف وذكر قائلا : "... مازالت مازالت كما كانت منذ وقت طويل في حالة متدهور كالرياضات والطبيعيات و التي أشتهر بها العرب قديماً و أصبحت اليوم من العلوم التي لا يُعرفها منها شيئا..."[4] في حين أشار " وليام شالر " أن العلوم غير موجودة و إن وجدت فهي ضئيلة فعلم الطب لا يجود من يزاوله بإستثناء المشعوذين على حد وصفه و أكد أن القرآن الكريم هو أساس علوم هؤلاء القوم [5] ، لكن المصادر المحلية أشارت إلى عبد الرزاق بن حمادوش و ذكرت أنه صار عشاباً وصيدلياً وطبيباً في بعض الامراض[6].

أرجع" SHAW " تلك الحالة الثقافية و العلمية المتدهورة إلى النظام الإستبدادي مع كثرة الفتن و الفوضى و القلاقل و سلسلة الاغتيالات التي عمت البلاد ، ذلك أن التقدم العلمي و الثقافي

---

(1) المصدر نفسه، ص: 112.

(2) ابو راس الناصرى : عجائب الاسفار ولطائف الأخبار، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم، 1632.ص – ص 2-3.

ابو راس الناصري:عجائب الأسفار ولطائف الأخبار. تح: محمد بوركبة، جزأن ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، الجزائر، 2011، ، ج1، ص: 44.

(3) الدكتور شاو: كاهن بالوكالة الانجليزية بالجزائر(1720-1732) استطاع ان يقدم عملا بعنوان جولات في ولايات متعددة من بلاد البربر والشرق ترجم إلى الفرنسية ونشر الجزء الخاص بالجزائر تحت عناوين مختلفة ومن جملة الاقطار الاسلامية التي زارها مصر والحجاز، تونس والمغرب.

(4) Dr. Shaw : Voyage Dans la Régence D'Alger, ed Marlin, Paris, 1830, P :84.

(5) شالر: المصدر السابق. ص: 81.

(6) ابن حمادوش: المصدر السابق، ص: 10.

مرتبط بالإستقرار السياسي، ثم إن السلطة العثمانية لم تكن ضمن أولوياتها الأهتمام بالجانب الثقافي والتعليمي بل سعت إلى المحافظة على الأستقرار و حماية الحدود و التغور و جمع الضرائب و بالتالي أغفلت عن الجوانب الثقافية و بقيت مقتصرة على مبادرات فردية الأمر الذي ساعد على إنتشار الجهل والأمية.

قدم بعض الباحثين حكماً قاسياً عن الحياة الثقافية و العلمية للجزائر في هذه الفترة فوصف الحياة الثقافية على أنها رهن فراش الإحتضار تلفظ أنفاسها الأخيرة [1] و أرجع هؤلاء ذلك إلى عدم شهرة المراكز الثقافية بالجزائر مقارنة بالمراكز الثقافية المغاربية مثل جامع القرويين بفاس أو الزيتونة بتونس و حتي مشرقياً مثل جامع الأزهر بمصر أو الجامع الاموي بدمشق. أما رأى العيد مسعودة في مسألة إفتقار الجزائر إلى جامع أو معهد رئيسي كبير إلى التوازن بين مختلف المراكز الثقافية الإقليمية في المكانة و المنزلة العلمية فلم يطغي مركز ثقافي على الآخر و يعمل على إستقطاب طلاب البلاد ويصبح مجح طلبة أهل العلم و هذا ما حال دون وجود معهد رئيسي في الجزائر[2]. وعقب أبو القاسم سعد الله عن مسالة خلو الجزائر من جامعة و ذكر أن دروس جوامعها الكبرى وحلقات الدروس التي عُقدت كانت تضاهي بل تفوق أحيانا دروس الجامع الاموي بدمشق لِتنوع العلوم وتردد العلماء عليها من مختلف أنحاء العالم الاسلامي و أكد على أن شهرة علماء الجزائر كانت نتيجة جهودهم الشخصية وليست نتاج لإنتمائهم لنظام شامل تخضع له المؤسسات التابعة لها[3]، في حين أكد المهدي بوعبدلي أن مجرد الإطلاع على بعض الإجازات يدل على إزدهار بعض المعاهد بالجزائر و أن المواد التي تدرس في جوامعها لا تقل أهمية عن المواد التي تدرس في أشهر الجامعات الاسلامية[4].

قدم لنا ابن المفتي معلومات هامة حول ما يحتويه مكتبة الجامع الأعظم من الكتب والمصنفات وأشار إلى عملية ترحيل و إخراج الكتب من الجامع الأعظم إثر تعرض مدينة الجزائر إلى احدى الحملات الأوربية، إستغرقت عملية نقل الكتب ثلاثة ايام و قُدرت بإثنتي عشرة حملة جمال و بقي منها

---

(1) ابن ميمون: المصدر السابق، ص: 45.

(2) وقدم سبب اخر وتمثل في تأخير استكمال المجتمع الجزائر لوحدته الاقليمية.

العيد مسعودة: حركة التعليم في الجزائر العهد العثماني، مجلة سيرتا، قسنطينة، مطبعة البعث، ماي198، ع،03- ص- ص: 72-73.

(3) ابو القاسم سعد الله: المرجع السابق،ج1، ص 274.

(4) المهدي بو عبدلي وناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص:127.

ثلاثمائة كتاب ، ذكر أنه تم عملية إرجاع الكتب قائلا :"...وبعد عزل سيدي احمد بن سيدي سعيد من خطتي الفتوى و الخطابة طُلب من خلفهِ إرجاع الكتب التي كانت بالجامع الأعظم و كان ذلك بحضور مصطفي العنابي و تم إرجاع إثنتي عشرة غرارة مملوءة بالكتب..."[1].

إنه لمن المجحف تحميل مسؤولية الركود الثقافي و حالة الجمود الفكري لِسياسة السلطة العثمانية ، فهذه الأخيرة لم تقف عائق في وجه إستمرار الحياة الثقافية و بعض حكامها ساهموا في بناء الجوامع و المساجد و المدراس و الكتاتيب لحفظ القرآن الكريم و تعليم مبادئ القراءة و الكتابة و الحساب[2] وذكر شالر أن مدينة الجزائر حوت على العديد من المدارس التي تردد إليها الأطفال يتعلمون القراءة والكتابة[3].**و مما تقدم في المبحث الأول ، يمكن أن نستنتج مايلي:**

- أن التحول نظام الحكم العثماني في الجزائر أثر فقط على مستوى هرم السلطة و لم يغير الوضع العام في البلاد .
- فرض أمر الواقع على الدولة العثمانية و إستقلال حكام الجزائر بالقرار عنها ، وأصبح حاكم الجزائر يُلقب بالداي و الباشا .
- تحقيق الوحدة الإقليمية عقب إسترجاع ثغر وهران بشكل نهائي عام 1206هـ/1791م
- إستفحال ظاهرة قتل و إغتيال الدايات مع كل تمرد تقوم به الإنكشارية .
- تأزم العلاقات الجزائرية الخارجية مع القوى الأوربية و حالة الوفاق الأوربي للقضاء على نشاط البحرية الجزائرية في الحوض الغربي للمتوسط .
- تواصل الحملات الاوربية ضد الجزائر في الربع الثاني من القرن 19م و أثرها في سقوط البلاد ونجاح الغزو الفرنسي للجزائر عام 1246هـ /1830.

أما عن الجانب الثقافي :

- إن الطابع الثقافي الغالب في تلك الفترة هو الطابع الديني و الذي يقوم على إعادة إنتاج السابقين
- إنتشار ظاهر المختصرات و شرح الحواشي و إستدراك المتون .
- توارث أسر علمية في المراكز الثقافية للخطط الشرعية من الإفتاء و القضاء و الخطابة والأمامة.

---

(1) ابن المفتي: المصدر السابق، ص: 100. مصطفي بن حموش: مساجد مدينة الجزائر و زواياها، 53.

(2) شالر: المصدر السابق، ص: 82.

(3) أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر(1766-1791). الجزائر، 1986، ص: 62.

مقدمة المبحث الثاني للفصل الأول:
الأوضاع السياسية و الثقلفية في المغرب الأقصى .

عقب وفاة أحمد المنصور(1012هـ/1603م) شهد المغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/17م الفوضى و لفتن و ذلك بسبب إستفحال الصراع بين أبنائه عبد الله ومحمد المتوكل و زيدان حول العرش ، فضعف سُلطان الدولة و انحصر ملكُهم أواخر عهدهم في حاضرة الدولة السعدية مراكش (1069هـ/1658م) .ظهرت الزعمات المحلية و إستقلت كل منهم بمنطقة و تنازعت فيما بينهم وتقلصت سلطة السعديين لتشمل المناطق المجاورة لمراكش ، فأبو حسون السملالي في الجنوب الغربي و الدلائيون في وسط و شرق البلاد و العياشي في الشمال الغربي و بودميغة في السوس و الجنوب الغربي و أخيراً العلويين بسجلماسة و درعة . و في هذا المبحث الثاني سندرس الوضع السياسي والثقافي في المغرب الأقصى ، و يكمن طرح التساؤلات التالية :

1- ما مدى نجاح الأشراف العلويون في تثبيت حكمهم في ظل الصراعات بين القبائل المحلية ؟
2- كيف تعامل حكام الدولة العلوية مع مسألة تحرير الثغور المغربية من الإحتلال الأجنبي ؟
3- ما طبيعة علاقة السلطة الحاكمة في المغرب الأقصى مع حكام الجزائر الأتراك العثمانيون ؟
4- ما مدى تأثير سقوط ثغر الجزائر على يد المحتل الفرنسي عام 1246هـ/ 1830م في الوضع العام في المغرب الأقصى ؟ أو بمعنى آخر ما هو موقف السلطان المغربي من سقوط ثغر الجزائر ؟

أما عن التساؤلات حول الوضع الثقافي في المغرب الأقصى ، فهي كالأتي :

1- ما مدى تأثر الوضع الثقافي في المغرب الأقصى في زمن الفتن و المحن التي عرفها ؟
2- إلى أي مدى ساهمت الزاوايا في الحفاظ على الموروث الثقافي في المغرب الأقصى ؟ وماهو الدور الثقافي الذي لعبته الزواية الدلائية و علماء أهل الدلاء في الحركة الثقافية في المغرب الأقصى ؟
3- كيف كانت علاقة حكام المغرب الأقصى بفئة العلماء ؟
4- ما مدى مساهمة السلاطين العلويين في بعث الحركة الثقافية في المغرب الأقصى ؟

أولاً : الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى في الفترة المزامنة لفترة الدايات في الجزائر.

1- ظهور الحركة العلوية و قيام الدولة بسجلماسة .

استقر المولي الحسن الجد الأول للعلويين بسجلماسة ، تعد هذه المدينة ملتقي و همزة وصل بين الصحراء و الشمال إلى جانب كونها مركزاً دينياً و دار علم و صلاح ، لهذا حظي الشرفاء العلويون بعناية السلطات الحاكمة و ازدادت مكانتهم و أشتد أمرهم بعد الضعف الذي دبّ في جسد الدولة السعدية.

كانت المدينة موضع اهتمام الدلائيين و السوسيين و الشرفاء العلويين و مع نزاع هؤلاء وجيرانهم الزبيريين تدخل القائد السوسي بودميغة[1] . فأخضع سجلماسة و ألقى القبض على المولى الشريف و نقله أسيراً إلى إيليغ حاضرة إقليم بلاد السوس، أثار هذا التدخل مخاوف الدلائيين و استنكر زعيمهم محمد بن أبي بكر الدلائي[2] و ألّح على الزعيم السوسي إطلاق سراح الشريف و أمام تعنتهِ هدد الدلايئيون باستخدام القوة. التقى أهل سجلماسة بالمولي محمد بن الشريف و بايعوه أميراً عليهم عام1050هـ/1640م فنجح في طرد السملاليين بسجلماسة و استولى على درعة و تنازل له والده

---

[1] أبو الحسن على بن محمد بن أبي العباس احمد بن موسي السملالي المعروف بأبي حسون بودميغة ، ظهر بإقليم السوس لما ضعف أمر السلطان زيدان بن أحمد المنصور الذهبي فأستولى على سائر إقليم السوس بجنوب المغرب و وسع نفوذه تجاه درعة و سجلماسة بتافيلالت. الناصري: المصدر السابق، ج6، ص:78.

[2] محمد الحاج الدلائي(947هـ/1588م) أكبر أبناء الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي درس على يد والده و غيره من الشيوخ توجه الى الحج سنة1041هـ/1631م تطلع الى السلطة و الحكم منذ صغره رغم نصائح والده الذي كان لا يريد أن تحيد الزواية الدلائية عن هدفها الديني و العلمي و إثر وفاة والده سيطر على المنطقة الاطلس المتوسط و مكناس و فاس.

الناصري: المصدر نفسه،ج7، ص:17.

بالإمارة و اصطدم بأبي عبد الله محمد الحاج الدلائي عام1056هـ/1646م في موقعة القاعة و التي انتهت بتوقيع بالصلح بينهما[1].

إثر وفاة المولى الشريف بن علي(1069هـ/1659م) خرج أخاه المولي الرشيد عن بيعة أخيه محمد و غادر تافيلالت و اتجه نحو الوسط ثم الشمال و زار الزاوية الدلائية و دخل مدينة فاس و هاجم دار أبي مشعل و استولى على مدخراتها و استخدم المال لبناء جيش قوي جمعه بين قبائل الشراقة[2] . بويع في مناطق جغرافية من البلاد فشملت بيعتهُ بلاد أنكاد و الظهرة و تافرطة و مسول و زناتة و دار مشعل ، و اندفع الرشيد لِمواجهة أخوه محمد و التقى الفريقين يوم الجمعة محرم1075هـ/1664م انتهت بمقتل محمد و سيطرة الرشيد على سجلماسة[3].

2- القضاء على الامارات المحلية وتحقيق الوحدة الداخلية للمغرب الأقصى في عهد المولى الرشيد(1075-1082هـ/1664-1672م).

سارع المولي الرشيد إلى القضاء على الإمارات المحلية التي نازعتهُ في الحكم . فاتجه إلى منطقة الهبط و تيطوان محاولة منه إبعاد النفوذ التركي على المغرب الشرقي و وجدة ثم أخضع فاس الحاضرة السياسية و العلمية و الروحية للبلاد، و اتجه للقضاء على مراكز الزوايا ، فقضى على الزاوية الدلائية بالأطلس المتوسط1079هـ و ذكر الأفراني قائلا :"... فتوجه للدلاء فأطفى جمرتهم و فرق جماعتهم

---

(1) مما ورد في الصلح أن ما يلى الصحراء جنوب الاطلس الكبير يعد من نفوذ إبن الشريف و ما يلى الصحراء من جهة الشمال يعتبر نفوذ محمد الحاج الدلائي. محمد الرباطي الضعيف: تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة). تح و تع : أحمد العماري، دار المأثورات ،الرباط ،ط1 ، 1986 ، ص:11. الناصري: المصدر السابق،ج7، ص: 16.
محمد حجي: الزاوية الدلائية و دورها الديني و العلمي و السياسي. المطبعة الوطنية ،الرباط ، 1964 ، ص: 159.

(2) قبائل الشراقة وقد نجد الشراكة: هي قبائل خليط من أشجع وبنو عامر من العرب ومديونة وبني سنوس من البربر نظمهم المولى الرشيد وجعلهم جيشا خاصا اختلطت هذه القبائل فيما بينها وتجانست وعرفت بقبائل الشراقة.
الضعيف: المصدر السابق، ص: 14.
الناصري: المصدر السابق،ج7، ص: 41.

(3)الأفراني (أو الوفراني) : نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي . تص : هوداس ، أنجي ، 1888، ص: 302..
القادري: المصدر السابق ، ج3، ص: 1528.
ليفي بروفنسال: نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الاقصى، دار الأمان، المغرب 2013، ص:109.

وبدد شملهم و كلمتهم...و مزقهم كل ممزق..."[1]. و أضافة صاحب الاستقصاء قائلا :"...لما دخل المولى الرشيد الزاوية غير من محاسنها و فرق جموعها و طمس معالمها و سارت حصيداً كأن لم تكن بالأمس بعد أن كانت مشرقة إشراق الشمس فمحت الحوادث ضياءها..."[2]. ثم توجه المولي الرشيد إلى الجنوب فأخضع مراكش و قضى على إمارة الشابانات و قتل أميرها أبي بكر الشاباني ثم و اصل زحفهُ نحو الإمارة السملالية و عاصمتها إيليغ سنة1081هـ و خضعت لسلطانهِ، و تمكن من توحيد منطقة السوس و الصحراء و بقية اجزاء المغرب[3].

إن الحروب التي خاضها المولي الرشيد في سبيل تحقيق الوحدة للمغرب الأقصى و التي دامت سبعة سنوات ، هي المدة نفسها التي مكث فيها لِحكم البلاد(1075هـ-1082هـ/1664م-1672م) استطاع أن يقضي على الإمارات المتنازعة و يستعيد وحدة المغرب الداخلية بعدما كان عبارة عن فسيفساء سياسية حيث وصفتهُ بعض الدراسات بحالة ملوك الطوائف بالأندلس.

3-فرض السلطة المركزية في عهد السلطان اسماعيل العلوي

يُويعَ السلطان إسماعيل عقب وفاة أخاهُ ، فأجتمع عليه أهل المغرب و علماؤه و صلحاؤه عام 1082هـ/1672 م [4]. سعى السلطان إسماعيل إلى تكوين جيش نظامي للدولة يستغني بهِ عن القبائل التي كانت تتمرد بين الفترة و الأخرى . جَمع العبيد من جميع أنحاء المغرب و بعض مناطق إفريقيا السوداء ، عُرف هذا الجيش بعبيد بخاري و ذكر الناصري سبب التسمية قائلاً : "... إن المولى إسماعيل لما جمعهم و ظفر بِمراده و بعصبيتهم و استغنى بهم عن الاتصال بالقبائل أثنى عليهم و جمع أعيانهم و أحضر نسخة من صحيح البخاري . قال لهم :... أنا و انتم عبيد لسنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و شرعه المجمع في هذا الكتاب ، فكل ما أمر به نفْعلهُ و كل ما نهى عنه نتركهُ و عليه

---

[1] الأفراني: المصدر السابق، ص: 302.

[2] الناصري: المصدر السابق، ج7، ص- ص: 36-37. ليفي بروفنسال: المرجع السابق، ص: 109.

[3] عبد الكريم كريم: المغرب في عهد الدولة السعدية. منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، 2006، ص:331.

[4] الأفراني : المصدر السابق ، ص: 304.

نُقاتل فعاهدوهُ ..."[1]. بلغ تعداد الجيش في عهدهِ مائة و خمسون ألف وثمانون ألف مفرقة في قِلع المغرب و سبعون ألف محلة [2].

استطاع المولي إسماعيل فرض السلطة المركزية بفضل جيشهِ النظامي ، فأقر الأمن في الداخل و قضى على معظم الثورات و التمردات التي نافستهُ على العرش و التي لقيت دعماً من أتراك الجزائر، الأمر الذي جعل السلطان يتخذ موقفاً مضاداً منهم فكثف هجوماتهِ على أتراك الجزائر و قاد بنفسه بعض الهجومات عام1089هـ/1677م و 1093هـ/1681م و عام 1103هـ/1691م[3] .أغار في دواخل الجزائر و وصل إلى شرق تلمسان[4] و عين ولدهُ زيدان والياً على المغرب الشرقي و كلفهُ بتوجيهِ هجومات متوالية ضد أتراك الجزائر[5]. و هذا ما أشار إليهِ الأفراني قائلا :"... إن مولاي اسماعيل دوخ بلاد المغرب كُلهِ و طَوَّع وعرها وسهلها و استولي على تخوم السودان و بلغ فيها ما وراء النيل و انتشرت دولته في عماير السودان و بلغ في ذلك ما لم يبلغهُ السلطان أبو العباس أحمد الذهبي المنصور و لا أحد قبلهُ و امتدت مملكتهُ من جهة الشرق بلاد بسكرة من بلاد الجريد و نواحي تلمسان..."[6].

تمكن السلطان إسماعيل من تحرير بعض الثغور المغربية فاستعاد المهدية عام1092هـ/1681م ثم العرائش[7]عام1102هـ/1689م[1] هذه الأخيرة خَلَّفَ استرجاعها من يدِ الإسبان

---

(1) الناصري : المصدر السابق ، ج7 ، ص:59 . بروفنسال : المرجع السابق ، ص :112.

(2) أبو القاسم الزياني: البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف (من النشأة إلى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله). تح : رشيد الزاوية ، مركز الدراسات و البحوث العلوية ، الرباط ،1992 ، ط1 ص: 171.

(3) الضعيف: المصدر السابق، ص60.

(4) وصل جيش المولى اسماعيل إلى وادي تافنة . الزياني : المصدر السابق ، ص: 162. الناصري: المصدر السابق،ج7، ص: 59.

(5) المصدر نفسه :ج7، ص- ص: 89-90.

(6) إن التوسع الجغرافي الذي بلغتهُ الدولة العلوية في عهد إسماعيل على حد وصف الأفراني ينافي الموضوعية و فيه الكثير من الذاتية ، ذلك أن المصادر و المراجع لم تشير إلى أن الرقعة الجغرافية للمغرب في عهد السلطان إسماعيل وصلت إلى بلاد الزاب و اهم مدنهِ بسكرة . الأفراني: المصدر السابق، ص: 305.

(7) العرائش: مدينة مغربية سلمها المأمون بن المنصور السعدي إلى الإسبان عام1019هـ/1610م مقابل أن يقدم له الدعم ضد أخيه زيدان الذي كان في صراع معه حول العرش ، أثار تسليم العرائش إلى الإسبان فتنة بين العلماء بسبب إستفتائهم لهم في مسالة تسليمها ، ففر عدد كبير من العلماء والأخر توارى و إختفي في البادية.

وَقعٌ كبيرٌ على العامة و الخاصة فمدح و أنشد أديب و مفتي فاس أبو محمد بن عبد الواحد البوعناني السلطان أسماعيل يهنئه قائلا:

ألا أبشر فهذا الفتح نور قد انتظمت بعزكم الأمور

و طير السعد نادى حيث غنا قد انشرحت بِفتحكم الصدور

و ضوء النصر ساعدهُ التهاني و نور الفخر نحوكم يدور

وأضاف قائلا و هو يُمنِي النفس باسترجاع سبتة و وهران و نادي وهران

ألا يا أهل سبتة قد أتاكم بسيْفِ الله سلطان و نور

إذا ما جاء سبتة في عشى تُناديهِ إذا كان البكور

و وهران تنادي كل يوم حتى يأتي الإمام حتى يزور[2]

و أشاد الأفراني بإنجازاتِ السلطان إسماعيل قائلا ".. و من محاسن هذه الدولة تنقيةُ بلاد المغرب من نجاسة الكفر و رَدِّ كيد العدو الكافر و قد فتح عدد من المدن كانت بيدِ النصارى..."[3] فنجح في استرجاع أصيلا عام 1102هـ/1691م[4] من الإسبان و حاصر سبتة و مليلة حصاراً شديداً مدة سبعة و عشرون سنة غير أن التحصينات العسكرية الإسبانية حالت دون استرجاعهما و تمكن من استرجاع طنجة من يدِ الانجليز عام1095هـ/1684م[5].

القادري ، المصدر السابق ، ج3: ص: 1364. ليفي بروفنسال: المرجع السابق، ص:98..

(1) القادري : المصدر نفسه ، ج5 ص : 1819.

(2) الأفراني: المصدر السابق، ص: 306.

(3) الأفراني : المصدر نفسه، ص: 307. الناصري: المصدر السابق،ج7، ص: 74.

(4) الزياني : المصدر السابق ، ص: 177.

(5) طنجة، مدينة على مضيق جبل طارق الفاصل بين قارتي افريقيا و أوربا، استولي عليها البرتغاليون عام839هـ/1437م و إنتقلت الى التاج الاسباني إثر انهيار الإمبراطورية البرتغالية في معركة وادي المحازن

إن طول فترة حكم السلطان إسماعيل والتي فاقت نصف القرن منح فيها المغرب الأقصى الاستقرار والأمن والقوة والرخاء فاستقامت الأمور و سكنت الرعية و هدأت البلاد[1].

فهل يحافظ خلفاؤه من بعده على هذا الكيان المتين؟

4-مرحلة الفوضى و الفتن(أزمة الثلاثين سنة(1139هـ-1171م/1727م-1757هـ).

شهدت العقود التي أعقبت وفاة السلطان إسماعيل إخلالاً بالأمن و عدم الاستقرار و وصفتها الدراسات التاريخية بأزمة الثلاثين سنة ، و شخَّص عبد الله كنون الوضع قائلا :"... و ما انتقل المولى إسماعيل إلى رحمة الله ، حتى قام خلفاؤهُ فنسفوا بتنازعهم ذلك البيان الشامخ نسفاً و بدلوا أمن البلاد خوفاً و قوتها ضعفاً، فكادت تصير إلى ما كانت عليه من قبل من الفوضى والانحلال..."[2].

يمكن تحديد تلك الفوضى والفتن التي عصفت بالمغرب الأقصى عقب وفاة السلطان إسماعيل إلى عنصرين اساسين.

1-التنافس على العرش.

لم يعهد السلطان إسماعيل بالخلافة لِأحد من أبنائه[3] و لم يستقر الأمر لأي مَلكً من الملوك السبعة من أبناء السلطان الذين تولوا العرش طيلة فترة الأزمة و هم: احمد الذهبي و عبد المالك وعلي الأعرج ، محمد المستضئ وزين العابدين. بُويعَ كل واحدٍ من هؤلاء السبعة إلا أنه خُلع أكثر من مرة فالسلطان عبد الله بُويعَ سبع مرات و المستضئ أربعة مرات و الذهبي مرتين ، و ارتبطت بيعة هؤلاء بشكل كبير بدرجة ولاء جيش عبيد لهم[4].

986هـ/1578 م و في سنة 1661 م استولي عليها الإنجليز و ظلت تحت حكمهم إلى أن استرجعها السلطان إسماعيل. الضعيف: المصدر السابق، الهامش1. ص:71.

(1) بروفنسال: المرجع السابق، ص 113.

(2) عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي .3 أجزاء ، 1962 ، ج3 ، ص 271.

(3) الناصري، المرجع السابق، ج7، ص : 100.

(4) الضعيف، المصدر السابق، ص :106.

2- تدخل جيش عبيد في السلطة المركزية: لم تكن هناك هيئة عليا قوية من أهل الحلِّ و العقد تنافس سلطة جيش عبيد عقب وفاة السلطان إسماعيل[1] فتصدت هذه الاخيرة لمهمة تعيين ملوك المغرب و لم تحترم الشروط الشرعية في التعيين و هي الكفاء و القدرة و المصلحة العليا بل تصرفت بشكل عشوائي فترشح لِحكم البلاد كل ملك من أبناء السلطان كان مستعداً لتقديم أكبر قدر ممكن من المال و ذكر صاحب الاستقصاء قائلا ":... إن عبيد البخاري كان سببا افتراق كلمة و انحلال نظام الملك بالمغرب و سرى فسادهم في القبائل عربًا وبربرًا وأضاف قائلا "... كان الناس قد سئموا الهرج والفتن واعياهم التفاقم والاضطراب وملوا الحرب وملتهم... وكانت حالة الرعية كمن لا سلطان لها..."[2].

المغرب الأقصى في عهد المولي محمد بن عبدالله (1171هـ-1204هـ/1757م-1790م).

إن أهم الأسباب التي جمعت كلمة أهل المغرب على بيعة المولى محمد بن عبد الله ما ظهر منهُ من حُسن السياسة و كَمالِ النجدة و جودة الرأي و تمام المعرف بإدارة الأمور حتي أحبتهُ القلوب و عُلقت بهِ الآمال ثم إن أهل المغرب سئموا الهرج والفتن[3].

استطاع السلطان محمد الثالث أن يكسر شوكة عبيد البخاري الذين ساهموا بشكل كبير في فتنة قاربت الثلاثين سنة يُعين و يَخلع سلاطين المغرب فسعى إلى تفريق جمعهم في نواحي البلاد فبعث بعبيد السوس إلى تارودنت و عبيد الشابانات إلى الصويرة وعبيد دكالة إلى أزومر و عزل قِيادهم و ولى مكانهم غيرهم و وزعهم على القبائل و جعلهم قبائل الخلط ففرقهم و كسر شوكتهم[4].

---

[1] ذهب عبد الكريم غلاّب إلى القول ان السلطان إسماعيل منح سلطات واسعة لجيش عبيد و اعتمد عليهم في الدفاع عن البلاد و جعل الجيش نظامي يأخذ رواتبه من الدولة و كان سخيا معهم و بالتالي شعروا بقوتهم و قدرتهم على إجهاض كل تمرد أو ثورة خاصة بعد ان جَردّ السلطان معظم القبائل من السلاح و الخيل.
عبد الكريم غلاب: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي. 3 أجزاء ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 2005، ج3، ص: 22

[2] الناصري: المصدر السابق، ج7، ص: 49.

[3] ، الناصري :المصدر نفسه، ج8، ص: 03.

[4] الضعيف: المصدر السابق، ص: 108.

1-مرحلة ما بعد عهد السلطان محمد الثالث إلى غاية الغزو الفرنسي للجزائر-1245هـ/1790-1830.

لا تكاد تنهي فترة عرف فيها المغرب الاستقرار والأمن إلاَّ وأعقبتها فترات من الفوضى و الفتن و الأزمات ، ذلك أن اليزيد بن محمد الثالث شقا عصر الطاعة عن والدهِ و فشل هذا الأخير في ردِّهِ وكتب اليزيد لجميع العبيد المتفرقين في جهات مختلفة من البلاد فأرسل لِعبيد السوس و عبيد مراكش وعبيد الغرب المتشتين و الذي فرقهم أبوه محمد الثالث[1]. اشتد الصراع حول العرش و بايعهُ أهل شمال المغرب و علماء فاس المولى اليزيد في حين بايع علماء مراكش و الجهات الجنوبية للمغرب أخوه هشام و أنتهى هذا الصراع بمقتل اليزيد .

دخلت البلاد عقب وفاة اليزيد في فتنة و ظهر ما عُرف بالملوك الثلاث من أولاد محمد بن عبد الله ، فتمسك أهل مراكش بدعوة المولي هشام و شايعهُ صاحب أسفي و أعمالها و التف أهل بلاد الهبط حول المولى مسلمة اليزيد و بايع أهل فاس و أعمالها المولى سليمان[2] . ذكر صاحب الإستقصاء نص بيعة أهل فاس للمولي سليمان قائلا :"... فحضرها أهل الوجاهة و ذي الحلّ و العقد ومن إليهم القبول و الرد من علماء أعلام و أصحاب الفتوى و الأحكام وعظماء الأشراف... و ختم قائلا : "... و تمت بيعة السلطان المولي سليمان باتفاق أهل الحلِّ و العقد من الجند و العلماء و الأشراف و سائر الأعيان..."[3].

تدخل العلماء لفض النزاع و إنهاء حالة الانقسام بين أولاد المولى محمد بن عبد الله إلى مسألة الاحتكام للشريعة و أكد المولى سيلمان للشيخ على بن أحمد الوزاني أنهُ مستعد للتنازل إذا حكمت الشريعة إلى غيره، لكن كان الحلم العسكري سيد الموقف[4].

---

(1) الضعيف: المصدر السابق ، ص: 208.

(2) الناصري: المصدر السابق، ج8، ص: 86. ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ .3 اجزاء ،دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء ، ط3 ، 1994، ج3، ص: 128.

(3) المصدر نفسه، ص: 88.

(4) الضعيف: المصدر السابق، ص- ص: 251-252. بروفنسال: المرجع السابق، ص:124.

ما ميز هذه الفترة الوباء الذي عرفهُ المغرب في فترات زمنية متلاحقة[1] و رغم أثارهُ الاقتصادية و الاجتماعية السيئة إلا أنه دعم سياسة المولى سليمان و رسخ سلطتهُ فأصاب وباء الطاعون أخوهُ المولى هشام و تفرقت القبائل من حول المولى مسلمة ولم يبق حوله إلا خاصته و دبّ الضعف في القبائل المتمردة[2].

إن ضعف العلاقة بين السلطة الحاكمة في الجزائر و الطرق الصوفية و الذي وصل إلى حد القطيعة جعل صاحب الطريقة التيجانية يَفرُ إلى فاس[3] و ذكر الناصرى أن أحمد التيجاني قدم إلى فاس بعد أن ضيق عليه باي وهران "محمد بن عثمان" و هددهُ و أرغمهُ على الخروج من أبي سمغون. فخرج التيجاني مع أولاده و بعض تلاميذهِ و سلكوا طريق الصحراء إلى فاس و لَمَّا دخلها بَعث رسولهُ بِكتابهِ إلى السلطان سليمان يُعلمهُ أنه هاجر من جور الترك و ظلمه و استجار بأهل البيت الكريم فَقبلهُ السلطان و آذن له في الدخول عليه و الحضور لمجلسه، و لما اجتمع به و رأى سمتهُ و مشاركتهُ في العلوم و أعطاه داراً معتبرة من دورهِ و أقبل عليه الخلق و اشتهر أمره بفاس و المغرب[4].

2 بيعة أهل تلمسان للمولى سليمان:

وقعت فتنة بين عرب تلمسان و أتراك الجزائر عام 1220هـ و كان سببها أن صاحب وهران قَتل بعض الطائفة الدرقاوية و أمر بالقبض على مُقدمهم أبي محمد بن عبد القادر بن الشريف الفليتي تلميذ الشيخ الأكبر أبي عبد الله سيدي محمد العربي بن أحمد الدرقاوي شيخ الطريقة . ففرّ الأول إلى الصحراء و اجتمعت عليه أهل طائفته و امتعضوا من الترك الذي قَتل بعضهم و نفي مقدمهم عن

---

(1) الضعيف: المصدر نفسه ، ص315. ابراهيم حركات: المرجع نفسه، ج3، ص- ص: 155-156.

(2) محمد المنصور: المرجع السابق: ص:174. لوست فالونسي: المرجع السابق، ص: 32

(3) أبو القاسم الزياني: الروضة السليمانية في ذكر مولك الدولة الإسماعلية و من تقدمها من الدول الإسلامية . مخطوطة ، مؤسسة الملك عبد العزيز ، الدار البيضاء ، و 290.
محمدقاسم مخلوف : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية . تخ و تع : عبد المجيد الخيالي ،جزآن ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1 ، 2002 ، ج1 ، ص: 542.

(4) القادري: المصدر السابق، ج7، ص:2493.

وطنهِ و عشيرتهِ و زحفوا لمواجهة الترك[1]. وقعت الحرب بين باي وهران و الطريقة الدرقاوية حققت الأخيرة انتصارات و حاصروا مدينة وهران وأرسلوا كتابًا للسلطان سليمان طالبين أن يبعث إليهم شيخهم فازدادت شكوتهم ،إتهم باي وهران السلطان سليمان بدعم هؤلاء[2].

رغب أهل تلمسان و قبائلهم في خلع طاعة الترك و مبايعة السلطان سليمان و فُتحت أبواب مدينة تلمسان أمام إبن الشريف و طائفتهِ ، و أخذت البيعة بها للسلطان سليمان و خُطبَ به على منابر مساجدها و كَاتبوا صاحب الجزائر يُعلمونهُ بذلك[3]. قدم الشيخ و وفدهُ من أهل تلمسان إلى السلطان سليمان و أخبروه بِأن الناس في شدة من وجور الترك و بِأنهم طرقوا بابهُ و استظلوا بظل عدلهِ ، رأى المولى سليمان أن يسلك في حقهم و حق الترك مسلكاً حكيماً، فبعث بقائدهِ و الوفد الذي قدم و شيخهم و كتب إلى باي وهران و أصلح بينه و بين رعيته[4].

استرجاع مدينة وجدة من أتراك الجزائر 1211هـ/1796م

استطاع السلطان سليمان أن يسترجع مدينة وجدة و أعمالها من يدِ الترك عام1221هـ/1796م و كتب إلى باي وهران " محمد باشا " أن يتخلى عنها و عن قبائلها أو يأذن بحرب . قبل الباي ذلك ولم يمانع وكتب إلى نائبه أن يتركها و يتخلى عن قبائل بني بزناسن وسقونه[5].

3-بيعة السلطان سليمان لابن اخيه المولى عبد الرحمن بن هشام.

أخمد المولى سليمان أسباب الفتن و الفوضى التي شهدها المغرب عقب وفاة سلطان حيث البلاد إلى التجزئة و التفكك و تتشتت كلمة أهل المغرب ، لذا مَهَّد السلطة لابن أخيهِ المولى عبد الرحمن بن هشام ، أشار الناصري أن المولى سليمان أراد ترك أمر العباد و البلاد لابن أخيه . ترك

---

(1) الناصري: المصدر السابق، ج8، ص:111.

(2) الناصري: المصدر السابق ، ج8، ص: 111.

(3) الضعيف: المصدر السابق، ص: 339.

(4) الناصري : المصدر السابق، ج8، ص:111. عبد الكريم غلاب: المرجع السابق، ج3، ص: 36. ابراهيم حركات: المرجع السابق، ج3، ص:152.

(5) المصدر نفسه: ج8، ص:104.

وصية تناول فيها مسألة انتقال الخلافة و استحضر بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه و أحقيتهِ بالخلافة حيث كان يَخلفُ النبي صلى الله عليه و سلم في الصلاة و هي عماد الدين ثم عمر بن الخطاب... وقال في حقهما مدحاً كبيراً ، و سعياً منه لإظهار حال الرجل-عبد الرحمان بن هشام- أمام الرعية قال ما أظن في أولادي أفضل من مولانا الجد عبد الله و لا في أولادي سيدي محمد والدي و لا أولاد أولادي أفضل من مولاي عبد الرحمن بن هشام و لا أصلح لهذا الأمر غيرهُ ، و أشار إلى الشروط الشرعية للبيعة بأنه تقي لا يشرب الخمر، لا يزني و لا يكذب، لا يخون يصوم و يصلي الفرض و النفل و لِأن الدين النصيحة فإنهُ من أهل الحق و الصلاح و ختم قائلاً :.... كان من اتبعه اتبع الهدى و النور و من اتبع غيرهُ اتبع الفتن و الظلال..."[1] .

4-بيعة أهل تلمسان للمولي عبد الرحمن بن هشام عقب نجاح الغزو الفرنسي على الجزائر1246هـ-1830م.

ذكر الناصري لما وقع بأهل الجزائر ما وقع حيث بَقيت البلاد بلا أمير يَجمعُ كلمتهم و تشتت جَمعهم و غَلب الفساد فيهم، اجتمع أهل تلمسان و تفاضوا في شأنهم و اتفقوا أن يدخلوا في بيعة السلطان عبد الرحمن فلجأوا إلى عاملهِ بوجدة القائد أبي العلاء إدريس بن حمان الجواري و عرضوا عليه أن يتوسط لهم عند السلطان في قبول بيعتهِ ، و إجراء الأحكام بكلمتهِ و سطوتهِ و النظر فيما يُصلح شأنهم و يَحفظهم من العدو إذا جانبهم و عينوا جماعة منهم لِلوفادة إلى السلطان تأكيداً لطلبهم و استعجالا لحصولهِ[2].

قَدمت الوفادة إلى مكناسة في ربيع الأول عام 1245هـ/1830م فأكرمهم السلطان و أجل مُقدمهم و لَمَّا صَرحوا لهُ عَنْ مُرادهم تَوقف في ذلك و استفتى علماء فاس، فأفتى جُلهم بنقيض

---

[1] الناصري: المصدر السابق ، ج8، ص، ص: 164-165.

محمد بن محمد بن مصطفى المشرقي: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية. تح: إدريس بوهلبلة، جزأن ، منشورات وزارة الأوقاف، المغرب، 2005، ط1، ج1، ص: 58. إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج3، ص: 173.

بروفنسال: المرجع السابق، ص: 125.

[2] الناصري: المصدر السابق، ج8، ص:30.

المقصود و عدم القبول و مَردُ ذلك أن إيالتهم تحت السلطان العثماني سُلطان إسطنبول لا زال قائماً موجوداً[1].

عُدت مسألة مبايعة أهل تلمسان لِلمولي عبد الرحمن بن هشام من النوازل الفقهية و صُنفت في باب الجهاد . سارع علماء تلمسان إلى إبطالِ ما أفتى بهِ علماء فاس و كاتبوا السلطان و هو بفاس بِوجوب مبايعتهِ[2].

جاء في الرسالة بعد التبجيل و التفخيم لِملوك المغرب، إن فتوى سَادتنا عُلماء فاس مبنية على غير أساس لأنهم اعتقدوا أن في عُنقنَا بيعة للإمام العثماني و لو صحَّ ذلك لَكان علينا حُجَّة و ليس الأمر كذلك ، إن عامل الجزائر كان مُتغلباً مُتلاعباً بالدين مارس الظلم و الجور و ما يَدلُ على تغلبهِ واستقلاله عدم وقوفهِ عند أمر العثماني و امتثال لهُ ، بل لا يَكترث بهِ أصلاً و لا يتبع لهُ قولاً و لا فعلاً[3]. يتضح من نص الرسالة الموجهة إلى السلطان عبد الرحمن بن هشام مدى قُدرة علماء تلمسان على الإقناع و البينة و هذا ما نَلمسهُ من خلال ما يلي "... و على فرض تسليم أن في عُنقنَا لِلعثماني بيعة فلا تكون علينا حجة لأنهُ تَباعدَ عن قُطرهِ فلم يُغنِ عنا شيئاً مُلكهُ لما بيْننا و بينهُ من المفاوز والقِفار و القرى و المدن و الأمصار على أنهُ ثَبتَ بِتواترِ الأخبار البالغة حد الكثرة و الانتشار أنهُ مُنشغل بنفسهِ و مقره ، عاجز عن الدفاع عن إيالتهِ القريبة فكيف يُمكنهُ مع هذا الدفاع عن قطرنا وناحيتنَا و بلدنا و أدل دليل عن بعده عن هذا المرام خبر مصر و نواحي الشام فقد استولى عليها أعداء الدين مدة تزيد عن خمس فلم يجرِ لهم نفعًا..." [4]. و واصل علماء تلمسان القول بِأن نَصُّ الأبي في شرح مسلم فَصَّلَ في مِثل قَضيتنا قياسًا لِلمسألة قَّدمَ عُلماء تِلمسان شرح مسلم في نص الأبيّ قائلاً : "... إن الإمام لم ينفد في ناحية لِبعد أمرهِ جَاز إقامةُ غيرهِ فيها و نصرهُ بانتظار نُصرتهِ يؤدي

---

(1) المشرفي : المصدر السابق ، ج2 ، ص: 7.

(2) أبي عيسى المهدي الوزاني: النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى المعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب، تح، عمر بن عياد، 3 أجزاء ، وزارة الأوقاف، المغرب، 1997، ج3، ص: 56.

(3) الناصري المصدر السابق، ج8، ص: 28.

(4) المشرقي: المصدر السابق: ج3، ص- ص: 72- 74.

إلى الهلاك و تعدد القائمين و المُلاك و قد تطاولت إليها الأعناق ، و نحن مُقبلينَ على باب نَصركَ و سُدتِهِ داخلين تحت طاعتكَ مُلتزمين لخدمتك مُتوافقين مع القبائل و الأمصار و أهل الرأي و الاستبصار [1].

إن قوة الحُجج أقنعت السلطان عبد الرحمن بن هشام بيعتهم و دخولهم في إيالتهِ و خالف ما أفتى به فقهاء و علماء مدينة فاس و عَقد عليهم ابن عمه المولى علي بن سليمان و دخل تلمسان وفرح به الحُضرُ من أهلها و اغتبطوا و قدمت عليه الوفود من كل ناحية من أهل معسكر و الحشم والمشاشيل و بني شقران و أهل غريس فيما امتنعت قبيلتي الدوائر و الزمالة[2]. أغار الفرنسيون على قبائل بني بزناسن و على وجدة و أعمالها، فأخذ المولى عبد الرحمن بن هشام أسباب الاستعداد التام فحشد الجنود و استنفر القبائل و اتخذت الرايات و التقى الجمعان و انهزم الجيش المغربي و فرض على السلطان عبد الرحمن توقيع الهدنة بعد معركة إيسلي في أعمال وجدة [3].

ثانياً-الوضع الثقافي في المغرب الأقصى زمن الفتن و المحن:

شهد المغرب في العقود التي أَعقبت وفاة السلطان السعدي أحمد المنصور 1012هـ/1603م مخاضاً سياسياً عسيراً بسبب استفحال الصراع بين أولاده على العرش و تنازع الإمارات المحلية في جهات متفرقة من البلاد . أثر الوضع السياسي المتدهور لِلبلاد على الحياة الثقافية العلمية وعرفت ركوداً و فتوراً كبيرينِ.

عانت الحواضر الثقافية الكبرى من ضروب المحن و الفتن ، ما عقد الوضع محاولة السلطان المأمون بن المنصور المُلقب بالشيخ إِصدار فتوى من العلماء تُبيح لِلعدو الإسباني و تُمكنهُ من احتلال مدينة

(1) الناصري المصدر السابق، ج8، ص: 29.

(2) المصدر نفسه ،ج8 ،ص:30.

(3) بروفنسال: المرجع السابق، ص: 127.

العرائش ، هجر العديد من العلماء فارين بدينهم[1]، و تأثرت الحواضر خاصة مدينة فاس-الحاضرة الادريسية- حيث سُدَّ جامع القروبين لِعدة مرات وعُطلت الصلاة فيه عام 1040هـ و/1048هـ/1050هـ و فَرَّ جماعة من عُلماء فاس إلى البوادي[2] . أمام حالات الفتن و المحن و الفوضى التي عَرفتها مختلف الحواضر الكبرى المغربية ، شكلت الزوايا منارات علمية خلال القرنين(10-11هـ/16-17م) فتكاثر عددها و فاقت عدد المساجد[3].ومن أهم تلك الزوايا:

الزاوية الناصرية:

تقع بتامكروت على ضفاف وادي درعة أسسها أبو حفص عمر بن أحمد الأنصاري استقر بها و وفد عليهِ أبو عبد الله محمد بن ناصري الدرعي أقام بها و أقبل على التدريس و نشر العلم و قصدهُ الطلاب من مختلف جهات الصحراء[4]. اشتهر أمر الزاوية داخل المغرب و خارجهِ و تخرج منها عدد من علماء أشهرهم الامام أبو على اليوسي و الرحالة أبو سالم العياشي و تردد على الزاوية وفود من طلبة و علماء تلمسان يَسألونهُ الدخول في زمرتهِ و ما ساعد على انتشارها و إقبال العديد من علماء فاس عليها توجها السُني[5].

الزاوية الوزانية: تأسست على يدِ شريف إدريسي المولي عبد الله بن ابراهيم ، تقع عند التقاء السهل و الجبل، بحكم موقعها الجغرافي لعبت دور الحاجز بين قبائل الطاعة في السهول و القبائل المناوئة في الجبال، هذا ما جعل السلطة الحاكمة تَرغب في استمالتها و توظيفها لِأغراض سياسية و عسكرية[6].

---

(1) ذكر صاحب نشر المثاني في **حوادث** 1018هـ أن محمد الشيخ المأمون مَكَّنَ مدينة العرائش لِلنصارى وبعث للعلماء يأخذ موافقتهم ليدفع اللوم عن نفسه، ففر الشيخ أبو العباس من فاس مع بعض أهله خوفا من الفتن و براءة من الخوض فيها و بقي مختفيا من تلك الفتنة حتى مات بجبل المصامدة.
القادرى : المصدر السابق ، ج3 ، ص:1180.

(2) الناصرى: المصدر السابق، ج5، ص: 22. عبد الله كنون: المرجع السابق، ص: 274.

(3) محمد حجي :الزاوية الدلائية 1964، ص: 56.

(4) المرجع نفسه، ص:57.

(5) محمد المنصور: المرجع السابق، ص: 265.

(6) المرجع نفسه ، ص: 274.

الزاوية الدلائية:

ينتسب أهل الزاوية الدلائية إلى مجاط بطن من صنهاجة[1]، اشتهر أمرها و ذاع صيتها[2] وعدت منارة ثقافية و علمية في زمن الفتن و المحن، أشار عبد الله كنون إلى دورها الكبير في المحافظة على الثقافة الأدبية واللغوية الذي كادت أن تضيع[3].

ازدهرت الزاوية الدلائية في الثُلثِ الثاني من القرن11هـ/17م ، و فدت إليها بعض علماء مدينة فاس لِيدرسوا فيها و ينفرغوا لِلعلم ، فكثرت مدارسها و ازدحمت بالطلاب و حَوتْ على ألف وأربعمائة مسكن ، تكاثر عدد العلماء المنشغلين بالتدريس في مساجد الزاوية سواء من علمائها أو العلماء الوافدين عليها واحتوت خزانتها على عدد وافر من الكتب و شبهها البعض بخزانة الحاكم المستنصر[4]. تصدى علماء الزاوية إلى كل أصناف العلوم الدينية و اللغوية، فاشتهرت الزاوية بعلم القراءات السبع و فَنِّ التجويد و عُقدت بِمساجدها دروس علم التفسير و اهتمت بعلم الحديث رواية ودراية خاصة صحيح البخاري و موطأ الإمام مالك و مُسند الإمام أحمد بن حنبل و كتاب الشفا لِلقاضي عياض، و كانت حلقات العلم يَحضرها العلماء و الطلبة و العلوم. و يُحتفل في كل سنة بِختام صحيح الإمام البخاري. اعتني علماء الدلائيون بِشرح جامع الجوامع لِلإمام السبكي و مختصر شرح الشيخ خليل و بِعلم التوحيد و الفقه و الأصول[5].

مساهمة علماء أهل الدلاء في بعث الحركة الثقافية في الحواضر الكبرى.

عقب الفوضى التي عصفت بالمغرب أزيد من نصف القرن ، دان المغرب الأقصى للسلطان الرشيد فقضى على الإمارات المحلية و استكمل المغرب وحدته الداخلية و قضى على الزاوية الدلائية و ذكر الأفراني أن المولي الرشيد لما توجه لِأهل الدلاء أَطفى جمرتهم و فَرق جمعهم و بدَّدَ شملهم

(1) الأفراني: نزهة الحادي، ص: 274.

(2) بروفنسال: المرجع السابق، ص: 107.

(3) عبد الله كنون: المرجع السابق، ص: 274.

(4) محمد حجي: الزاوية الدلائية، ص 57.

(5) الأفراني: المصدر السابق، ص:277. محمد حجي: المرجع السابق، ص- ص: 72-75.

وكلمتهم [1]. وأشار الناصري أن السلطان الرشيد لما دخل الزاوية غير محاسنها و فرق جموعها و طمس معالمها و صارت حصيداً كأن لم تغن بِالأمس و غرَّب زعيمهم محمد الحاج الدلائي و أهلهُ إلى تلمسان[2].

عانى العلماء الدلائيون في البداية بفاس و وقع عليهم التضيق لكن قيمتهم العلمية أكسبتهم الحظوة و انسجموا بفاس حتي أن السلطان الرشيد كان يُوليهم الكثير من التقدير و حضر بنفسهِ مجالسهم العلمية التي كان يعقدها الشيخ اليوسي[3]. ساهم علماء أهل الدلاء في بعث الحياة الثقافية والعلمية، فتصدوا للتدريس و انتشروا في مساجد مدينة فاس و مدارسها و عَقِدوا حلقات العلم في مجالسها و توجهت طائفة أخرى من أعلام الدلائين إلى مكناسة و استوطنوها طيلة حياتهم منهم الشيخ عبد السلام الشاذلي[4]، الذي تصدى لِلإمامة و الخِطابة بجامعها الأعظم إلى جانب خطة الإفتاء وتخرج على يدهِ عدد وافر من العلماء و خلفهُ بالإمامة أخوه الطيب بن الشاذلي الذي كان عالماً زاهدا اشتغل بالتدريس و الإفتاء في النوازل الفقهية[5].

---

[1] الأفراني: المصدر السابق ، ص: 302. الضعيف : المصدر السابق ، ص:47.

[2] الناصري: المصدر السابق، ج5، ص: 37. بروفنسال: المرجع السابق، ص: 109.
ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي ، ص: 397.

[3] محمد حجي: الزاوية الدلائية ، ص: 241.
ابو على الحسن بن مسعود اليوسي ت(1102هـ) عالم المغرب و أديبه حفظ القرآن الكريم و إنتقل في طلب العلم بين درعة و سجلماسة و مراكش و الزاوية الدلائية، إستقر بها تصدى للتدريس أخذ عنه عدد كبير من مشايخ المغرب نزل بفاس بعد إخلاء الزاوية المذكورة.
عبد الله المرابط الترغي: فهارس علماء المغرب منذ النشأة الى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منشورات كلية الآداب، بتيطوان،1999، ط1، ص:656.

[4] عبد السلام بن الشاذلي بن محمد بن ابي بكر الدلائي فقيه و عالم و مفتي ولد بالزاوية الدلائية بها نشأ و قرأ و أقرأ ثم خرج مع والده و إستقر بفاس ثم رحل الى مكناس و أقام بها مدة تولي الإمامة و الخطابة بجامعها الاعظم و تصدي للتدريس و خطة الافتاء و تخرج على يده مجموعة من العلماء . القادري: المصدر السابق،ج4، ص: 1630.
عبد الرحمنابن زيدان السجلماسي: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس. تح: على عمر، 5 أجزاء ، مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، 2008،ط1، ج5، ص: 422.

[5] محمد حجي: المرجع السابق، ص: 241.

تكونت طبقة جديدة من عُلماء أهل الدلاء الذين ولدوا و نشأوا بمدينة فاس، فكانت صلتهم بالمدينة أشد و أمتن من صلة أباءهم و نجد منهم على سبيل المثال لا الحصر القاضي محمد البكرى الدلائي الذي تصدى لِلإمامة و الخِطابة عام1137هـ/1724م بجامع القروين[1]. و إذا ما تصفحنا في كتب التراجم للأفراني" صفوة من انشر" و القادري" نشر الثاني" نجد عدد وافراً من العلماء و الشيوخ آخر أسمائهم تنتهي بكلمة الدلائي و هذا دليل واضح على أهمية هؤلاء في بعث الثقافية في جهات مختلفة من البلاد.

الوضع الثقافي للمغرب في عهدي الرشيد واسماعيل العلوي""

أشارت المصادر التاريخية إلى تقدير السلطان الرشيد للعلم و العلماء، فكان كثير التردد على المساجد يُجالس العلماء و يحضر حلقات الدروس، فحضر مجلس الشيخ على اليوسي و أعطى له و لِفقيه آخر مائة مثقال و حثهم على نشر العلم و إِتقانهِ فذكرهُ الأفراني قائلا :"... كان محباً للعلماء مؤثرا لأغراضهم مُولعًا لمجالسهم محسناً إليهم حيثُ ما كانوا ، كان جوداً سخياً رحل الناس إليه من المشرق و قصده بعض طلبة الجزائر[2]، ومدحهُ بعض علمائها في بيتين هما

فاض بحر الفرات في كل قطر من ندا راحتيك عذبا فراتا.

غَرِقَ الناس فيه و التمس الفقر خلاصاً فلم يجده فماتا

انتعشت الحركة الثقافية في عهد المولي الرشيد ، فأقبل الناس على التعلم و التعليم و عَمرت أسواق العلم بعدما غفت منذ قديم و أسس مدرسة الشراطين بفاس و أسكن طُلابها و جعل فيها ثلاثة طوابق بعضها فوق بعض و شملت على مائتي و اثنين و ثلاثين بيتا[3] و حبَّسَ لها الكُتبَ.

---

(1) محمد حجي :الزاوية الدلائية ، ص: 243.

(2) ذكر الأفراني أن المولي الرشيد كان سخيا جودا اعطى الاديب ابي عثمان السيد سعيد التلمساني نحو خمسة وعشرين رطلا من خالص الذهب جائزة له على بعض أمداحه، الافراني: المصدر السابق، ص: 302.

(3) عبد الرحمن ابن زيدان: الدرر الفاخرة لمأثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية، الرباط،1937، ص 12.

واصل السلطان إسماعيل على نهج أخيه في بعث الحياة الثقافية و ذكرهُ صاحب نشر المثاني قائلا :"... وجدت الناس في أيامه للعلوم عهداً و أدرك الهناء في أيامه الكثير من الضعفاء و قام فيه الكثير من الناس بالعلم و الدين..." [1]، لم يحد ابن زيدان عن ذلك و أشار" كانت أيام السلطان إسماعيل أمن و عافية لِلرائح و الغَادي، الحاضر و البادي... و كثرت العمارة في كل موضع و أخمدت الشرور و تتابع الرخاء و كثر العلماء الصلحاء...."[2].

و أما اعتناؤه بِجمع الكتب فبذل كل غالٍ و نفيس في تحصيلها فجمع الدفاتر من كل فَنٍّ و حوت خِزانته الإسماعيلية من التصانيف و أسماء التأليف مالم تحوهِ خزانة بغداد[3] و أشار الأفراني أن السلطان بعث بِسفارة إلى ملك إسبانيا " الدون كارلوس " يطلب منه إرسال مائة كتاب من ذخائر المكتبة العربية الأندلسية مقابل عتق الأسرى الإسبان و استرجع خمسة ألاف كتاب و عتق سراح خمسين أسيراً إسبانياً[4]. اقتنى السلطان مولاي اسماعيل الخطاطين المتقنين في نسخ الكتب القيمة وأفضى عليهم بسجايا العطايا [5] وجازى المحصلين من طلبة العلم ومنحهم المناصب الشرعية وشاركته العلماء والاعيان والكتب وأهل الخبرة في تسيير شؤون البلاد، وجالس العلماء في حلقاتهم . وحضر ختم الإمام ابي الله المجاصي في تفسير القران الكريم عام1100هـ[6] وصف الضعيف الحياة الثقافية في عهده

ذكر أن الاشغال لمدرسة الشراطين كان في أوائل شعبان1081 وانتهاء العمل كان في عهد اسماعيل عام 1089هـ، عبد الهادي التازي:جامع القرويين " المسجد و الجامعة لمدينة فاس ". 3 أجزاء ، دار النشر للمعرفة ، الرباط ،ط2 ، 2000 ، ج3 ، ص: 671

[1] القادري: المصدر السابق، ج5، ص 1999.

[2] ابن زيدان: الدرر الفاخرة ، ص40.

[3] عبد الهادي التازي: جامع القرويين" المسجد و الجامعة لمدينة فاس"، دار نشر المعرفة، الرباط، 2000، ط2، ج3، ص668.

[4] الأفراني: صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تح: عبد المجيد الخيالي، مركز التراث الثقافية المغربي، الدار البيضاء،2004،ط1، ص08. الضعيف : المصدر السابق ، ص:73. عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص668.

[5] ابن زيدان: المرجع السابق، ص 40.

[6] الضعيف : المصدر السابق ، ص:70.

قائلا :"...أينعت أغصان جنة العلوم و المعارف وصلحت ثمارها وتفتحت في الإيالة المغربية تمام ازدهارها بعد الذبول..."[1].

الوضع الثقافي في عهد الفوضى والفتن(ازمة الثلاثين سنة).

أثر الوضع السياسي على الجانب الثقافي، حيث عرف المغرب عقب وفاة السلطان إسماعيل الاضطراب و عدم الاستقرار بسبب تنافس أبناء السلطان على العرش و تدخل جيش عبيد في خَلع و تَعين السلاطين و أشار الناصري إلى مدى تدهور الوضع الاجتماعي قائلا : "... فبعدما ساد الأمن وعمّ العدل و فاضت الخيرات و كثرت النِعم و الرخاء فلا قيمة للقمح و الماشية و الرعية تدفع بلا كلفة اشتد الأمر و استفحل و انتشرت الأوبئة و الأمراض و هلك الطاعون خلقاً كثيراً و حدِقت بالأمة الجفاف فارتفعت الأسعار و انعدمت الأقوات و كثر الهرج..."[2].

إن الدعائم الدولة التي شيدها السلطان إسماعيل قام خلفاؤه من بعده بنسف ذلك البنيان الشامخ و بدوا أمن البلاد خوفا و قوتها ضعف فكادت تصير الى ما كانت عليه من الفوضى والانحلال[3].

بعث الحياة الثقافية في عهد محمد الثالث:

رافق الاضطراب السياسي الذي عرفه المغرب طيلة الثلاثين سنة حالة الجمود الفكري والثقافي و مع تولي السلطان محمد الثالث حكم البلاد حاول بعث وإحياء الحياة الثقافية والعلمية.

يُعد السلطان محمد الثالث أول من وضع حجر أساس نظام العدلية و إصلاح الدروس في جامع القرويين و بيَّنَ ما يدرس من العلوم و أصدر عام1203هـ/ 1786م منشوراً بعث بِأوامرهِ إلى كافة علماء المغرب و ألزمهم بإتباع ما ورد في المنشور و التدقيق في تنفيذه[4].

---

(1) الضعيف : المصدر السابق ، ص 34.

(2) الناصري: المصدر السابق، ج7،ص ص 104-107. بروفنسال: المرجع السابق، ص 113.

(3) عبد الله كنون: المرجع السابق، ص271.

(4) ابن زيدان: الدرر الفاخرة ، ص 60.عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج3 ،ص 722.

حوى المنشور على ثلاثة فصول، جاء الأول في خطة القضاء و ذكر قائلا :" أن القاضي الذي ظهر في أحكامه جورٌ أو زورٌ أو ما يقاربُ ذلك من الفتاوى الواهية ، فإن العلماء يَجتمعون عليه و يَعزلونه من خطة القضاء و لا يَحكم لِأحد أبداً..."، و خَصَّ الفصل الثاني في خطتي الخِطابة و الإمامة و قال"... فكل إمام لم يرضهُ أهل الفضلِ و الدينِ من أهل حُومتهِ يَعزلونهُ في الحين و يأتون بِغيرهِ ممن يرضون إمامتهُ..." و عالج الفصل الأخير المدرسين في مساجد فاس و ذكر قائلا" :... فإننا نأمرهم بِأن لا يُدرسوا إلا كتاب الله و تفسيره و كتاب دلائل الخيرات في الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم و من كتب الحديث المسانيد و الكُتبِ الصحيح من البخاري و مسلم و غيرهما و من كُتبِ الفقه المدونة و البيان والتحصيل و مقدمة ابن رشد... و أضاف قائلا :"... من أراد تدريس مختصر خليل فيدرس بشرح بهرام الكبير و الشيخ على الأجهوري و الخرشي الكبير لا غير، فهذه الشروح يُدرس خليل مقصوراً عليها و فيها كفاية و ما عدا هؤلاء يُنبذ [1]، و لا يُدرس و من أرد علم الكلام فعقيدة ابن أبي زيد القيرواني كافية شافية و كذلك الفقهاء الذين يَقرؤون الإسطرلاب و علم الحساب، فيأخذون حظهم من الأحباس لما فيها من المنفعة و الفائدة الكبيرة لِتبيانِ أوقات الصلاة و الميراث و على هذا يكون العلم..." و تابع قائلا – في إشارة على الترهيب – : "... من أراد أن يخوض في علم الكلام و المنطق و علوم الفلسفة[2] و كُتب غُلاةَ الصوفية و كتب القصص فليتعاطى ذلك في دارهِ مع أصحابه ومن يتعاط ذلك في المساجد تالتيه عقوبة فلا يلومن[3] إلا نفسه، هؤلاء الطلبة الذي يتعاطون هذه العلوم الذي نهينا عن قراءتها مرادهم إلا الظهور و الرياء و السمعة..." [4].

---

[1] الجحوي الثعالبي ، محمد بن الحسن : الفكر السامي في الفكر الإسلامي . إدارة المعارف ، الدار البيضاء ،1340هـ ،4 أجزاء ، ج4 ، ص:124.

[2] محمد الأخضر : الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية. دار الرشاد ، الدار البيضاء ، 1977 ، ط1 ، ص :271.

[3] أشار الضعيف أن الشيخ السجلماسي كان يُدرس طلبتهُ في الجامع الكبير سراً لامِيةَ الزقاق و كان يخشى من بطش السلطان ذلك أن لامِيةَ الزقاق عُدت من كتب الفروع المنهية عنها و ذكر قائلا : "... دخل السلطان لِرباط الفتح بعد أن تقدم أمامه الجيش مع نحو خمسمائة من الخيل و بيده المزراق –فقال أين الطلبة ؟ فتوجهوا له فحمل عليهم فرسه حتى فزعوا منه ثم سّلم على الفقيه سيدي محمد بن أبي القاسم السجلماسي و كان إمامه..." الضعيف، المصدر السابق، ص، ص: 188- 197.

[4] عبد الله كنون : المرجع السابق ،ج 3 ،ص:276. التازي : المرجع السابق ، ج3 ،ص: 723.

إن محاولة محمد الثالث إصلاح نظام التعليم في مساجد و جوامع فاس ناتجة عن تجربتهِ كَفقيه و عالم لهُ إطلاع في مختلف فروع المعرفة و خاصة العلوم الشرعية[1] حيث ذكر صاحب نشر المثاني أنه ألَّفَ تأليفاً في الحديث[2] و حارب البدع و أكد على أن مسألة الاعتماد على الفروع الفروع يَقود بالمعرفة الشرعية الإسلامية إلى الانحراف و البدع.

نلمس من المنشور إشارات واضحة حول طبيعة المعرفة العلمية التي ارتبطت بشكل كبير بالجانب الشرعي المنقول منه و المعقول في حين أُغفل عن الطب و الحساب و الهندسة و عليه فإن الوضع الثقافي للمغرب الأقصى لم يكن بعيداً عن جيرانهِ في المنطقة – الجزائر – أو العالم الإسلامي كونها معرفة دينية شرعية. و جلب السلطان كُتب كانت غير معروفة في المغرب الأقصى مثل مُسند الإمام أحمد و مُسند أبي حنيفة و صرح قائلا :"... أنه مالكي المذهب حنبلي العقيدة ..." و سعى من وراء ذلك إلى إضعاف هيمنة العلماء المتمسكين بِتقاليد المالكية و تقوية الدولة و تمكينها من وسائل التدخل في المجال الديني. و حاول توظيف المذهب الحنبلي كمنهج التشريع و استنباط الأحكام مع الدعوة إلى أخذ الأحكام مباشرة من الكتاب و السنة. و عمد السلطان محمد الثالث إلى فتح المجال أمام المذاهب الفقهية إلا أن تشبع العلماء و أهل العلم بالمذهب المالكي حال دون انتشار المذهب الحنبلي.

الوضع الثقافي في المغرب الأقصى في عهد سليمان و عبد الرحمن بن هشام

واصل المولى سليمان على النهج والدهِ السلطان محمد بن عبد الله و رأى أن الانشغال بِبعض الشروح و الحواشي من شأنه أن يشحذ الفكر و فيما يتعلق بِمختصر خليل كان يرى عكس والدهِ ذلك إنه يساعد على فهم المسائل الفقهية[3]، أشارت المصادر إلى حرص السلطان سليمان على دراسة الحديث والتفسير والعقيدة ويشارك العلماء في المسائل المهمة ومجالس الفقهاء وحاورهم وناقشهم في مسائل دينية ودنيوية وألّف السلطان بمعية شيخه محمد الطيب بن كبران مصنفاً تناول مسائل الكسب.

---

[1] الناصري: المصدر السابق، ج8، ص66.

[2] القادري: المصدر السابق، ج7، ص2443.

[3] الحجوي الثعالبي : المرجع السابق ، ج4 ، ص: 224.

إن ما ميز عهد السلطان سليمان تزامنهِ مع أخبار الحركة الوهابية بالمشرق و كانت الأخبار و الروايات تَفدُ إلى البلاد ما يؤكد أن المنطقة لم تكن في معزل عن الأحداث الواقعة في العالم الإسلامي. كانت الحركة الوهابية تتعارض في جوهرها عن التقاليد الراسخة في المجتمع المغربي من حيث التبرك و التعلق بالأولياء الصالحين و التقرب إليهم و أشار محمد المنصور أن المولى سليمان كانت له بعض التحفظات حول جوهر العقيدة الوهابية خاصة ما يتعلق بمسألة الإيمان و التكفير ومكانة الأنبياء و الأولياء بالنسبة لعقيدة المسلم، فزيارة القبور من طرف العامة عدّت من الشركيات و يلحق صاحبها بالمشركين الذين تَحلُ دماؤهم في حين رفض السلطان سليمان ذلك و سلك مسلك علماء المالكية القائلين بأن المعصية مهما كَبُ شأنها فهي لا تُخرج صاحبها من دائرة الإيمان، أما مسألة زيارة القبور فميز السلطان سليمان بين أولئك الذين يلجؤون إلى شفاعة الأولياء و هم واعون بأن الله وحده هو الكفيل بالاستجابة إلى دعواتهم و أولئك الذين يتوجهون إلى الأولياء و هم يعتقدون أن لديهم القدرة على جلب منفعة أو دفع مضرة [1].

إن حالات الفوضى و انعدام في الحرمين الشريفين و نجاح الحملة الفرنسية في مصر 1798م عَطّل حركة ركب الحجيج المغربي[2] ما جعل سفارة من الحجاز تَفدُ إلى مدينة فاس ، الأمر الذي جعل السلطان سليمان يبعث وفداً رسمياً (عام1811م) يَضمُ ولدهُ إبراهيم و قاضي مراكش محمد الزداغي و عالم فاس الشيخ العباس بن كيران لِيقف و يستوضح عن الحركة السلفية في الحجاز[3] . عاد الوفد المغربي و ذكر أنه لم يشاهد أو يسمع أي أمر مخالف للشريعة ، لم تساهم هذه التأكيدات في تقليل من مخاوف بعض شيوخ و علماء المغاربة من الحركة الوهابية و لم تزد القوى المحلية الدينية المحافظة إلا اشتداداً ما جعل السلطان سليمان في شبه عزلة[4].

---

[1] محمد المنصور : المرجع السابق ، ص: 216.

[2] عطلت حركة الحجيج المغاربة على المستوى الرسمي أما على مستوى الأفراد والجماعات سار الأمر بشكل طبيعي.

[3] الضعيف : المصدر السابق ، ص:378.

[4] محمد المنصور : المرجع السابق ، ص : 238.

واصل السلطان عبد الرحمن بن هشام على نهج سلفهِ باعتنائه بالعلم و العلماء و عُدَّ ثاني المنظرين لِنظام التعليم و التدريس بالقرويين بعد محمد الثالث، فبعث السلطان إلى قاضي فاس رسالة يشكوا فيها من قلة التحصيل و الإفادة لطلاب العلم و مخالفة الفقهاء عن عادة الشيوخ فالفقيه يبقى في سلكة مختصر الخليل بضع سنين و الألفية في عامين وهذا ما يجلب الأقوال الشاذة و كثرت التشعب تجعل المتعلم لا يدرك الصحيح من السقيم و تجد الطالب يَرحلُ في طلب العلم من بلاده و يتغرب عن أهله و أولاده و ترى الفقهاء يكثرون على المبتدئ من الحواشي والاعتراضات و هذا يؤدي إلى ضياع العلم . أكدّ السلطان عبد الرحمن بن هشام على مسألة الأخذ بالمشايخ السابقين حيث كان هؤلاء ينزلون إلى عقول الطلبة على قدر إفهامهم و يحرصون على نفع طلبة العلم و يسهلون لهم طُرقَ العلم و أكدّ أن جهابذة العلم كانوا يَسردونُ خليلاً في أربعين يوما و الألفية في أقل من ذلك و يحصل الطلبة على علوم جمة[1].

نستخلص من خطاب الملكي الذي وجهه السلطان عبد الرحمن بن هشام إلى شيخ القرويين وقاضي قضاة مدينة فاس أن هناك حالة جمود فكري و علمي الذي عَرفهُ المغرب حيث اقتصرت العلوم على شرح المتون و الحواشي و الاستدراكات و إن مجالس العلم و حلقات الدروس عَرفت اضطرابا و فوضى ، وجب إعادة إصلاح و تنظيم نظام القرويين. صاحب هذه التغييرات حركة علمية نشطة تجلت في ميدان الإفتاء و في ظل تطور الأحداث التي عرفتها المنطقة خاصة في الجزائر اجتهد علماء فاس و أفتوا بعدم قبول بيعة أهل تلمسان للسلطان عبد الرحمن لأسباب فقهية و ظهرت قدرة علماء تلمسان على الإقناع فأجابهم السلطان بالقبول و أبطل ما أفتى به علماء فاس.

يمكن استنتاج بعض النقاط من هذا المبحث

1. كان المغرب قبل قيام الدولة العلوية عبارة عن فسيفساء جغرافية سياسية موزعة بين زعمات محلية ، ساعدت الظروف قيام الدولة العلوية و استفادت من التطاحن بين الزعمات المحلية مما جعلها تضعف أمام تصاعد قوة العلويين.

[1] التازي : المرجع السابق ،ج3 ، ص: 728.

2. غالبا ما تنقضي عهد من القوة و الاستقرار إلا و يعقبها فترات من الفوضى و الفتن بسبب التنافس على العرش.

3. إن إنشاء قوة عسكرية منظمة رسمية ممثلة في جيش عبيد جعل السلطان يستغنى عن القبائل لِتشكيل الجيوش ما مكن السلطان من فرض قوة وسلطان الدولة المركزية من جهة واشتغال القبائل بالأرض والفلاحة عَوَّضَ حمل السلاح ساهم في الرخاء الاقتصادي خاصة في عهد السلطان إسماعيل.

4. شَكل جيش العبيد عملة واحدة لوجهين مختلفين فهو عامل استقرار و أمان في عهد السلطان إسماعيل من جهة و عامل اضطراب و فتن و فوضى عقب وفاته جعل البلاد تعيش أزمة ناهزت ثلاثة عقود.

5. إن قوة و ضعف السلطة الحاكمة مرتبطة بدرجة طاعة و عصيان القبائل.

6. إن الفتور في العلاقة بين السلطة الحاكمة بالجزائر و بعض الطرق الصوفية و الذي وصل إلى حد القطيعة و الحروب جعل هذه الأخيرة تتجه نحو المغرب.

7. إن سقوط تعز الجزائر في يدِ الفرنسين1245هـ/1830م وَلَّد حالة استنفار للقوى المحلية داخل البلاد و جعلها تسعى إلى كسب طاعة السلاطين العلوين.

- **الجانب الثقافي :**

1 . لم يختلف وضع المغرب ثقافيا عن بقية الدول المجاورة – الجزائر– وحتى المشرق فكان الطابع الديني هو السائد حيث ميزه تقليد القدامى من شرح الحواشي والمتون والاستدراكات.

2. إن الاضطرابات السياسية التي عرفها المغرب والتي كانت في معظمها تتنافس على العرش أثرت بشكل كبير على الحواضر الثقافية الكبرى خاصة مدينة فاس ما جعل تلك الحواضر تعرف ركودا ثقافيا وعلميا بسبب هجرة أغلب علمائها إلى البوادي والزوايا.

3. حافظت الزوايا على الموروث الثقافي في المغرب و عُدت منارات علمية استقطبت العلماء و أهل العلم في زمن الفتن و المحن.

4. قدر السلاطين العلويين من السلطان الرشيد مرورا بإسماعيل ومحمد الثالث وصولا إلى سليمان وابن أخيه عبد الرحمن بن هشام العلماء والفقهاء وشاورهم في المسائل المهمة ويرجع ذلك أن معظم السلاطين كانوا فقهاء ومنهم من كان له تأليف في فروع المعرفة الشرعية.

5. ارتكزت الحياة الثقافية بالمغرب على جهود رسمية حيث اهتم السلاطين العلويون بتشييد مختلف المؤسسات الثقافية من مساجد وجوامع ومدارس وزوايا دون إغفال دور الجهود الفردية لذلك.

6. قوة تشبع المغاربة بصفة عامة و العلماء و طلبة العلم بصفة خاصة بالمذهب المالكي حال دون نجاح و انتشار المذاهب الفقهية الأخرى خاصة الحنبلية.

7. إن اهتمام السلاطين العلويين (محمد الثالث وسليمان وعبد الرحمن) بإصلاح نظام التعليم في القرويين ساهم بشكل كبير في بعث الحياة الثقافية في المغرب.

الفصل الثاني:

عوامل التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب

المبحث الأول :القواسم المشتركة بين البلدين

1) العامل الجغرافي
2) العامل البشري
3) العامل الديني
4) العامل الثقافي
5) العامل السياسي

المبحث الثاني :

أهم مراكز التواصل الثقافي في البلدين

1) في الجزائر
2) في المغرب الأقصى

مقدمة الفصل الثاني :

عـــــــوامل التـــواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب الأقصى

إن الإلمام بتاريخ بلد ما لم يعد يقتصر على دراسة تاريخه السياسي و علاقاته الخارجية مع مختلف البلدان بل إمتد إلى دراسة بقية جوانبه الأخرى منها الجانب الثقافي ، و في هذا الفصل الموسوم " التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب " و قسمناه إلى مبحثين ، الأول عالجنا فيه القواسم المشتركة بين البلدين من حيث البنية الجغرافية و البشرية و الثقافية و المذهبية بين البلدين و إلى دور حكام البلدين في التواصل الثقافي . في حين جاء المبحث الثاني لدراسة أهم مراكز التواصل الثقافي بين البلدين . و من ثم نطرح التساؤلات التالية :

1- ما مدى تأثير وجود قوة سياسية وبشرية– الأتراك العثمانيون في الجزائر – في عملية التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب؟

2- ما مدى مساهمة القرب الجغرافي في فعالية التواصل الثقافي بين البلدين ؟ و هل يكفي هذا العامل بمفرده ؟

3- ما هو دور حكام البلدين في التواصل الثقافي ؟ بمعنى آخر كيف تعامل حكام البلدين في حركة الهجرة تنقل الأفراد و الجماعات ؟

مقدمة المبحث الأول:

القواسم المشتركة بين البلدين

أن عملية التواصل الثقافي تساهم في تقدم الشعوب و لا نتصور وجود شعب من الشعوب بمعزل عن التيارات الثقافية و الحضارية المحيطة به و لاسيما بجيرانه . فهل يكفي القرب الجغرافي في بعث التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب ؟ أم هناك عناصر جمعت بين البلدين أكثر مما فرقتهم ساهمت في فعالية التواصل الثقافي ؟و إلى أي مدى أثر وجود قوة مغايرة سياسية و بشرية و أقصد حكام الجزائر الأتراك العثمانيون في قوة أو ضعف التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب ؟

أ- القواسم المشتركة بين البلدين

1- العامل الجغرافي (تشابه البنية الطبيعية):

الجزائر والمغرب بلدان متجاوران لا يفصل بينهما حدود طبيعية فهما على امتداد واسع يشرفان على المتوسطي في الشمال ويغوصان إلى الجنوب في بلاد السودان الغربي، و هناك تشابه كبير في المظاهر التضاريسية فسلسلتي الاطلس التلي والصحراوي بالجزائر هي امتداد طبيعي لجبال الاطلس والريف بالمغرب الأقصى وما يتخللها من سهول وهضاب وضروب ومسالك[1].

إن اتساع الرقعة الجغرافية للبلدين ساهم في تعدد الاقاليم المناخية فالمناخ المتوسطي في الشمال وشبه رطب في الوسط و الصحراوي في الجنوب[2]، ثم إن البلدين عرفا حالات من الجفاف والقحط[3] في فترات زمنية من القرنين(11-12هـ/17-18م) أثر ذلك على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فارتفعت الأسعار في الجزائر وتم حضر تصدير القمح من وهران وقسنطينة واستمر القحط إلى سنة 1816م، ولم يسلم المغرب هو الآخر من حالات الجفاف والقحط و قد وصِف العقد الثاني من القرن 12هـ-18م

---

(1) عمار بن خروف: المرجع السابق، ج2، ص 07.

(2) يتميز المغرب بمناخ محيطي لإشرافه على الواجهة الأطلسية.

(3) الضعيف: المصدر السابق، ص315. لوسيت فالونسي: المرجع السابق، ص- ص 32-33.

بسنوات الجفاف 1822م-1823م-1825م فمات خلق كثير جوعا في المدن الكبرى بفاس ومكناس والرباط الفتح وطنجة وتيطوان[1].

رافق حالات الجفاف والقحط في البلدين انتشارا واسعًا لوباء الطاعون والجذري وغدى المنطقة- الجزائر والمغرب- على حد وصف بعض الباحثين ملغوما بالوباء والكوارث والمرضى، ففي نهاية القرن 12هـ-18م، اجتاح المنطقة وباء الطاعون قادما من الاسكندرية مع ركب الحجيج، فاجتاح تونس ثم الجزائر سنة1784م[2] وامتد ليشمل جزئها الشرقي ثم الغربي، بمعسكر ثم تلمسان سنتي1790-1791م ليظهر بالمغرب الأقصى عام1799م ويتسرب إلى فاس ومكناس وفحص طنجة وإقليم السوس جنوبا ثم يعم البلاد ليظهر من جديد عامي 1817م-1819م وانتشر في المدن والارياف وحصدت هذه الكوارث الطبيعية خلقا كثيرا[3].

- الطرق والمواصلات بين البلدين:

أشارت كتب الرحالة و الجغرافيون إلى وجود ثلاثة طرق رئيسه تربط البلدين اثنان منها بريان ولآخر بحري، هذا الأخير كان يصل أهم موانئ المغرب الأقصى على الاطلسي كالعرائش وسلا بموانئ طنجة وتيطوان وباديس على البحر المتوسط مرورا بموانئ بوهران وبجاية قبل احتلالهما من طرف الإسبان ثم الجزائر وصولا إلى عنابة، ذكر التمغروتى صاحب النفحة المسكية في السفارة التركية إلى مراحل هذا الطريق بين الجزائر والمغرب عام 997هـ-1589م[4]. أما الطريقان البريان، فأحدهما شمالي من فاس إلى تازة فوجدة مرورا بتلمسان ثم معسكر ومازونة في الجزء الغربي للبلاد ثم مدينة الجزائر ومنها إلى بجاية وقسنطينة وصولا إلى تونس، وكان يتفرع من قسنطينة طريق يؤدي إلى بسكرة وهو الطريق الذي يسلكه ركب حجيج الجزائر من الشمال لينضموا إلى قافلة الحجيج المغربي، في حين

---

(1) ابو القاسم الزيانى: الترجمانة الكبرى، ص151.

(2) ذكر الزهار أنه في سنة 1201هـ شهدت الجزائر وباء وحصد خلقا كثيرا ووصفه بالوباء الكبير وأحصى عدد الأموات ووصل الى خمسمائة جنازة، وطال هذا الوباء إلى سنة 1211هـ

الزهار: المصدر السابق، ص:51. Venture de Paradais :op, cit ,p ,p 31-52

(3) محمد المنصور: المرجع السابق، ص، ص: 169-173.

(4) أشار التمغروتي الى مكان الانطلاق تيطوان مرورا بهنين منفد تلمسان البحري ثم مستغانم وتنس وشرشال ومنها إلى مدينة الجزائر وصولا إلى عنابة ومنها إلى القطر التونسي.

التمغروتي:المصدر السابق ص:07.

الطريق الثاني جنوبي مراحله من تافيلات بسجلماسة بالجنوب الشرقي للمغرب فبسمغول بالجنوب الجزائري فالغاسول ثم عين ماضي بالأغواط مرورا ببسكرة ثم سيدي عقبة وصولا إلى الجنوب التونسي[1].

تعد منطقة توات محطة وملتقى تجار الشمال بالصحراء وبلاد السودان الغربي حيث تستريح قافلة الحجيج ويتم تبديل العملة وذكر العياشي[2] أن الركب أقام بتوات ستة أيام وتم بيع الخيل وما ضعف من الإبل واشترت القافلة ما تحتاج إليه وأضاف العياشي قائلا "... وهذه البلدة مجمع القوافل من بلاد أكدّز من أطراف السودان ويوجد فيها من البضائع والسلع..." [3].

عادة ما شرع السالكون في سفرهم وترحالهم في بداية فصل الشتاء وذكر العياشي مختلف مراحل الطريق الصحراوي الجنوبي ووصف حالته أنه يفتقد إلى التمهيد وتزداد صعوبته مع اضطراب الأمن وانعدامه أحيانا ليس فقط في حالة نزاع أو حرب بين الجزائر و المغرب بل بسبب انتشار قطّاع الطرق خاصة في المناطق البعيدة عن مركز الدولتين ما يؤثر سلبًا على تنقل الأفراد و الجماعات بين البلدين حيث أشار العياشي إلى اعتداءات قطّاع الطرق في أكثر من موضع قائلا "... فأولاد صولة قد أغاروا عليهم... ونزلنا بسكرة لشراء الزاد ووجدنا الركب الذين قدموا أمامنا ونزلوا داخل المدينة وسمع الرحالة سكان المدينة من عرب أولاد نصر بن بوعكاز وحذروهم من غاراتهم..."[4] وأشار الضعيف إلى مهاجمة ركب الحجيج[5] وتحدث الناصري على نهب أعراب أنكاد لركب الحجيج المغربي و مهاجمتهم[6]، ولم تكن تكن الطرق البحرية أفضل حالا من الطرق البرية فكثيرا ما تعرضت السفن المغربية والجزائرية التي تحمل التجار والحجيج والبضائع إلى هجمات القراصنة الاوربيين[7].

---

(1) العياشي :المصدر السابق 1، ج1، ص- ص:79-80.

(2) عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف العياشي (ت1090هـ/1679م) رحالة مغربي من قبيلة آيت عياش بسجلماسة أجازه الشيخ عبد القادر الفاسي له عديد من التصانيف منها اقتفاء الاثر بعد ذلك الاثر، اتحاف الاخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء وماء الموائد أو ما يعرف بالرحلة العياشية تصدى للتدريس بالمدينة المنورة أجاز واستجازة. الأفراني : صفوة ،ص:325. مخلوف : المرجع السابق ، ج1 ، ص:454.

(3) العياشي: المصدر السابق، ج2، ص: 539.

(4) العياشي : المصدر نفسه ، ج1 ، ص :80.

(5) الضعيف: المصدر السابق، ص:278.

(6) الناصري: المصدر السابق، ج8، ص ص:93-94.

(7) عمار بن خروف: المرجع السابق،ج2، ص: 16.

غالبا ما تكون العلاقات اخوية وودية بين ركب الحجيج والاهالي، فبادر سكان القرى والمدن بإطعام [1] الضيوف وإكرامهم وفُتح الحديث معهم حول مسائل مختلفة فقهية أو دينية.

2- العامل البشري:

إن النسيج الإجتماعي القائم في المنطقة كان أساسه قبلي، فالقبيلة هي عماد النظام ومحوره تألف النسيج الاجتماعي للمنطقة –الجزائر والمغرب– في معظمه على عناصر رئيسة من البربر والعرب وأخرى فرعية سودانية وأندلسية وحتى أوروبية، يكاد تكون التركيبة الاجتماعية واحدة[2] .

من العسير أن نجد تعريفا موحدا لمفهوم القبيلة فالأمر مرتبط بانتماء القبيلة اللغوي بربرية أو عربية أو حسب نمط عيشها من قبائل مستقرة او قبائل منتقلة من مكان إلى أخر او حتى حسب علاقتها بالسلطة الحاكمة بين قبائل مخزنية مستقرة تعبر عن واقع سياسي و عسكري و إداري او اخرى متمردة مناوئة للسلطة الحاكمة تقطن مناطق بعيدة عنها او في مناطق ذات تضاريس معقدة و صعبة[3] .

إن القبيلة تكبر و تتشعب و تستقطب عناصر أخرى و تشكل قبيلة واسعة كما أنها تتعرض لعوامل التفكك و التشرذم بفعل عوامل داخلية كصراعات مع بقية القبائل الأخرى حول مناطق معينة أو مع صراعها ضد السلطة المركزية أو بفعل عوامل خارجية متمثلة في التهديد الخارجي[4].

شملت القبائل البربرية بطون وأفخاذ وفصائل لا حصر لها، نجد منها البرانس والبُتر أما الأولى فانقسموا إلى سبع منها صنهاجة وكتامة وأوربة ومصمودة وعجيسه شكلت قبائل صنهاجة نحو ثلث البربر منهم بني زيري بن مناد وملوك افريقية والملثمون مُلوك مراكش ومن المصامدة نجد برغواطة في حين أخرى شملت زناتة في جبل اوراس وبنو زيان ملوك تلمسان وبنو مرين ملوك فاس[5].

---

[1] يستغرق قطع الطرق البرية اكثر من شهرين، فتقطع القوافل مسافات طويلة دون أن تصادف عمارة او بئرا.
مولاي بلحميسي: المرجع السابق، ص: 24.

[2] أشار الكتاني في مقدمة تحقيق الكتاب "زهر الاس في بيوتات أهل فاس" أن خمسي سكان مدينة فاس من أصول أمازيغية والثلث من أصل عربي والخمس من أصل أندلسي والثُمن من أصول مختلفة.
عبد الحي الكتاني: زهر الاس في بيوتات أهل فاس، تح: علي بن منصر الكتاني، منشورات الدار البيضاء، المغرب، ج1، ط1، 2002، ص: 65.
عمار بن خروف: المرجع السابق، ص: 98.

[3] محمد المنصور: المرجع السابق، ص:24.

[4] عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط1968، ج1، ص: 81.

[5] ابن خلدون، عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون"" ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العربي والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"". 8أجراء ، دار الفكر، بيروت،ج7، ص:11.

تعود أصول القبائل العربية في الجزائر والمغرب إلى ثلاث قبائل رئيسة وهي: قبائل بني هلال وبنو سليم وهؤلاء من عرب الشمال في حين قبائل بني معقل ينتمون إلى عرب الجنوب، أشار الوزان إلى إمكانية تحديد مواطن القبائل العربية والبربرية، فقبائل بنو عامر المعقلية كانت على تخوم تلمسان ووهران وقطنت قبائل بنو سليم بالقرب من وادي درعة بصحراء تافيلات[1].

كان لإبن خلدون الفضل في إعطاء معلومات هامة و مفصلة عن قبائل المنطقة –الجزائر والمغرب– فقد تتبع شعوب المنطقة وتعقب مواطنهم الأصلية وتنقلاتهم، ولاحظ مدى الاندماج والانصهار بين مختلف القبائل البربرية والعربية رغم اختلافاتها فقد اشار على سبيل المثال لا الحصر إلى ذوبان بعض القبائل المعقلية بصنهاجة [2]، غير أن عبد الوهاب بن منصور اكدا على مسالة صعوبة تحديد خريطة لمواطن القبائل البربرية والعربية في ظل التحولات والتطورات العميقة التي شهدتها المنطقة مؤكدة على مسالة الاختلاط السلالي بين معظم قبائل المنطقة وخضوعها لقوانين الهجرة بحثا عن الرزق والكلأ أو حتي في ظل صراعها مع السلطة المركزية[3]. وأشار ابراهيم حركات في مؤلفه ""المغرب في التاريخ"" إلى مسالة هجرة وترحيل القبائل حيث تم نقل الشراقه وهم خليط من القبائل العربية كأشجع وبنو عامر والقبائل البربرية كمديونة وهوارة وبن سنوس التي كانت تحت النفوذ العثماني وهجروا من مناطق تلمسان وغرب الجزائر ولجأوا إلى المغرب ونقلهم المولى الرشيد 1081هـ–1670م إلى أحواز فاس[4] و في المقابل قام المولى الرشيد بعد القضاء على الزاوية الدلائية، وأمر اهل الدلاء يحملوا إلى فاس وسكنوا بها، واستوطنوها مدة ثم أمر أن يذهب بهم إلى تلمسان فغُربوا إليها وسكنوها مدة، ولما دخل محمد الحاج الدلائي وأولاده تلمسان قال وجدت في بعض الكتب الحدثان أني أدخل تلمسان فظننت أني أدخلها دخول الملوك فدخلتها[5].

3– العامل الديني: الجذور التاريخية للذهب المالكي في المنطقة.

لم يقتصر دور الفاتحين للمنطقة –الجزائر والمغرب– على قيادة الجيوش الإسلامية، بل تعد عملية الفتح إلى نشر تعاليم الدين الاسلامي خاصة أن أهالي المنطقة حديثوا العهد بالإسلام واشتد عضد

---

(1) محمد الحسن الوزان: وصف إفريقيا . تر : محمد حجي و محمد الأخضر ، جزآن،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ،1983،ج1، ص– ص: 50–53.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق ،ج7 ،ص: 24.

(3) الناصري: المصدر السابق، ج7، ص: 41. عمار بن خروف: المرجع السابق، ج2،ص: 99.

(4) ابراهيم حركات: المرجع السابق،ج1،ص: 466.

(5) ليفي بروفنسال: المرجع السابق ، ص: 110.

الدعوة الاسلامية مع ارسال التابعين ليفقهوا أهل المنطقة وعليه بدأت التيارات الفقهية تفد من المشرق إلى المغرب[1].

كانت منطقة الغرب الاسلامي مجالا خصبًا للعديد من المذاهب الفقهية، فعرف المذهب الخارجي الإباضي انتشاراً في جبل نافوسة والمغرب الأوسط والمذهب الصفري بصحراء تافيلات بسجلماسة ووفد المذهب المالكي إلى المنطقة عن طريق الحجاج وطالبي العلم القادمين من الحجاز ومصر والذين تتلمذوا على يد الامام مالك، أشارت كتب التراجم إلى عدد كبير من فقهاء المالكية بالمنطقة ونذكر على سبيل المثال لا الحصر عبد الله فروخ الذي شهد له الامام المالك بعلمه ووصفه بفقيه افريقية وعبد الله بن غالم وعبد الرحمن بن اشرس واسد بن الفرات والامام سحنون، هذا الاخير ساهم بشكل كبير في نشر وترسيخ المذهب المالكي في قلوب المغاربة[2].

انتشرت تصانيف ومؤلفات الفقهاء المالكية، وتناولت مدونة الامام مالك بالاختصار والتهذيب والتنقيح ومن أهم هؤلاء ابن أبي زيد القيرواني (ت996هـ) وابن الحاجب (ت1248م) وخليل ابن اسحاق(ت1374م) و هم صاحب المختصر المشهور بِمختصر خليل، استطاع هذا الاخير ان يسطر على مختلف الدراسات الفقهية المالكية من خلال الشروح والحواشي والتي سمحت له ان يحتل المرتبة الثالثة بعد القرآن الكريم ثم السنة النبوية الشريفة[3].

سيادة المذهب المالكي في المنطقة –الجزائر والمغرب–

تعلق قلوب المغاربة –الجزائر والمغرب – بالمذهب المالكي رغم الصعوبات والعراقيل التي واجهت إنتشاره في حقبات تاريخية معينة، وأرجعت الدراسات نجاح وانتشار المذهب المالكي في المنطقة إلى ما يلي.

1) شخصية صاحب المذهب الامام مالك بن انس حيث تمسك بالسنة وحارب البدع إلى جانب انتمائه إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعدت المدينة المنور حاضرة الاسلام ومركزه ولقب بإمام دار الهجرة.

---

[1] موسى لقبال : المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، م، و، ك، الجزائر 1984،ص: 132.

[2] حسن على حسن : الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس، مكتبة الخانجي، مصر،1980،ط1، ص: 463.

[3] عمر الجيدي: محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الاسلامي، عكاظ، المغرب،1987، ص : 31.

2) تشابه البيئتين الحجازية والمغاربية حيث يميل المذهب المالكي إلى الشدة و القساوة بعيدا، عن مظاهر الترف ووجد المغاربية أنفسهم في راحة نفسية فالتفوا حوله وتعصبوا له وحاربوا من اراد ازاحته.

3) كثرة أصوله التشريعية حيث شمل القران الكريم والسنة النبوية ثم الاجماع والقياس ثم الأعراف ما يتيح للمفتي سبيل اختيار اصلحها واقربها إلى الحق والعدل وهذا ما يتماشى وبنية المجتمع المغاربي الذي هو خليط ونسيج اجتماعي متنوع ومن ثم فإن الفقه المالكي فقه عملي مرتبط بالواقع ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم.

إن سيادة المذهب المالكي في المنطقة –الجزائر والمغرب– كان عاملا اساسيا في عدم نجاح اتجاهات مذهبية وعقائدية أخرى وبالتالي قلص من فرص ظهور دعوات دينية تزاحم المذهب المالكي، فبالرغم أن المذهب الحنفي كان موجودا في الجزائر خلال العهد العثماني إلا أن السواد الأعظم من المجتمع لم يعتنقه وبقي منحصرا في فئة الاتراك العثمانيون ويرجع ذلك إلى ما يلي:

– قلة العنصر التركي حيث لم يتجاوز عدد أفرادهم أواخر القرن10هـ/16م العشرة ألاف ولم يزد أوائل القرن11هـ/17م عن أثني عشر ألف وظل هذا العدد تقريبا ثابتا حتي اوائل القرن 13هـ/19م وبالتي لم يخل بالتركيب الاثنوغرافي للمجتمع[1].

– فضَّل الكثير من الاتراك العثمانيون التمسك بلغاتهم وعاداتهم وأسلوب عيشهم ونمط حياتهم في عزلة [2] وانغلاق عوض الاندماج والانصهار مع الاهالي.

– إن فئة الاتراك العثمانيون لم تستطع أن تؤثر في البنية الاجتماعية رغم المدة الطويلة التي قضتها في الجزائر ثم أن تأثيرهم لم يتعدى الأنظمة الإدارية والألقاب العسكرية وبقيت لغتهم لغة ادارة ولم تصل إلى مستوى التواصل اللغوي مع الاهالي [3].

– فضل الاتراك العثمانيون عدم التدخل في الشؤون الخاصة للأهالي، فلم يفرضوا المذهب الحنفي على الأهالي ولم يقصوا المذهب المالكي بل كان المفتي والقاضي المالكي إلى جانب القاضي والمفتي الحنفي في المجالس العلمية لحل القضايا المستعصية، ثم انهم تركوا للفقهاء المالكية التصرف التام.

---

[1] أبو راس الناصرى : عجائب الأسفار ولطائف الأخبار (مقدمة التحقيق)، ص: 34.

[2] وليم سبنسر: المصدر السابق، ص: 82.

[3] وليام شالر: المصدر السابق، ص: 39.

في الأحباس وريْعها ولم يفرضوا أئمة أو قضاة حنفيين إلّا في المدن التي كانت فيها جاليات عثمانية[1].

لم يختلف وضع المغرب كثيرا عن وضع الجزائر مذهبيا، فلقد ترسخ المذهب المالكي بالمغرب الأقصى وتعلق قلوب المغاربة به واهتموا بالتعمق فيه حيث شرحوا المتون والحواشي والاستدراكات والتعاليق وأفتوا به.

انفتحت السلطة الحاكمة في المغرب الأقصى أمام المذاهب الفقهية المشرقية في مرحلة من المراحل التاريخية للمغرب الأقصى، و وفدت إلى البلاد كتب كانت غير معروفة بالمغرب الأقصى مثل مُسْند الإمام أحمد بن حنبل ومُسْند أبي حنيفة و صَّرح المولى محمد الثالث سلطان المغرب أنه مالكي المذهب حنبلي العقيدة[2] و حاول السلطان توظيفه كمنهج للتشريع واستنباط الاحكام مباشرة من الكتاب والسنة، ومع زوال عهد المولى محمد الثالث عاد العلماء المغاربة إلى تقاليدهم المذهبية المالكية وأشار الضعيف أن محمد بن أبي القاسم السجلماسي رجع إلى تدريس مختصر خليل عقب وفاة السلطان محمد الثالث ، وأكد المغاربة على مقولة نحن خليليون إن ضلّ ضللنا وإن اهتدى اهتدينا[3].

يمكن القول أن سيادة المذهب المالكي في البلدين ساهم في حركية انتقال الأفراد والجماعات، طلاب وعلماء بين مختلف المراكز والحواضر العلمية للبلدين.

العامل السياسي.

كان حكام الاتراك العثمانيون في الجزائر معظمهم رجال حرب وسياسية، لم يهتموا بمجالس العلم والعلماء والبعض منهم لا يفقهون علوم اللغة العربية[4]، وهذا خلاف ما كان عليهم الحكام السابقون من الزيانيين والحفصيين ،و رغم هذا نجد بعضهم ساهم في بناء المساجد والزوايا ووقفوا عليها أوقافا من أجل صيانتها والإعتناء. لم يمنع حكام الجزائر دخول علماء المغرب وطلبته إلى الجزائر والانتقال من مركز ثقافي إلى أخر ثم أنهم لم يضطهدوا أو يقتلوا أو يسجنوا أي عالم – في حدود علمي- بل كانوا شديد الحرص على إحترام كل وافد إلى الجزائر من المغاربة وغيرهم بشرط عدم التدخل في الشؤون السياسية

[1] أرزقي شويتام :المؤثرات الغوية الأجنبية في اللغة العربية في الجزائر العثمانية و الفرنسية أنموذجا .أهمية العمل الجواري في ترقية استعمال الغة العربية ،المجلس الأعلى للغة العربية ،الجزائر ،2010 ، ص-ص :88-91.

[2] الناصري : المصدر السابق ،ج8، ص:67.

[3] الضعيف: المصدر السابق، ص: 214.

[4] ابن ميمون: المصدر السابق، ص 56.

وكل عمل من شأنه أن يزعزع نظام الحكم من خلال مساعدة المعارضين أو محاولة إثارة الرأي العام ضدهم كالدعوة للسلطان المغربي أو الدعاء له على المنابر في خطبة الجمعة.

شكلت مسألة الحدود بين البلدين في هذه الفتر قضية حاسمة بن أتراك الجزائر و السلاطين العلويين خاصة السلطان اسماعيل، حيث تمكن هذا الاخير من القضاء على تمرد ابن اخيه أحمد بن محرز الذي لقي دعما عسكريا من أتراك الجزائر1093هـ/1681 [1].

أغار السلطان مولاي إسماعيل عدة مرات على أتراك الجزائر 1089هـ/ 1677-1093،هـ /1681 -1103هـ/1691، وتوغل إلى داخل البلاد ليصل شرق تلمسان، هذا إلى جانب الهجومات التي نفذها ولده زيدان والذي كان واليا على منطقة المغرب الشرقي وكلف بمهمة تنفيذ هجومات متوالية على أتراك الجزائر1103هـ/1691م[2]. كما تعد معركة المشارع من أخطر المعارك التي واجهها المولى إسماعيل ضد أتراك الجزائر وتحدثت المصادر عن عدد القتلى الكبير والأسرى في صفوف المغاربة[3].

أسندت المهام السياسية والسفارات إلى بعض العلماء القادرين على التفاوض، فبعث السلطان مولاي اسماعيل بسفارة إلى الجزائر عقب واقعة المشارع بقيادة الشيخ محمد بن الطيب الفاسي حيث اختاره السلطان لكفاءته العلمية ليرأس الوفد المغربي، فحل بمدينة الجزائر رفقة الامير عبد الله ابن السلطان اسماعيل والكاتب الوزير محمد الغساني صاحب الرحلة المعروفة "رحلة الوزير في افتكاك الاسير" فإلي جانب مهام هؤلاء السياسية اجتمعوا بأقرانهم من العلماء الجزائريين حيث عقدت حلقات علمية تم فيها النقاش حول المسائل الفقهية والكلامية المختلفة[4].

اجتمع الشيخ محمد الطيب الفاسي بالشيخ مصطفى بن العنابي في مدينة الجزائر وتباحث معه في مسائل علمية ومما ذكره الشيخ الفاسي.... لما دخلت مدينة الجزائر كان ممن أتحفني الله بلقائه من أعلامها الفقيه النبيه مصطفى بن رمضان الحنفي الشهير بإبن العنابي فتذاكرت معه في فتاوى علمية واستفدت منه من فوائد سنية وذكرت. له زوائد ودرر علقت بذهني مما سمعته من جهابذة علومهم واستدعي مني إجازة لذلك..."[5].

---

(1) الناصري: المصدر السابق، ج7، ص 59.

(2) الزياني: البستان ، ص : 176. H, D, de Grammont : op,cit.p:262

(3) ابن ميمون: المصدر السابق، ص- ص:23-24.

(4) القادري: المصدر السابق، ج5، ص 1883.

(5) ابن سحنون: المصدر السابق، ص- ص 75-76.

شدّ بعض العلماء المغاربة الرحال إلى الجزائر في الوقت الذي عرف فيه المغرب الأقصى الفتن والفوضى أواخر العهد السعدي وبداية العهد العلوي بحثا عن الاستقرار والهدوء. فاستقر بالجزائر الشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري إثر عودته من الحج ولقي ترحابا كبيرا من حكام الجزائر يوسف باشا الذي قربه منه وأكّد اليفرني ذلك قائلا "... لما دخل الجزائر – الشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري- تصدي لنشر العلم فهرع الناس اليه وحصلت له وجاهة عظيمة من أرباب الدولة..."[1] .

كان غلب سلاطين المغرب السعديين ومن بعدهم العلويين أهل علم وأدب، وعرفوا باحترامهم للعلماء وإثارة مجالستهم واصطحابهم واستشارتهم. فزار أحمد المقري المغرب الأقصى عام 1009هـ-1600م ودخل مدينة فاس حيث ذاعت سمعته العلمية بين علماء فاس وأقام بها نحو سبعة أشهر فقربه أحمد المنصور السعدي واصطحبه إلى مراكش حاضرة السعديين ورحب إسماعيل العلوي بوفادة الشيخ محمد بن عبد الكريم الجزائري فغمره بكرمه وبقي بفاس إلى أن توفي عام 1102هـ-1690م[2].

العامل الثقافي.

انتشرت الثقافة العربية الاسلامية بين قبائل المنطقة – الجزائر والمغرب- واندمجت القبائل البربرية مع القبائل العربية من خلال مظاهر نصب الخيام و ركوب الخيل وتداخلت العادات والتقاليد من حيث اللباس وطريقة الإحتفال بالأعياد. و أشار إبن حمادوش في رحلة إلى عادة أهل الجزائر وفاس بالاحتفال بالمولد النبوي الشريف[3].

أشار اندري ريموند في مؤلفة المدن الكبرى في العهد العثماني "إلى مسالة مفهوم العالم وذكر أن هذه الفئة واسعة تتدرج فيها جماعات متشعبة فإلي جانب جماعات المؤسسات الدينية والتعلمية (الجوامع والمساجد والمدارس والمعاهد) نجد العاملين في تلك المؤسسات دون إغفال الجماعات الصوفية وطوائف الأشراف ووصل في الأخير أن هذه الفئة مجموعة إنسانية واسعة[4]، واتفق مع هذا الطرح أبو القاسم سعد الله وأكد على مسالة صعوبة تحديد العالم حيث لم تكن هناك قواعد وضوابط ومعايير واضحة تحدد من

---

[1] الأفراني: صفوة من انتشر، ص:284.

[2] القادري: المصدر السابق،ج5، ص 1800.

[3] ابن حمادوش: المصدر السابق ، ص84.

[4] اندري ريموند:المدن العربية الكبرى في العهد العثماني، تر: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات، القاهرة، ص، ص 62،65.

هو العالم[1]، في حين أشار محمد المنصور إلى مدى غموض انتقال طالب العلم من مرحلة إلى أخرى ليصل إلى مرتبة العالم ورأى أن العرف[2] أفرز ثلاث طبقات صنفت فيه فئة العلماء.

1- فئة الطلبة أو الفقهاء المبتدئين: تتكون من الطلبة الذين اضطلعوا وحصلوا على المتون الأساسية وقلدوا الوظائف الدينية بالمساجد كالإمامة والخطابة أو الوظائف الشرعية كالعدالة.

2 -علماء الطبقة الوسطى: تصدى هذا الصنف للتدريس واستشير البعض منهم في مسالة مبايعة السلاطين وأشار الضعيف في أكثر من موضوع إلى هؤلاء العلماء ودورهم في مبايعة السلاطين في المغرب الأقصى[3].

3-علماء الطبقة العليا: تضم هذه الفئة كبار العلماء الذين مكنهم علمهم وتوليهم لمناصب القضاء ولإفتاء والحسبة إلى جانب تصديهم للتدريس، عرفوا هؤلاء بأهل الحل والعقد فيما يتصل بالمسائل الدينية والسياسية الهامة، وذكر الضعيف في عام 1100هـ أن السلطان اسماعيل دعي فقهاء فاس وتم ختم تفسير القرآن الكريم عند القاضي أبي عبد الله المجاصي وأكرمهم[4].

كان في أعلى هرم هذه الفئة شيخ الجماعة الذي كانت له هيبة ومكانة وسط العلماء حيث تتلمذ عليه العديد من العلماء، وعادة ما كان ينوب عن العلماء والمجتمع الفاسي في زمن الفتن والمحن ويستشيره السلطان في القضايا الهامة ويلعب دور الوسيط بينه وبين بقية العلماء. وأشار الناصري إلى الفتنة التي ظهرت في البلاد عقب مقتل اليزيد، فظهر ما يعرف بالملوك الثلاثة، فتمسك أهل مراكش بدعوة المولى هشام وبايع أهل بلاد الهبط المولى مسلمة في حين بايع أهل فاس وأعمالها المولى سليمان[5] ولتجاوز هذه الفتنة كان الإحتكام في مسألة المبايعة على الشيخ أحمد الوزاني، جاء نص الاستفتاء لمسألة المبايعة والإمامة "... لا يجوز أن يكون إمامان في وقت واحد وإن شذ القوم فجوزوه، وتعقد الإمامة بوجهين الأول إختيار أهل الحل والعقد والآخر بعهد الإمام من قبل. الأول اختلف الفقهاء فيما من تعقد له الإمامة فلا تعقد إلا بإجماع جمهور أهل الحل والعقد من كل بلد ليكون الرضى بها عاما والتسليم لإمامته إجماعا وهذا قياس لبيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذكرت طائفة أخرى أن خمسة مجتمعون تنعقد بهم الإمامة وتعقد برضى الأربعة استدلالاً بأمرين أحدهما أن بيعة أبي بكر

(1) ابو القاسم سعد الله: المرجع السابق،ج1 ،ص:388.

(2) محمد المنصور: المرجع السابق، ص 251.

(3) الضعيف: المصدر السابق، ص: 70

(4) الضعيف : المصدر نفسه، ص: 72.

(5) الناصري: المصدر السابق، ج8، ص 86.

الصديق عقدت بخمسة واجتمعوا عليها ثم تابعهم الناس فيها وهم عمر بن الخطاب وأبو عبيدة الجراح وأسيد بن خضير وبشر بن سعد وسالم مولى أبي حذيفة رضوان الله عليهم ...وتابع قائلا"... أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جعل الشورى في ستة تعقد لأحدهم برضى الخمسة وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة، وقال علماء آخرون من الكوفة تعقد بثلاثة يتولى أحدهم برضى إثنين ليكون حاكمين وشاهدين كما يصح عقد النكاح وقال آخر تعقد لواحد لأن العباس رضى الله عنه قال لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه أمدد يدك أبايعك فيقول الناس عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع ابن أخيه فلا يختلف عليك اثنان[1]...".

يتضح لنا مما سبق أن السلطة الروحية والمعنوية لعبت دورا حاسما في المسائل الخلافية الصعبة[2] التي مر بها الوضع السياسي بالمغرب الأقصى إلى جانب قدرتها وكفائتها العلمية والدينية من خلال عمليات القياس واستنباط الاحكام، وهذا خلافًا للوضع في الجزائر فرغم كفاءة شيوخها وعلمائها لم تلتجأ السلطة الحاكم في الجزائر خلال العهد العثماني في حل مشاكلها السياسية والصراع القائم بين الإنكشارية و رياس البحر وتغير نظام الحكم من شكل إلى أخر بدءا من مرحلة البيلربايات (923-996هـ/1518-1588م) إلى نظام الباشوات(996-1096هـ/1588-1659م) مرورا بنظام الأغوات (1069-1081هـ/1659-1671م) وصولا إلى نظام الدايات (1081-1245هـ/1671-1830م).

ترسخت الوظائف الدينية والعلمية في الإيالات العثمانية منها الجزائر، وعدت وظائف رسمية ترعاها الدولة في حين اختلف الوضع في المغرب حيث بقيت غامضة بين مراقبة السلطة الحاكمة والممارسة الحرة[3].

لم يكن يحظى منصب الإفتاء بنفس الأهمية التي حظي بها في الجزائر ذلك أنّ المولي سليمان ومن بعده عبد الرحمن كان على قناعة أن وجود القاضي والمفتي جنبا إلى جنب وأحيانا وجها لوجه من شأنه أن يعقد الأمور أكثر مما يساعد على حلها وأشار الناصري عن فتنة بفاس بسبب نزاع بين قاضيها الفقيه أبي الفضل عباس بن أحمد التاودي وبين مفتيها الفقيه أبي عبد الله محمد بن إبراهيم في مسألة

---

[1] الضعيف: المصدر السابق، ص 259. ليفي بروفنسال: المرجع السابق، ص 124.

[2] محمد المنصور: المرجع السابق، ص 251.

[3] نفسه، ص 253.

الشرفين الشفشاويين والعراقي من أهل فاس وأفضى الأمر إلى السلطان سليمان بعزل الفقيه عبد الله عن الفتوى[1].

المؤسسات الثقافية في البلدين.

إن الازدهار الحضاري والثقافي لأي أمة في عصر من العصور مرتبط بمدى تقدم العلوم ورقيها من جهة وإلى مدى الانتشار والاهتمام بالمؤسسات الثقافية من جهة أخرى، لا تكاد تخرج المؤسسات الثقافية والعلمية في البلدين عن المسجد والزاوية والمدرسة حيث تصدت هذه المؤسسات على اختلافاتها إلى مهمة التدريس والتعليم.و سنحاول أن نستعرض أهم المؤسسات الثقافية في البلدين على الرغم من اختلاف درجة انتشارها من بلد إلى آخر.

1- الكتاتيب:

أوّل موضع يتلقن فيه الصبي مبادئ الحرف بواسطة اللوح المصلصل والقلم القصبي[2]، خصصت هذه الكتاتيب لاستظهار كتاب الله –القرآن الكريم– ولا ينتقل منه إلى بقية فنون المعرفة من لغة وفقه وحديث إلا بعد حفظه للقرآن الكريم عن ظهر قلب مع اتقان أحكامه وكان علماء القرآن كثيرًا ما تشددوا في السند والروايات وحذروا من مسألة التساهل في الأخذ من الكتب مباشرة[3].

غالبا ما تكون هذه الكتاتيب بالقرب من أضرحة الأولياء والزوايا والمساجد وأشار أبو القاسم سعد الله إلى انتشار الكتَّاب في القرى والمدن والاحياء[4].

سُميت الكتاتيب في المدن العتيقة للبلدين كمدنية الجزائر وقسنطينة وتلمسان وكذا من مدن فاس ومكناس ومراكش بالمسيد، هذا الإسم لم يكن معروفا ولا شائعا قبل القرن 10هـ/16م ويبدوا أن الاسم مشتق من اسم المسجد لارتباط الأول بالآخر حيث تلحق بناية المسجد بغرف لتعليم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة مع حفظ القرآن الكريم، وغالبا ما تكون الكتاتيب مفتوحة للهواء الطلق في المناطق الجافة وشبه الجافة[5].

---

[1] الناصرى: المصدر السابق، ج8، ص 146.

[2] ابن ميمون : المصدر السابق، ص 58.

[3] ذكر وليام شالر في مذكراته أن التلميذ يحمل لوحة يمكن الكتابة عليها والمعلم يجلس في مكان مرتفع وبيده عصى يستعين بها لفرض النظام واثارة انتباه التلاميذ، وليام شالر: المصدر السابق ، ص 82.

[4] ابو القاسم سعد الله: المرجع السابق ، ج4، ص 276.

[5] مجموعة باحثين: معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا،1989، ص 7148.

أشار الجامعي الفاسي في رحلته عن الكتاتيب القرآنية في مدينة الجزائر قائلا "... وقد كان بهذا الحاضرة نحوى 100 كتاب ملاء بالأولاد حيث أن المحل لا يتسع للتلاميذ يجعلون فيه سدة يصعدون عليه الدرج يتعلمون القرآن والكتابة ويحفظون القرآن الكريم وحافظة كثيرون[1].

2- المساجد.

هي أماكن للعبادة واجتماع المسلمين ومراكز أساسية للحياة الدينية والعلمية والثقافية ويعد منارة للعلم والحضارة، نجده غالبا في مركز القرية أو المدينة وتنتشر من حوله المساكن والبيوت والكتاتيب والاسواق[2].

ورد في المنطقة – الجزائر والمغرب– اسم المسجد والجامع واستعمل الاسمين معا دون أن يكون بينهما حد فاصل في دلالة اللفظ غير أن الجامع أخذ حيزا كبيرا واهتماما واسعا في كتب التاريخ والحوليات والوثائق الوقفية، حيث اشار ابن حمادوش في اكثر من موضع إلى لفظ الجامع قائلا على سبيل المثال لا الحصر "... وفي يوم الأحد الحادي عشر رجب عام1158ه ابتدأنا سرد صحيح البخاري في الجامع الكبير..."[3].

حافظت المساجد في المنطقة على مؤثراتها الثقافية للعهود السابقة من حيث الشكل ومواد البناء والنقوش والزخارف الهندسية واكتسبت مؤثرات جديد أندلسية وعثمانية واقترن اسماء العديد من المساجد والجوامع بأسماء الرسل والصحابة والتابعين والأولياء الصالحين واشار الورثلاني في رحلته أن كل وطن مشي إليه وكل بلد أتى إليه وجد اسم المسجد أو الجامع[4].

شهدة حركة تشييد المساجد في البلدين انتشارا واسعا ويرجع ذلك إلى الثقافة الدينية لذلك العصر فإلي جانب مهامه الدينية من إقامة الصلوات فكان يزاول فيه مختلف العلوم من فقه وحديث وتفسير وعلوم اللغة والبيان والنحو[5].

---

(1) مولاى بلحميسي : مدينة الجزائر من خلال النصوص العربية والأجنبية، منشورات وزارة التعليم العالي والشؤون الدينية، الجزائر، 1982، ع8، ص 26.

(2) ابو القاسم سعد الله: المرجع السابق ، ج1، ص 243.

(3) ابن حمادوش: المصدر السابق، ص 216.

(4) محمد بن الحسين الورثلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار . تع :ابن مهنا القسنطيني ،تخ : محفوظ بوكراع و مصطفى ضيف ، 3 اجزاء ، دار المعرفة الدولية ،الجزائر ،طبعة خاصة ،2011، ج3، ص 360.

(5) ابن ميمون: المصدر السابق: ص 59.

اقترن تشيد المساجد وبناؤها على تبرعات الافراد والجماعات من خلال تحبيس الاموال لها وعرف ذلك بالوقف[1] أو عن طريق مساهمة حكام وملوك، لاحظ فولتير دي باردي على سبيل المثال لا الحصر إثني عشر مسجدا وجامعا و عدَدْ وافرا منها تأسس على يد الأتراك مثل مسجد خير الدين وجامع كتشاوة [2]الذي تأسس على خلال القرن 11هـ/17م وأوقف عليه حسن باشا في سنة 1210هـ/1796م أموالا خصصت كرواتب لإثنين من المدرسين وأسس عدد من رجال الدولة مدارس وكتاتيب من أموالهم الخاصة منها مسيد القيسارية ومسيد ساحة الجنينة [3] في حين أشار ابن سحنون إلى منشآت الباي محمد الكبير مثل مسجده و مدرسته ودار الإمارة بمعسكر وأشاد باهتمامه بالتعليم وتشجيعه باقتناء الكتب ونسخها وحثه على التأليف[4].

لم يختلف الوضع في المغرب حيث إهتم السلاطين العلوين بتشييد الجوامع والمساجد وذكر الناصري مجموعة من المساجد والجوامع التي شيدها هؤلاء أو قاموا بترميم أخرى[5].

2- الزوايا.

هي مكان معد للعبادة وإيواء الواردين وأبناء السبيل، عرّفت دائرة المعارف الاسلامية الزاوية " انها مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة وشبهتها بالدير في العصور الوسطى "في الغالب نجد الزاوية تتكون من غرفة للصلاة بها محراب وضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف وغرف أخرى مخصصة لطلبة الزاوية والحجاج والمسافرين[6].

تكاثرت الزوايا في المنطقة – الجزائر و المغرب- وأشار محمد حجي على انتشارها مع مطلع القرن 11هـ/17م حتى فاق عددها عدد المساجد في المغرب الأقصى[7] في حين شكلت في الجزائر أحد

---

(1) الوقف : ويعرف بالحبس نظام إسلامي له أهمية اجتماعية واقتصادية وعلمية كبيرة على المجتمع، لجأ إليه المسلمون لتوفير المال والسكن وتقديم المساعدات للعلماء والطلبة والمساكين واللاجئين وصيانة المؤسسات كالمساجد والجوامع والزوايا والأضرحة ويهدف هذا النظام إلى التكافل الاجتماعي والتضامن بين المسلمين. ابو القاسم سعد الله: المرجع السابق ، ج5، ص 152.

(2) Venture de paradais : op, cit: P-P : 157- 158.
Jacques Berque : I' intérieur du Maghreb 16-19 siècle, éd: Gallimard, paris, 1978, P: 399.

(3) Albert devoulx : op ,cit : P- P : 277- 280.

(4) ابن سحنون: المصدر السابق، ص167. سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، ص 440.

(5) الناصري: المصدر السابق، ج8، ص:44. التازي :المرجع السابق ،ج3 ، 682.

(6) دائرة المعارف الاسلامية، مج 10، ع09، ص 332.

(7) محمد حجي، الزاوية الدلائية ، ص: 56.

مميزات العهد العثماني فكانت كل مدينة أو قرية محروسة بولي من أولياء الله الصالحين ويعتقد الكثير من الأهالي أن الولي الصالح[1] يحمي المدينة وأهلها من غارات العدو والكوارث الطبيعية.

كانت صيانة الزواية وتغطية نفقاتها من أجور للمدرسين ومعيشة لطلابها من أرض موقوفة حيث يقوم بحرثها، فالزراعة بالنسبة للأهالي [2] ا. تصدت بوظيفة تحفيظ القرآن الكريم ويؤمهُ ممن سبق لهم استظهار بعض سور القرآن الكريم أما الثاني فيقوم بتدريس بعض الفنون لاسيما الفقهيات والعقائد وقواعد اللغة من النحو والصرف وفنون البلاغة[3].

إن معظم الطرق والزوايا التي تقاسمت المجال الصوفي في القرنين11-12ه/17م-18م تكاد لا تخرج عن الطريقة الشاذلية مع قيادة الشرفاء لها ومن ثم شكلت الطرق الصوفية ظاهرة دينية يتم من خلالها تلبية الحاجيات الروحية للمريدين والأتباع في الوقت نفسه عبرت عن ظاهرة اجتماعية لطموحات الأفراد والأسر والجماعات في المجال الديني والدنيوي[4]. و أشار عمار بن خروف إلى مسألة انتشار الطرق الصوفية في المنطقة – الجزائر والمغرب – وذهب إلى القول أن الطرق الصوفية التي كانت منتشرة في المغرب هي ذاتها التي كانت منتشرة في الجزائر[5]، وأهمها:

أ- الطريقة الشاذلية: كان لها السيادة المطلقة على المجال الصوفي في البلدين وتنتسب إليها معظم الطرق الصوفية الفرعية التي نشأت في الجزائر والمغرب.

ب- الطريقة اليوسفية: تنتسب إلى مؤسسها أبي العباس أحمد بن يوسف الملياني كان من أكابر مشايخ الصوفية في الجزائر وله أتباع كثيرون في الجزائر والمغرب وأفرط البعض في الاعتقاد فيه[6].

استطاعت بعض الطرق والزوايا التي تأسست بالجزائر أن تنفذ وتتوغل داخل العمق المغربي لاعتبارات سياسية ومن هؤلاء نذكر:

---

(1) ابو القاسم سعد الله: المرجع السابق ، ج2، ص 39.

(2) نفسه، ج2، ص: 266.

(3) ابن ميمون، المصدر السابق، ص: 59.

(4) محمد المنصور: المرجع السابق، ص: 262.

(5) عمار بن خروف: المرجع السابق، ج2،ص 137.

(6) محمد الحسني الشفشاوني بن عسكر: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر. تح: محمد حجي منشورات مركز التراث الثقافي، الدار البيضاء، 2015، ط4، ص 112.

الزاوية التيجانية .

تأسست الزاوية التيجانية على يد أحمد التيجاني في عين ماضي بالأغواط عام 1782م تتلمذ مؤسسها على يد مشايخ عدة طرق وزوايا مغربية منها الزاوية الوزانية والناصرية. انتقل مركز الزاوية من بني سمغون إلى عين ماضي ثم إلى فاس لإعتبارات سياسية، حيث فر أحمد التيجاني من اضطهاد الأتراك العثمانيون[1] ولقي عناية من السلطان سليمان حيث أعطاه دار وأنعم عليه وحظي بدعم مادي لتشيد زاويته.

الملاحظ أن السلطان سليمان قد أعجب بورع وعلم التيجاني لدرجة انه دعاه إلى حضور مجالسه العلمية[2] التي كانت تضم كبار علماء البلاد وبالتالي حظيت الزواية التيجانية بحماية المخزن.

واجهت انتشار الزاوية التيجانية خاصة بالمغرب الأقصى صعوبات وعراقيل منها:

1- عامل النسب:

شككت المصادر المغربية في نسب أحمد التيجاني الشريفي، وأكدت أنه لم يكن شريف النسب رغم ما ذكره أن شرفه يقوم على تأكيد مباشر من الرسول رغم محاولاته بشتى الوسائل كسب الشرفاء إلى جانبه أو على الأقل تلطيف أعدائهم بحيث وضع تأليفاً يدافع فيه عن النسب الشريف تحت عنوان نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء[3] .

2- إن الطريقة التيجانية كانت خارج نطاق المدرسة الشاذلية لذا كانت مسألة انتشارها صعبة خاصة وأنها تنكرت لأساسيات التصوف الشعبي القائم على التبرك بالأولياء وزيارتهم.

3- موقف الشرفاء والزاويا التقليدية من الزواية التجانية كان معظمه عداء ورفض ادعاءاته بتفوق سنده على باقي الأسانيد الصوفية ثم إن دعوة التجاني إلى الإحجام عن زيارة الأولياء وإقامة المراسيم فقد اصطدمت بالمعتقدات الراسخة لدى العامة والشرفاء والعلماء ولا يمكن تصور أن أهل فاس يحجمون عن زيارة المولي إدريس الذي اعتبر دائما مصدر البركة والحماية.

في ظل هذه الصعوبات وصل الأمر بالشيخ التيجاني إلى التفكير في وقت ما إلى الرحيل من المغرب والاستقرار بالمشرق ولم يتمكن من تجاوز ذلك إلاّ بفضل حماية المخزن الذي تبنى عدد من أفراده الطريقة التيجانية كما فعل محمد اكنسوس.

---

[1] الضعيف: المصدر السابق، ص:377.

[2] الناصري: المصدر السابق، ج8 ص:111.

[3] محمد المنصور: المرجع السابق، ص: 263.

الزاوية الدرقاوية:

سعي المولي العربي الدرقاوي (1737م-1823م) إلى بعث الحياة في التصوف الشاذلي ويقوم مبادئ الطريقة إلى كبح جماح الشهوات وإذلال النفس وكسرها عن طرق الزهد، استطاعت الطريقة أن تنتشر في ظرف عقد أو عقدين بفضل النسب الشريف لمؤسسها وتعاليمها التي تتماشى مع نمط عيش البوادي القائم على البساطة والقسوة وانتشرت الطريقة في البوادي أكثر من المدن وشملت مناطق الجزائر والمغرب.

4-المدارس

أشار " دوفوكس devoulx "أن مدينة الجزائر حوت على ثلاث مدارس صنفت أنها تقدم تعليماً عالٍ منها مدرسة الأندلسيين التي تأسست من طرف الطائفة الأندلسية عام(1049هـ-1639م) و التي إختصت بتعليم القرآن الكريم ومدرسة شيخ البلاد تم انشاؤها بأمر من الداي محمد عثمان باشا عام(1201هـ-1786م) والمدرسة القشاشية التي كانت بجانب الزواية القشاشية ومسجدها[1].

أما في المغرب الأقصى، فدشن العلويون حكمهم بإنشاء مدرسة الشراطين 1081 هـ التي بناها المولي الرشيد و أكملها المولي اسماعيل واحتوت المدرسة على قاعة للصلاة ودار الوضوء وشملت ثلاث طبقات وحوت ما يقارب 232 غرفة[2] ، إلى جانب ذلك كانت هناك مدرسة الحلفاويين والمدرسة العبدلاوية التي أسسها السلطان عبد الله[3].

عرفت المنطقة –المغرب والجزائر- ما عُرف بالكراسي العلمية من أجل توفير الشروط الملائمة لتأدية العلماء والفقهاء لمهامهم العلمية ذلك بتخصيص قراءة أمهات الكتب من مختلف فروع المعرفة العلمية وشرحها من قبل كبار الشيوخ والعلماء كانت هذه الكراسي تسند إلى البارزين من العلماء بحسب تخصصهم ولا يتولاها أحد إلا بظهير من السلطان فأمر الباي محمد بن عثمان الكبير بتخصيص[4] كرسي للشيخ أبو راس الناصري يستعين به في إلقاء دروسه نظرا لنحافة جسمه حيث أن بنيته لم تكن

---

(1) Devoulx: op, cit, P-P: 278-282.

(2) ابن زيدان : الدرر الفاخرة ، ص:46.

(3) التازي: المرجع السابق،ج3، ص: 671.

(4) ناصر الدين سعيدونى: المرجع السابق ، ص: 460.

تسمح له بالظهور من وسط الطلبة بسبب ازدحامهم عليه، حيث ضم مجلسه أحيانا اكثر من سبعمائة وثمانين طالبا[1].

و لاحظ محمد المنوني أن مسألة الكراسي العلمية بالمغرب الأقصى تزايد عددها في العهد السعدي و تضاعف الإهتمام بها و لم يعد تأسيسها الأوقاف لها قاصراًعلى رجال الدولة بل تعدى ذلك إلى خاصة الناس و عامتهم وشملت مدن فاس و مراكش، و قدَّم إحصاء للكراسي العلمية بجامع القرويين في مدينة فاس فوجدها 22 كرسيا و أضاف قائلا أن الوثائق في العصر العلوي لا تقدم لائحة وافية عن عدد الكراسي العلمية و ذكر أن عددها بلغ 34 كرسيا وذكر على سبيل المثال لا الحصر: كرسي الحديث وكرسي النحو وكرسي التفسير[2].

في الأخير يمكن القول:

1) أن هناك عناصر جمعت اليلدين أكثر مما فرقتهم ما ساهم في حيوبة التواصل الثقافي .
2) أن تشابه البنية الثقافية بين البلدين من خلال المؤسسات الثقافية من كتاتيب ومساجد وزوايا ومدارس إلى جانب تشابه في طرق وأساليب ومناهج المعرفة ساهم بشكل كبير في فعالية التواصل الثقافي بين البلدين.
3) إن حكام البلدين لم يكن لهم دور سلبي في عملية التواصل الثقافي بين علماء البلدين رغم الخلافات التي عرفتها العلاقات السياسية بين حكام البلدين .

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 460.

أشار محمد بن عبد الوهاب أن اجتماع ما يناهز 780 طالب على الشيخ ابي راس إنما هو في الحقيقة يعادل مؤسسة كاملة تحتوي على ستة وعشرون حجرة درْس بأساتذتها و إدارتها ومصاريفها في مؤسساتنا الحالية.

محمد بن عبد الوهاب: ابو راس الناصري من خلال بعض مؤلفاته، محاضرة القيت في ملتقي وطني أبي راس الناصري، معسكر، 1996، ص 03.

[2] محمد المنوني: كراسي الاساتذة بجامعة القرويين، مجلة دعوة الحق، 1966-ع:7.ص: 22.

المبحث الثاني

أهم مراكز التواصل الثقافي في البلدين

إن قيام أي تجمع عمراني يرقى إلى مستوى المدينة يتطلب عهداً طويلاً . و يرجع ظهور المدن إلى أسباب جغرافية وسياسية وإقتصادية وحتي ثقافية. فكانت المدينة عبر التاريخ مهد للحضارة و مركز إشعاع ثقافي و مع زيادة تعداد المدن تتكاثر المؤسسات الثقافية من مساجد و جوامع و زوايا و مدارس إلى جانب إحتضانها لفئة هامة من العلماء والتجار والحرفيين[1].

إن ما يميّز الطابع الحضري والثقافي في المدن إمتزاج العناصر المحلية بعناصر أخرى مشرقية وأندلسية، هذه الأخيرة وفدت إلى المنطقة– الجزائر و المغرب الأقصى – عبر مراحل تاريخية مختلفة وإزدادت هجرة هؤلاء عقب سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس عام 1492هـ وإستفحلت ظاهرة الهجرة بعد طرد المورسكيون وفرارهم أثر تطبيق ما عرف بمحاكم التفتيش في عام 1039هـ/1629م في عهد الملك الإسباني فليب الثاني.

لم تكن المراكز الثقافية في البلدين على نفس المستوى و المنزلة العلمية فهناك مدن عريقة ورثت تقاليد حضرية جُعلت منها مراكز ثقافية كبرى. و عندما إستلم حكام البلدين مقاليد حكم البلاد وجدوا عدداً من المدن الساحلية خاضعة للمحتل الإسباني و أخرى خربت و إندثرت بسبب الفتن والمحن التي عصفت بالبلاد، وهنا سنقتصر على ذكر أهم مراكز التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى. و يمكن طرح التساؤلات التالية :

1- ما مدى إنشار هذه المراكز الثقافية في البلدين ؟
2- هل كانت هذه المراكز الثقافية محصورة في فضاءات جغرافية محددة ؟
3- هل التأثير الثقافي إمتد خارج المدن و الحواضر ؟ بمعنى آخر هل ظهرت مراكز ثقافية في البوادي في البلدين؟

[1] محمد حجي: الحركة الفكرية، ج2. ص: 340.

أولاً- المراكز الثقافية في الجزائر:

كانت الحياة الثقافية و العلمية في الجزائر قبل التواجد العثماني تركزت في ثلاث حواضر رئيسية هي تلمسان و بجاية و قسنطينة إلى جانب بعض المراكز الثقافية الصغرى. وما كاد ينقضي القرن 10هـ/16م حتى أخذت الحياة الثقافية تأخذ منحى آخر فلم تقتصر على الحواضر الكبرى بل إنتقلت إلى البادية محدثا شبه توازن بينها وبين المدينة.

برزت حواضر ثقافية جديدة واختفت أخرى مع مطلع القرن 10هـ/16م، فاحتلت مدينة الجزائر الريادة وأصبحت عاصمة للدولة الناشئة وغدت محج و مقصد العلماء وطلبة العلم، في حين تراجعت الثقافة بتلمسان وحافظت مدينة قسنطينة على مكانتها العلمية و ظهرت حواضر ثقافية في البوادي خاصة في منطقة زواوة.

1- مدينة الجزائر:

أكسب الوجود العثماني مدينة الجزائر أهمية كبرى، فكانت في البداية عبارة عنّ ميناء به جماعات سكانية صغيرة[1] و أصبحت بعد ذلك من أهم الحواضر السياسية والثقافية في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني . و أصبح للمدينة مرسى كبير يستقبل مختلف السفن والبضائع ويقصدها التجار من الداخل والخارج[2] و ذكر هايدوا أن عدد حوانيت مدينة الجزائر قارب ألفي حانوت[3] وهو يعكس إزدهار الحياة التجارية و ربطت بعض الدراسات هذا التنوع التجاري والحرفي و المهني في المدينة بالتنوع الثقافيل للجماعات القاطنة بها [4]. و قدم لنا الرحالة وصفاً حول المدينة فالتمغروتي الذي زارها في القرن 10هـ/16م ذكرها قائلا: "... الجزائر عامرة كثيرة الأسواق، كثيرة الجند حصينة، لها أبواب ثلاثة فيها المسجد و الجامع واسع، إمامه مالكي المذهب..."، و واصل قائلا: " ... فبلادهم لذلك أفضل من جميع بلاد إفريقية وأعمر و أكثر تجارة و فضلا و أنفد أسواقا و أوجد سلعة...". و الواضح أن المدينة إنتعشت إقتصاديا وتجاريا و ختم قائلا: ".... فهي مدينة أعمر تجارة وفضلا وأنفذ أسواقا

---

(1) ابن المفتي: المصدر السابق، ص:79.

(2) نفسه، ص: 75.

(3) Haedo :op, cit , P : 92.

(4) أهم تلك الدراسات نذكر على سبيل المثال لا الحصر دراسة عائشة عطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700- 1830م). إطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، 2002 .

وأوجد سلعة ومتاعا وحتى أنهم يسمونها بإسطنبول الصغرى..." وأشار حول الحياة الثقافية قائلا: "... وطلبة العلم فيها لابأس بهم والكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقية وتوجد بها كتب الأندلس كثيرة..." [1] . أما هايدوا فوصف الوضع الثقافي وأشار قائلا: " ... كانت مدينة الجزائر في أواخر القرن 10هـ/16م لها مائة مسجد بين كبير وصغير كلّ له أحباسه وإمامه ووكيله ومن بين تلك المساجد نجد سبعة مساجد كبيرة..."[2] وعلق " ديفوكس " Devoulx " في مؤلفه عن هايدوا قائلا: "... إن مدينة الجزائر عام 1830م احتوت على 176 بناية دينية منها 13 مسجدا كبيرا و 109 مسجدا صغيرا و32 معهداً و12 زاوية..."[3] إن عملية إحصاء المنشأت الدينية و العمرانية تُعد من المؤشرات الهامة التي تبرز مدى تطور البنية الديمغرافية في المدينة و تقدم تصور لتعداد سكان مدينة الجزائر[4].

عرفت المدينة خلال القرن 11هـ/17م إزدهاراً ورخاءاً كبيرين، فشبهها عبد الرحمن الجامعي المغربي بمدينة فاس و أشار قائلا: "... و أما مدينة الجزائر فأول بلد لقيت بها مثلما فارقته من أدباء بلدي وبها تذكرت بعض ما كان نسيه خلدي..." وختم قائلا: "... وهذه المدينة لا تخلو من قراء نجباء وعلماء أدباء وأعلام خطباء ومساجدهم بالتدريس معمورة ومكاتب أطفالهم بالقراءة مشحونة وقد ذكرت ما فيها من غنية من علمائها الأخيار..."[5]. وأكد " فونتور دي باردي venture de paradais "على أهمية الجامع الأعظم، ورأى أنه يمثل نواة للجامعة حيث عقدت فيه حلقات الدروس العليا والتي وصلت في بعض الأحيان إلى اثني عشر حلقة وبلغ عدد المدرسين فيه حوالي تسعة عشر أستاذا خلال القرن 12هـ/ 18م[6].

---

[1] التمغروتي: المصدر السابق ، ص: 129. مولاي بلحميسي ، المرجع السابق، ص: 26.

[2] Haedo :op, cit , P :193.

[3] Albert Devoulx : op, cit, P: 203.

[4] ذهبت بعض الدراسات إلى القول أنه من الصعب تقدير عدد سكان مدينة الجزائر في غياب إحصاءات رسمية قبل 1830م و في ظل التقديرات المتضاربة الصادرة إما عن رحالة أو رجال الدين أو جواسيس الذين طُلب منهم إعداد تقارير في هذه المسألة. و عليه فإن الباحثين لجأوا إلى تحديد ذلك عن طريق عرض بعض القرائن و الشواهد العمرانية المادية مثل عدد المساجد و الحمامات و العيون و سجلات الوقف في دراسة الوضع الديمغرافي في مدينة الجزائر و غيرها .
Raymond(A) : Signes urbains et études de la population des grandes villes arabes a l'époque ottoman .B. E. O .Damas , 1974 ,N27 ,P-P : 183 - 193.

[5] الحفناوي: المصدر السابق ج2، ص-ص: 254- 257، (ترجمة الشيخ محمد بن سيدي بن علي) بلحميسي، المرجع السابق، ص: 57.

[6] V enture paradais:op, cit , P: 157. Jacques Berque : op, cit, P : 399.

إن أكثر الأسر العلمية شهرة في مدينة الجزائر أسرة قدورة و يُعد الشيخ أبو عثمان سعيد قدورة من أهم علمائها حيث كان خطيبا و مدرسا بالجامع الأعظم يشرف على أوقافه و يقصده العامة والخاصة للإفتاء على المذهب المالكي، عالج الشيخ علم العقيدة بالدّرس و التعليق و لا يكاد يترك علمًا يدَّرسُه إلى طلابه إلاّ وضع عليه شرحاً أو حاشية فتناول عقيدة السنوسي وشرحها متنها لطلابه.[1]

تخرج خلال هذه الفترة الطويلة التي تصدى فيها الشيخ سعيد قدورة التدريس عددا كبير من العلماء نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر إبنه محمد قدورة و الشيخ عيسى الثعالبي[2] والشيخ يحيى الشاوي[3] و الشيخ أبو حفص المنجلاتي حيث لازمه مدة طويلة و أخذ منه نصيبا وافرا من علوم الحديث و الفقه والنحو. و لعل الشيخ محمد بن أحمد القسنطيني المعروف بابن الكماد[4] من أشهر تلاميذة الشيخ سعيد قدورة. و الذي حلَّ بمدينة الجزائر و أخذ و درس على عدد من علمائها و إنتقل إلى فاس و تصدى للتدريس بها و كانت له حظوة عند ملوكها.[5]

لا يمكن إغفال الشيخ محمد بن محمد المقري التلمساني الذي روى عنه ابن الكماد صحيح البخاري. و كان الشيخ مصطفى بن رمضان العنابي الحنفي[6] من أبرز تلاميذه حيث لازمه أكثر من

---

(1) ابو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص: 101.

(2) الشيخ عيسى الثعالبي (ت 1080هـ) ولد بالجزائر في موطن أجدادهم الثعالبة الذين كانت إمارتهم تمتد من نواحي مليانة إلى سهول وادي يسر تتلمذ على يد سعيد قدورة و لازم عبد الواحد الأنصاري السجلماسي أكثر من عشر سنوات، درس عليه شتى العلوم منها صحيح البخاري دراية و رواية و الفقه و الأصول، و تجاوزت العلاقات بينه وبين الأنصاري الصلات العلمية و إمتدت إلى الاجتماعية و السياسية فزوجه شيخه إبنته و قربه إلي باشاوات الجزائر خاصة يوسف باشا. نفسه، ج2، ص: 55.

(3) يحيى ابو زكريا يحيى بن الفقيه محمد بن محمد النايلي الشاوي المليانى (ت1096هـ) أخذ عن شيوخ مليانة ومدينة الجزائر وأخذ عن أكبر علمائها، له حاشية على شرح أم البراهين وشرح التسهيل. المرجع السابق ،ج1 ، ص- ص: 316- 317.

(4) ابو عبد الله محمد بن أحمد القسنطيني الشريف الحسيني المعروف بابن الكماد (ت 1116هـ/1704م) أخذ عن أبي عبد الله محمد المغربي الجزائري بجبل زواوة وعن محمد بن قدورة وإبن المؤمن وغيرهم وأجازوه، رحل إلى فاس وأخذ عن الكثير من علمائها.
القادري: المصدر السابق، ج5، ص: 1902.

(5) ذكر الأفراني أن ابن الكماد تصدى للتدريس بفاس لإقراء جامع الجوامع للسبكي فأبدع في إقرائه ورأى الطلبة من حفظه مالم يعهدوه فكثر الازدحام عليه وشمَله درور احسان السلطان. الأفراني: صفوة من انتشر، ص: 359.

(6) مصطفى بن رمضان العنابي (ت 1130هـ) من أصل تركي تصدى لخطة الإفتاء على المذهب الحنفي بمدينة الجزائر له أرجوزة في الفقه الحنفي.

عقدين أخذ خلالها عنه علم التوحيد والمنطق والأصول و لتعمقه في العلوم دراية تصدى للتدريس وتولى خطة الإفتاء. ومن العلماء الذين كسبوا شهرةً وصيتً كبيرينً الشيخ علي بن عبد القادر المعروف بالأمين[1] تصدى للتدريس بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر وأخذ عنه أحمد بن عمار[2] وذكره أبو راس الناصري في مشايخه و مدحه قائلا: "... أنه رحل إلى المشرق بعدما أخرج بالجزائر الأساتذة من التلاميذ و الفقهاء النحارير و العلماء الجماهير..."[3].

إن مكانة وشهرة مدينة الجزائر العلمية من مكانة وشهرة علمائها وأعلامها فقد تطلع كل عالم الأخذ من شيوخها الأعلام وهذا ما أفصح عنه الشيخ محمد بن علي السنوسي[4] قائلا: "... كان أرغب شيء إلي الرحلة إليهم – علماء مدينة الجزائر – والأخذ عنهم ولم تساعدني الأقدار، فمنّ الله عليا بلقاء شيخه أبو العباس أحمد بن عبد الله الجزيري واكتفى بالأخذ عنهم بواسطته..."[5].

2-مدينة قسنطينة:

تُعد مدينة قسنطينة[6] من أهم الحواضر الثقافية في الشرق الجزائري، فهي ورثت رصيداً ثقافياً هاما من العهد الحفصي وحافظت عليه ولم تفقده بدخول العثمانيين[1] .

ابو القاسم سعد الله: المفتي الجزائري إبن العنابي رائد التجديد الإسلامي (1775- 1850م) . الجزائر، ش و. ن. ت. 1977، ص: 15. عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 246

[1] ذكر ابو القاسم سعد الله أن احمد الغزال المغربي وفد إلى الجزائر عام 1182هـ بشأن مسألة الصلح بين الجزائر والمغرب وحضر درسا لإبن عمار في الجامع الكبير وقد تولى الفتوى المالكية به، فأعجب بعلمه ومدحه بقصيدة كان مطلعها

هلموا إلى مأوى المفاخر والعلا هلموا إلى الأسمى ابن عمار أحمد

ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 235.

[2] ابو راس الناصري، فتح الإله، ص: 48.

[3] المصدر نفسه ، ص: 49.

[4] محمد بن علي السنوسي (ت1202هـ/1787م) مؤسس الطريقة السنوسية ولد بمستغانم نشأ في بيت علم ودين وفضل درس علوم الشريعة واللغة والمذاهب الإسلامية له تصانيف عديدة منها بغية المقاصد وخلاصة المراصد، نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن. عادل نويهض، المرجع السابق، ص ص: 179- 180.

[5] فوزية لزغم :الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية . مذكرة ماجستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، السنة الجامعية 2005 /2006 ، ص :96.

[6] قسنطينة: مدينة ليست كبيرة و لا صغيرة أيضا لها سور كبير فيها ثلاثة أبواب باب الوادي و باب الجابية و باب القنطرة بها أسواق كثيرة و دكاكين و مساجد و جوامع نحو خمسين بعضها في غاية الإتقان.
الورثلاني :المصدر السابق ، ج2، ص: 353.

شهدت المدينة بروز العديد من الأسر العلمية في مقدمتهم أسرة إبن الفكون وأسرة عبد المؤمن وأسرة ابن الكماد[2] وغيرها، و يعد الشيخ عبد الكريم الفكون[3] أشهر العلماء المدرسين بالمدينة خلال القرن 11هـ/17م و الذي أخذ عن علماء ومشايخ المدينة و أسندت إليه مهمة الإمامة والخطابة بجامعها الأعظم وعهد إليه مهمة قيادة ركب الحجيج[4] وإشتهر بنبوغه في علم النحو الذي أخذه من الشيخ التواتي.

أشار الشيخ عبد الكريم الفكون إلى الحالة الثقافية والعلمية لمدينة قسنطينة في دواعي تأليفه لمؤلفة "منشور الهداية" و ذكر قائلا: "... بعدما رأى سحائب الجهل قد أطلت وأسواق العلم قد كسدت فصار الجاهل رئيسا والعالم في منزلة يدعى خسيساً..." ربط الشيخ سبب ضعف الحياة الثقافية إلى ضعف علماء عصره الذين إنشغلوا و تنافسوا على المناصب الشرعية دون إلمامهم لشروطها الشرعية والعلمية خاصة أن الكثير منهم في إعتقاده ليسوا أهلاً لها. و عدَّد في مؤلفه مجموعة من العلماء الذين تصدوا للتدريس و تولوا المناصب الدينية في قسنطينة و أبدى سخطاً كبيراً وإنتقادا واسعاً على بعضهم[5].

حافظت المدينة عن شهرتها العلمية والثقافية وظلت مقصد أهل العلم والعلماء من مختلف جهات البلاد . وأشار الورثلاني إلى شهرتها وعدّد علمائها وفضلائها ونجبائها وصلحائها قائلا "... إن قسنطينة هذه قد إجتمعنا فيها مع الفضلاء والنجباء والصلحاء وأعيان الوقت منهم العالم سيدي يحيى اليعلاوي واللغوي والنحوي سيدي أحمد الزين..."[6] .إن مكانة المدينة جعلت أبو راس الناصري يحّل بها

---

(1) خضعت قسنطينة للحكم العثماني عام 929هـ/1522م بعد سيطرت خير الدين عليها و كانت لعلاقاته الحسنة مع الشيخ إبن الفكون الأثر الكبير في تمهيد و تمكين المدينة للعثمانيين و وضعت به حاميات عسكرية تركية وكانت المدينة مركز بأيليك الشرق.

(2) Ernest Mercier : Histoire de Constantine, J.Marte et f.B Up, editeur, 1903, p : 203.

(3) ابو محمد بن عبد الكريم بن قالم بن يحيى الفكون القسنطيني 988- 1073هـ/1580م- 1662 أخذ عن والده وعن أبي يحيى بن سليمان الأوراسي و التواتي المغربي، ترك العديد من التصانيف منها فتح اللطيف في الصرف ومحدد السنان في تحريم الدخان. العياشي :المصدر السابق ، ج1، ص: 286.

(4) الورثلاني، المصدر السابق، ج3 ، ص: 364.

(5) عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية .تح، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987، ط1، ص- ص: 32- 33.

(6) الظاهر أن تردد لفظ سيدي يدل على المنزلة العلمية التي يحظى بها الشيخ من جهة وإلى الاحترام و الوقار للعلماء والشيوخ من جهة أخرى .الورثلاني: المصدر السابق، ج3، ص 363،.

و أشار إليها قائلا "... ولما دخلت قسنطينة نزلت على محط رحالّ الأفاضل و منبع الفضائل والفواضل عالم تلك الدرة وعاملها وصالحها وناصحها وزاهدها ورائدها وذروة شرفها... القطب الكبير الشيخ عبد الكريم محمد الفكون..."[1].

و قدم لنا " بول قافاريل " Paul Gaffarel " معلومات هامة حول المدينة في القرن 13هـ /19م[1] وذكر "إن مدينة قسنطينة على عهد الأتراك كانت عاصمة دينية وكانت فئة العلماء تتمتع بالسيادة المطلقة والنفوذ التام، كما أنها كانت غاصة بعدد كبير من الطلبة يغترفون من خمسة وعشرين[2] مدرسة في العلوم الدنيوية والأخروية ثم يتفرعون في أنحاء البلاد لينشروا ما إغترفوه من العلوم[3] وحوَتْ المدينة على سبع مكتبات خاصة حملت ما يقارب 1400 كتاب من أمهات الكتب[4].

عُقدت حلقات الدروس العليا في مساجد المدينة و بجامعها الأعظم[5] و إنتشرت الزوايا التي كان بعضها تحت رعاية الطرق الصوفية و الآخر تحت رعاية بعض العائلات الكبيرة بالمدينة ،أما المدارس فكان أشهرها مدرسة إبن الفكون والمدرسة الكتانية[6] التي أنشأها صالح باي[7] و شملت على مسجد وخمسة غرف ، واحدة للمدرس و أربعة للطلبة و خضعت لنظام داخلي دقيق وتم تخصيص راتب سنوي للمدرس مع إلزامه عقد ثلاثة دروس في اليوم.

---

(1) أبو راس الناصري: فتح الإله، ص 98.

(2) Paul Gaffarel: la conquête de l'Algérie Jasque 'a la Prise de Constantine, éd libraire de frimin, Paris, 1888, P :150.

(3) ابن ميمون، المصدر السابق، ص 52.

(4) Paul Gaffarel :op, cit, P 152.

(5) بني الجامع الأعظم سنة 430هـ بالقصبة بمكان يعرف بالبطحاء، يعين إمامه من طرف الباي هذا الأخير مسؤول عن جميع الموظفين عهدت مهمة إدارة أوقافه لإبن الفكون.
ابن الفكون: المصدر السابق، ص 36.

(6) أنشأ المدرسة الكتانية الباي صالح عام 1189هـ ونظم الشعراء في حقها مايلي:

طاب الزمان لمن يوالي نفعه	للمسلمين وزاد في علياه
أحيى دروس العلم بعد إندراسها	وبنى لها دارا زكى كبناها
يعنى مدرسة لاحت أشعت نورها	لم لا وهي الدّر في مغناها
جاءت به نفس المعظم صالح	ذلك المجاهد يبتغي مولاه.

ابو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص – ص: 294– 295.

(7) صالح بن مصطفى أزميرلي، أشهر بايات قسنطينة ولد بأزمير سنة 1725م عينه محمد باشا بایاً على قسنطينة سنة 1771م، كان عاملا ومصلحا ومعمرا عرف بتقربه من العلماء واهتمامه بالتعليم، غزله حسن باشا من قسنطينة بعد موت محمد باشا. الزهار، المصدر السابق، الهامش 37، ص 55.

3- مدينة تلمسان:

تعد تلمسان من أهم الحواضر الثقافية الكبرى في المغرب الأوسط فهي حاضرة الدولة الزيانية، أنجبت العديد من الفقهاء في عهدها الزاهر تدريساً و تأليفاً . و برزت عائلات تلمسانية علمية إهتمت بالفقه والحديث مثل عائلة الونشريسي والمغيلى والمقري والعقباني[1].

فقدت المدينة أهميتها السياسية والثقافية بسبب إتخاذ العثمانيون الأتراك مدينة الجزائر حاضرة لدولتهم الناشئة . و حَّل بالمدينة الفوضى والإضطرابات وظلت في فلك الصراع بين العثمانيين بالجزائر و السعديين و من بعدهم العلويين ملوك المغرب الأقصى، و لم تسلم المدينة من حملات عسكرية متكررة في حقب زمنية متلاحقة منذ حكم السعدين وصولا إلى حكم العلوييننفي المغرب الأقصى [2]، ساهم هذا الوضع في هجرة العديد من علمائها نحو المغرب الأقصى خاصة إلى مدينة فاس، و أحصى عبد الكبير الكتاني في مؤلفه "زهرة الأس في بيوتنا فاس" ما يقارب 25 عائلة بفاس تعود جذورها وأصولها إلى مدينة تلمسان[3].

قدم لنا الرحالة و المؤرخون وصفاً للحياة السياسية والثقافية بمدينة تلمسان طيلة العهد العثماني، فنّظم سعيد المنداسي[4] العديد من القصائد التي عكست أحداث عصره وما آلت إليه مدينة تلمسان في قصيدته النونية الشهيرة "الأعلام فيها وقع للإسلام من قبل الترك في تلمسان" ومما جاء فيها:

وأكبر شيء أفسدته أكفهم تلمسان عن الغرب علما وإيمانًا

أتهدم دار العلم في حانك الذي تبيت وتضحى فيه ويحك سكرانا[1]

---

(1) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص- ص: 72- 73.

(2) من أهم الحملات التي نظمها ملوك المغرب الأقصى ضد تلمسان حملة 966هـ/1068هـ/1085هـ.

(3) الكتاني، زهر الآس، ص ص: 395- 406.

(4) سعيد المنداسي أبو عثمان المنداسي التلمساني (ت حوالي 1088هـ/1677م) تلمساني الموطن والنشأة منداسي أصلا ونسبا عاش بتلمسان في النصف الثاني من القرن 11هـ/17م له اطلاع بعلوم عصره اللغوية والأدبية والفقهية غادر تلمسان متجها نحو المغرب حظى بمكانة في البلاط العلوي.

ناصر الدين سيعدوني: المرجع السابق، ص ص: 369- 375.

ذكر الأفراني أن السلطان اسماعيل العلوي قدم اليه خمسة وعشرين رحلاً من خالص الذهب عطاءا على بعض أمداحه. الأفراني، نزهة الحادي، ص: 374.

و عبر أبو راس الناصري عما آلت إليه مدينة تلمسان في عهد العثمانيين بعد أن ذكر أمجادها قائلا: "... فتلمسان وما أدراك ما تلمسان بقعة الظل الأبرد ونسيجه المنوال الأبرد و كرسي الإمارة و بحر العمارة... المعمرة بالقراءة و التكبير والتهليل..." و تحسر إلى ما وصلت إليه المدينة قائلا: "...أما الآن فهي كأمس الدابر والميت القابر قد إستولى على أكثرها الخراب وناح على خاوي عروشها الغراب... و أصبحت جامدة الحسِّ ضيقت النفسِ كأن لم تكن بالأمسِ..."[2]، وسجّل الرحال المغربي أبو القاسم الزياني[3] والذي أقام لها أزيد من سنة عن انطباعاته و وصف طلابها قائلا: "... هؤلاء الطلبة الذين بتلمسان ليس فيهم من يحسن منطقا ولا لغة ولا عربية ولا لساناً ولا يتعاطون الفروع الفقهية والأحاديث النبوية..." ونظم قصيدة هجا فيها قاضي المواريث ومما ورد فيها:

تلمسان بالأعلام صائلة ... وبالجياد لم تربط بها الحمر

أصابها المسخ إذا عادت تباع بها ... منصب العلم للأجلاف والخور

وكيف لا وجنود الترك حولكم ... تسوقكم بعصى الخسق ولا تذر[4]

يبدوا أن الظاهرة السلبية التي أشار إليها ابن الفكون في مؤلفه حول ضعف علماء الذين تقلدوا خطة الإمامة والخطابة والإفتاء وسخط ابن الفكون مع بعض العلماء، كان إلى حد ما نفس الحالة التي عليها مدينة تلمسان من خلال اشار الزياني حول الحالة الثقافية للمدينة. و أرجع مارسيل إميريت Emerit سبب ذلك إلى تقاعس الأتراك وإغفالهم عن الجانب الثقافي ما جعل الطلبة الراغبين في تحصيل معارفهم يلجؤون إلى معاهد المغرب الأقصى[5].

عقدت حلقات الدروس العليا بالجامع الأعظم بتلمسان وتصدت امرة المقري للفتوى ما يقارب ستة عقود ويعد الشيخ سعيد بن أحمد المقري من أهم أعلامها فلقد تصدى لخطة الخطابة لخمسة

---

(1) ناصر الدين سعيدوني: المرجع نفسه ، ص: 374.

(2) ابو راس الناصري: المصدر السابق ، ص: 108.

(3) أبو القاسم الزياني: أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن علي الزياني نسبة إلى قبيلة زيان الصنهاجية بنواحي فاس ولد حوالي ت 1147هـ/1734م أخذ على مشايخ الغرب في القرويين ومسجد الأندلس ومدرستي العطارين والصهريج ارتبط بالبلاط العلوي واستند إليه عدة سفارات وأوامر سلطانية وافتْهُ المنية عام 1249هـ/1833م ترك مصنفات كثيرة أهمها الترجمات الكبرى. ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص– ص: 476– 481.

(4) أبو القاسم الزياني: الترجمانة ، ص: 144.

(5) Emerit (M): L'Algérie a l'époque de L'Emir Abdelkader, éd: Larousse, paris, 1951, P: 13

وأربعين سنة وخلفه من بعده ابن أخيه أحمد المقري وغصت حلقات الدروس بالطلبة ،لا يمكن إغفال الشيخ محمد المنور التلمساني الذي أخذ عنه عبد القادر المشرقي الفقه والأصول وعلم الحديث وعلم الكلام والنحو والبيان، رحل الشيخ المنور التلمساني إلى مصر ودّرس برواق المغاربة في جامع الأزهر حيث ذاع صيته واجتمع عليه خلق كثير وحضر له الورتلاني شرحه لعقيدة كبرى السنوسي[1].

في الأخير ، لا يمكن بحال من الأحوال الحط من المستوى الثقافي لعلماء الجزائر، فلقد عقد مدرسيها حلقات و دروس ذات مستوى عالٍ في معاهد و جوامع كبرى من العالم الإسلامي.

4-مراكز ثقافية أخرى:

مدينة معسكر:

إشتهرت مدينة معسكر[2] الواقعة بإقليم بني راشد[3] بمنزلتها الهامة في المجال الثقافي والفكري خلال العهد العثماني و ذلك بسبب إنتشار التعليم في هذا الإقليم في القرن 10هـ/16م حيث انتشر عدد من الزوايا التي تصدت لمهمة التعليم كزاوية محمد بن يحيى السلماني وزاوية الشيخ المشرقي إلى جانب تفوق علمائها في علم التوحيد.

عرفت المدينة توارث أسر علمية لخطة الإفتاء والقضاء والإمامة وتصدى أفرادها للتدريس و تُعد أسرة المشارف من أهم الأسر العلمية حيث ذكر المشرفي صاحب كتاب "ياقوت النسب الوهاجة" أن المشارفة كلهم تقلدوا الرياسة من بين شرفاء الراشدية ولا تكاد نقابة الأشراف تخرج منهم[4].

يعتبر عبد القادر المشرفي[1] أهم علماء الأسرة الراشدية و لُقب بإمام الراشدية لتظلعه في علوم علوم الأصول والفروع والتدريس، وأسس الشيخ زاوية دينية ومعهداً علمياً بمسقط رأسه و توارث أبناؤه

---

(1) الورثلاني: المصدر السابق، ج2، ص: 121.

(2) إنتقل بايليك الغرب من تلمسان إلى مازونة ثم إلى قلعة بن راشد ليستقر بمدينة معسكر في فترة الباي مصطفى أبو الشلاغم بن يوسف المسراتي (1098هـ/1686م) ثم إلى وهران عقب الفتح الأول (1119هـ/1708م) ظل بها إلى غاية (1143هـ/1734م) حين عاود الاسبان إحتلال المدينة ثم ظل بها بعد الفتح النهائي لوهران (1206هـ/1792م).
المزاري الآغا:المصدر السابق، ص: 271.

(3) يمتد اقليم بني راشد على طول خمسين ميلا من الشرق إلى الغرب وعرضه ما يقارب خمس وعشرون ميلا.
الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص: 26.

(4) المشرفي أبو حامد: ياقوتة النسب الوهاجة، مخطوطة بالمكتبة الوطنية رقم: 3326، الورقة: 13- 13ط.

وأحفاده من بعده تلك الخطط الشرعية ولعل أبرزهم حفيده شيخ الجماعة بمدينتي معسكر و وهران الشيخ محمد بن عبد الله مصطفى المشرفي[2] الذي تبحر في علم المعاني والبيان والمنطق في عصره.

شغلت مسألة الجهاد ضد النصارى الاسبان حيزاً كبيراً لدى علماء المنطقة فشاركوا بأنفسهم في حركة الجهاد وخاضوا معارك ضد النصارى وألَّفوا الكتب ونظَّموا الأشعار من أجل التعبئة الدينية والروحية .وأسسوا رباط بالقرب من مدينة وهران ومن هؤلاء العلماء نذكر على سبيل المثال لا الحصر الشيخ محمد بن عبد الله الجلالي محمد بن علي و أبو طالب المازوني الذي إلتحق بالرباط رغم كبر سنه وبرفقةِ ولديه وبمعية مائتي طالب وعمد على إحياء سنة السلف الصالح بالجمع بين التدريس والجهاد كما إلتحق بالرباط قاضي معسكر الطاهر بن حواء و إستشهد أثناء حصار وهران[3].

إن أهم العلماء المدرسيين بالرباط الشيخ مصطفى الرماصي[4] الذي أشتهر بتبحره في الفقه المالكي داخل البلاد وخارجها و كان مرجع الفتوى و النوازل الفقهية في زمنه، تصدى للتدريس بمعسكر وجبال بني راشد أثناء الفتح الأول بمدينة وهران ذكره الرحالة المغربي عبد الرحمن الجامعي و إجتمع به وأشار إليه في شرحه لأرجوزة الحفناوي قائلا "... كنت وفدت على العالم الرواية والناقد أبي عبد الله

---

(1) عبد القادر بن عبد الله بن محمد المشرفي (ت 1192هـ/1778م) ولد بالكرط قرب معسكر نشأ وتعلم بها ودرس بالمنطقة شارك في مقاومة النصارى الإسبان برباط وهرن من أشهر تلاميذه أبو راس الناصري، له العديد من التصانيف منها بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين من الأعراب.

ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص- ص: 412- 415. عادل نويهض: المرجع السابق، ص :202.

(2) محمد بن عبد الله مصطفى المشرفي تظلع في علوم المعرفة وكان شيخ الجماعة غداة الغزو الفرنسي للجزائر أوفده الأمير عبد القادر بسفارة إلى سلطان المغرب عبد الرحمان بن هشام وإثر انتهاء مقاومة الأمير عبد القادر، استقر الشيخ وتوفي بمدينة مكناس.

يحيى بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة . جزان ، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995، ط1، ، ج2، ص: 31.

(3) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص: 441.

(4) مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرماصي (ت 1136هـ/1732م) نسبة إلى رماصة إحدى قرى مدينة مستغانم أخذ من شيوخ مازونة وشيوخ مصر كالشيخ الخرشي والزرقاني له حاشية على شرح الشمس وله شرح كفاية المريد على شرح عقيدة التوحيد.

الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص- ص: 141- 142. ابو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص :95.

سيدي محمد مصطفى الرماصي فوجدته بسكن بأهله بيوت الشعر يأوي إليهم ليلا و يظل بالنهار في داره و مسجده يطالع كتبه ويقرئ طلبته..."[1].

إلى جانب هؤلاء إلتحق الشيخ محمد الموفق بن محمد المعروف بأبي الجلال بالعلماء المدرسين بالرباط أثناء الفتح الآخر لمدينة وهران ،و روى تلميذه الشيخ أحمد بن سحنون الراشدي أنه قرأ عليه من أصول وفروع مروى ومسموع، ونظرا لمكانة هذا الأخير و قدرته وكفاءته العلمية إختاره الباي محمد بن عثمان المعروف بمحمد الكبير أن يشرف على مدرسته المحمدية[2]. وأشار إبن سحنون إليها قائلا "... ورتب لها خطيبا وإماما وأربعة مدرسين أحدهما للتفسير والحديث والثالث لغيرهما و رتَّب لكل بيْت في المدرسة ما يكفي لشراء الزيت في كل شهر و لمقدم الطلبة راتباً معلوماً و لمن يصحح الألواح و كذا لمن يُقرؤون الحزب داخل المسجد صباحاً ومساءًا و لمن يروى للناس الحديث يوم الجمعة..."[3].

مدينة مازونة :

تبوأت مازونة مكانة هامة في الغرب الجزائري و كانت حاضرته لما يقارب ثلاثة قرون قبل ان ينتقل عاصمة باليك الغرب إلى مدينة وهران بعد إسترجاعها من المحتل الإسباني عام 1206هـ /1792م . و وصف أبوراس الناصري المدينة أواخر العهد العثماني و هو الذي أقام بها مدة ثلاثة سنوات بصفته طالب علم قائلاً : " ... و لما ذُكر لي طلبة مازونة و كثرة مجالسهم و نجابة طلابهم سافرت إليها أول صومي ... إلى مازونة مدينة مغراوة ..." [4]. و ذكر محمد بن علي السنوسي أحد أعيان و علماء القرن 12هـ/ 18م في فهرسته المسومة بـ " الشموس الشارقة فيما لنا من أسانيد المشارقة و المغاربة " قائمة لشيوخه الذين قرأ عليهم الفقه و روى عنهم الحديث الشريف و ذكر منهم الشيخ محمد بن أبي طالب و حفيده أحمد بن هني[5] . إن مكانة المدينة العلمية جعلها و جهة علمية لطلبة العم الذين وفدوا من المغرب الشرقي في نواجي وجدة و تازة ، و كانت شهادتها العلمية و الفقهية تخول لحامليها التوظيف في الخطط لاشرعية متل القضاء و الإمامة و الخطابة.

---

[1] عبد الرحمن الجامعي : المصدر السابق ، و 78. ابن سحنون : المصدر السابق ، ص: 31.

[2] وصف ابن سحنون المدرسة قائلا "... المدرسة التي كاد العلم يتفجر من جوانبها تقع بجانب المسجد الأعظم الذي أسس على أنقاض المسجد العتيق وجعلت إلى جانبه خزانة كتب..." ابن سحنون: المصدر نفسه ، ص:127.

[3] نفسه، ص: 432.

[4] أبو راس الناصري : فتح الإله ، ص : 43.

[5] عبد الرحمن ذويب : المرجع السابق ، ص : 40.

مدينة عنابة:

إستطاعت مدينة عنابة أن تَشُّد إقبال الطلبة وأهل العلم رغم وجودها ضمن نطاق الحواضر الثقافية والعلمية الكبرى كمدينة قسنطنة و مدينة الجزائر داخلياً و جامع الزيتونة بتونس خارجياً ويرجع ذلك إلى شهرة وصيت علمائها.

تُعد أسرة البوني أهم الأسر العلمية في المدينة و التي تقلدت الخطط الشرعية من الفتوى والقضاء والإمامة إلى جانب مهام التدريس و من أهم علمائها الشيخ أحمد البوني[1] الذي ذاع صيته فكثر إقبال الطلبة عليه من مختلف جهات البلاد. و ذكره الحفناوي أنه عالم و مفسر وعددّ جل تصانيفه منها "الدرر النظيم في فضل آيات من القرآن الكريم[2]. كما وردت عليه رسائل من قسنطينة يطلبون فيها إبداء رأيه في مسألة حضانةإنقسم حولها العلماء[3]. إن شهرة علماء مدينة بونة جعلت الرحالة المغربي عبد الرحمن الجامعي الفاسي ينزل بها ويتردد على مجلس أحمد البوني حيث لازمه[4] إلى جانب تردد الطلبة الجزائريين مثل عبد الرزاق بن حمادوش[5] والشيخ عبد القادر الراشدي القسنطيني. ومن أهم العلماء الحنفية في مدينة عنابة نجد أسرة العنابي التي توارث خطة الإفتاء والقضاء في المدينة.

ويعد الشيخ محمد العنابي من أبرز علمائها حيث أفتى الكثير في مسائل عصره وألف كتابا تناول فيه مسألة ضرورة منافسة الأوروبيين في تقدمهم الصناعي والعسكري وسماه "السعي المحمود في

---

(1) أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي التميمي البوني (ت 1139هـ/1726م) فقيه مالكي ومحدث رحل إلى المشرق وأخذ عن علماء مصر كالشيخ الزرقاني وتصدّر للإقراء بالأزهر الشريف أخذ عنه جماعة من العلماء منهم عبد القادر والراشدي القسنطني وعبد الرحمن الجامعي المغربي .

أحمد بن القاسم البوني: الدّرة المصونة في علماء وصلحاء بونة. تح، سعد بوخلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، 2007، ص 13. الحفناوي: المصدر السابق، ص– ص 376– 388، عادل نويهض: المرجع السابق، ص 49.

(2) الحفناوي:المصدر نفسه ،ص :380.

(3) ابو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص: 71.

(4) الكتاني: فهرس الفهارس، ج1، ص: 236. أحمد البوني، المصدر السابق، ص: 102.

(5) ذكره عبد الرزاق بن حمادوش في رحلته أنه كان ينتظر رفقة العلماء وصول الشيخ أحمد البوني لشرح كتاب الألغاز. ابن حمادوش: المصدر السابق، ص: 130.

نظام الجنود" وطالب سلاطين آل عثمان بضرورة تجديد الدولة مع إصلاح النظم كما هاجم العلماء المتزمتين(1).

5- المراكز الثقافية في البوادي :

- **منطقة زواوة :**

تجاوز التأثير الثقافي أسوار المدن والحواضر و إمتد إلى بعض المناطق الريفية خاصة في بلاد زواوة، حيث شهدت المنطقة حركة فكرية و علمية نشطة بداية من القرن 10هـ/ 16م . و يرجع ذلك إلى عاملين أساسيين:

1) سقوط مدينة بجاية[2] على يد المحتل الإسباني عام 916هـ/1510م ، هذه المدينة كانت إحدى الحواضر الثقافية الكبرى في الجزائر طيلة العهود السابقة للعهد العثماني فبسقوطها هجرة وخرج أغلب سكانها و علمائها إلى المناطق الريفية.
2) قرب منطقة زواوة جغرافيا من الحواضر الإقليمية للجزائر، منها مدينة الجزائر وقسنطينة، هذه الأخير كانت مقصد طلاب أهل زواوة للأخذ عن علماء و مشايخ مدينة قسنطينة فأشار ابن الفكون أن الشيخ محمد البهلولي و الشيخ قاسم بن يحيى و الشيخ علي بن عثمان[3] أخذوا علم النحو عن الشيخ ابن الفكون و أن الشيخ علي بن عثمان لازمه وجالسه نحو نصف سنة ، ورأى من حِرْصَهُ فساعَفتهُ في طلبِه فقرأ عليه المكودي و بعد ختمهِ قراء عليه المرادي و أجزته وهو الآن صاحب درس عظيم وأقيلت عليه الدنيا[4].

إن أهم الزوايا التي تصدت لمهمة التعليم في منطقة زواوة ، زاوية سيدي علي بن يحيى بذراع الميزان الواقعة في وسط جبال جرجرة و التي يعود تأسيسها إلى القرن 09هـ/ 15م ، وزاوية

---

(1) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج2 ، ص: 92.

(2) سقطت مدينة بجاية عام 916هـ/ 1510م و إستطاع صالح رايس أن يسترجعها عام 963هـ/1555م .أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة ، ص- ص :343- 344.

(3) الشيخ أبو الحسن علي بن عثمان الشريف في إنتسابه من حبل زواوة و من قبيلة تدعى بني بترون. الفكون، المصدر السابق، ص :205.

(4) نفسه ، ص: 207.

عبد الرحمن البهلولي (ت 1005هـ)المشهورة بإتقانها الرواية القرآنية بالقراءات السبع[1]، و أشار "شاو shaw " إلى بعض الزوايا في المنطقة قائلا "... إن جماعة الصهريج ببلاد القبائل يدرس بها خمسمائة طالب و إن زاوية نقاوس بها ما يقارب مائتي طالب[2] ، إلى جانب هؤلاء نجد بمنطقة زواوة ، زاوية شلاطة في بجاية وشيخها محمد بن علي الشلاطي المعروف بإبن علي الشريف الذي تصدى للتدريس بالزاوية و كسبت الزاوية شهرة في منطقة زواوة و كان الناس إذا أرادوا تعظيم طالب أو فقيه نسبوه إلى زاوية شلاطة [3] لجودة التعليم بها ولكفاءة علمائها و فقهائها .

تعد أسرة الورتلاني من أهم الأسر العلمية والصوفية في منطقة زواوة و أشهر شيوخ وعلمائها الشيخ الحسين الورتلاني حيث ذكر في رحلته أن والده وجده كان من المتصوفة وفقهاء أهل عصره وسار على نهجهما و أصبح مدرسًا وشيخًا للأسرة الورتلانية في بلْدتِهِ بني ورتلان[4]. وأشار الورتلاني في رحلته إلى بعض الطلبة الذين أخذوا عنه الفقه والتوحيد منهم الشيخ محمد بن الفقيه الذي أخذ عنه صغرى السنوسي بحاشية المراكشي والشيخ محمد الشكلاوى الجزائري الذي قرأ عليه كبرى السنوسي[5] بشرح اليوسي والشيخ أبي القاسم بن مدور قاضي بجاية.

إن أشهر علماء منطقة زواوة و الذي عُرف عنه بتبحرِهِ في مختلف العلوم الشيخ محمد بن عبد الرحمن الزواوي المعروف بالأزهري[6]. و إثر عودتهِ من المشرق في عام 1177هـ/1763م

---

(1) القراءات السبع: هي في الأغلب قراءات الأئمة السبع وهي: قراءة نافع وابن كثير وأبي عمر البصري وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي. نبيل بن محمد: علم القراءات (نشأته وأطواره وأثره في العلوم الشرعية) مكتبة التوبة الرباط، 2000، ط1، ص : 22.

نبيل بن محمد: علم القراءات (نشأته وأطواره وأثره في العلوم الشرعية) مكتبة التوبة الرباط، 2000، ط1، ص : 22.

(2) Shaw : L'Algérie un siècle avant l'occupation française (Au 18 eu siècle), témoignage de Shaw :Jmac, oarthy, paris, 1968, 2eme,edition, p : 219.

(3) الحفناوي: المصدر السابق، ج2 ، ص- ص 402- 403.

(4) الحسن بن محمد السعيد بن الحسني الورتلاني (1125- 1193/ 1713-1779م)، درس بزاوية بمنطقة زواوة ومدينة الجزائر وأخذ عن علماء المشرق من مؤلفاته شرح على القدسية لعبد الرحمن الأخضري و شرح وسطى للإمام السنوسي.

مخلوف: المرجع السابق، ج1 ، ص 357. ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق ،ص: 418.

(5) الورثلاني، المصدر السابق، ج1، ص: 62.

(6) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف الأزهري مجاورًا الزاوي إقليميا، القجطولي قبيلة الإسماعيلي عرشًا ولد ما بين 1126هـ و1133هـ في بني اسماعيل من بلاد زواوة أخذ عن الشيخ الصعيدي و لازم الشيخ محمد الحفناوي المصري له تأليف وأوراد. الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص- ص: 298- 320.

تصدى للتدريس وأسس في قريته آيت إسماعيل زاويته الرحمانية حيث تولى مهمة التعليم علوم الشرع وعلوم طريقته. كسب الشيخ الأزهري شهرة كبيرة في الجزائر وإلتف حوله الكثير من أهل العلم[1] ودعاهُ صاحب مدينة الجزائر، و حين دخلها إحتفل به علماؤها في جامعها الأعظم وإشتهر أمره[2]. و بسبب تردُّدِه بين مدينة الجزائر و بين قريته بني إسماعيل في منطقة زواوة بنى له الداي حسن باشا[3] مسجدًا بمدينة الجزائر عام 1206هـ/1792م . و ذكر الحفناوي مجموعة كبيرة من تلاميذه الذين منحهُم الإجازة في مختلف العلوم[4].

6-مدينة بسكرة و زاوية خنقة سيدي ناجي

تعدى النشاط الثقافي والعلمي في العهد العثماني الحواضر الكبرى ليشمل الريف و يصل إلى مناطق جغرافية بعيدة مثل زاوية خنقة سيدي ناجي [5] التي وصفها حسين خوجة بأنها مشهورة و معلومة و معروفة بالعلم و بتخريجها لمشايخ وعلماء أعلام.[6]

إن أهمية الزاوية ترجع بالأساس إلى تدهور الحياة الثقافية و العلمية لمدينة بسكرة[7]، فوصف العياشي الحياة الثقافية و العلمية للمدينة قائلا "... إن مسجدها ذو سعة كبيرة وإتقانا في البناء، ألّا أنّه قّل عامروه و ضعف ساكنوه، فلا ترى بها مدرساً ولا قارئا... "[8]. ولم يحد الورتلاني عن ذلك فوصف شموخ بنيانها غير انه كالعدم في زماننا إذ لا نجد طالباً يتعلم مسألة من العلم، وذكر أن المدينة عانت

---

(1) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص: 300.

(2) الحفناوي:المصدر السابق ، ج2، ص: 300.

(3) الداي حسن باشا تولى الحكم في 10 ذي القعدة 1205هـ وظل به إلى وفاته 1212هـ/1797، كان عارفا ذو فطانة، الزهار: المصدر السابق، ص- ص :61- 67.

(4) الحفناوي: المصدر السابق ، ج2، ص :316.

(5) الخنقة، قرية من أعمار بسكرة ذات نخيل وأشجار تتوسط واد بين جبلين. الورثلاني، المصدر السابق، ج1، ص :251.

(6) حسين خوجة (ت1145هـ/ 1732م): ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. تح، الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس، 1975، ص: 253

(7) دخل العثمانيون مدينة بسكرة بشكل نهائي عام 966هـ/1552م بقيادة الباشا صالح رايس وكانت المدينة من أهم المراكز التجارية، أحمد توفيق المدني، المرجع السابق ، ص :186.

(8) أرجع العياشي سبب خراب مدينة بسكرة حيث كانت المدينة قبل ذلك من أهم المدن والمراكز التجارية إلى أنها كانت محل خلاف و نزاع و شجار بين الأتراك و عساكر الأعراب ، فيستولي عليها هؤلاء و أولئك إلى أن تمكن الأتراك منها فتملكوا البلاد و بنو حصنا منيعا و أضروا بأهلها. العياشي: المصدر السابق، ج2، ص :411.

من ظلم الأتراك وظلم الأعراب فكانت سجالاً بينهما حتى إنسلخت عن أوصاف الأمصار بل حتى عن أوصاف المدن الصغرى فهي الأن لا حمام فيها و لا سوق ثم إن الخطط الشرعية فيها تباع و تشري كالأملاك الحقيقية المباحة وهذا سبب إندراس العلم وأهله من كل وطن يوجد فيه ذلك[1].

وصف العياشي أهل الخنقة بأنهم أهل خيرا و بركة ولديهم رغبة في العلم و التعلم[2]، وأشار الورتلاني الذي زارها في القرن 12هـ/18م أن لها فضل عظيم في إظهار العلم وأن أهلها منشغلون بالنحو والفقه والحديث خاصة مختصر خليل البخاري لإبن أبي حمزة[3] ،و أشار إلى أن النحو عندهم يَعتني به الكبير والصغير حتى أنهم إشتهروا به إشتهارا بينًا[4]، غير أنه عجب عن إهمالهم لعلم الكلام والمنطق وسألهم عن سبب عزوفهم عن علم التوحيد، فكانت حجتهم أن الله لا يحتاج إلى معرفته إلى دليل و برهان خاصة وأن إبن أبي حمزة نهاهم عن الخوض فيه[5]، إلّا بعد معرفة القدر الواجب المكلف به بالبرهان العقلي.

إن شهرة الزاوية من شهرة علمائها وشيوخها وأعلامها فلقد أُستقبل أحمد العمري[6] أحد خريجي الزاوية وحظي بحفاوة و كرم و حظوة الأمير التونسي بسبب تبحر الشيخ العمري في معظم العلوم الشرعية روايةً ودرايةً وتصدى للتدريس بجامع الزيتونة ودّرس فيه مختصر خليل والألفية وغيرهما[7]. واشتهر علمائها بعلوم القرآن وغدت الزاوية مقصد الطلاب والعلماء من الزاب[8] والصحراء والأوراس وقسنطينة وبلاد زواوة وحتى من تونس وطرابلس حيث درس الشيخ إبراهيم الحمني التونسي الذي أخذ

---

(1) الورثلاني: المصدر السابق، ص: 241.

(2) العياشي: المصدر السابق ، ج2، ص :538.

(3) الورثلاني: المصدر السابق ، ج1، ص :252.

(4) نفسه : ج1،ص: 254.

(5) نفسه : نفس الصفحة.

(6) أحمد العمري: ولد بالخنقة سنة 1089هـ/1679م حفظ القرآن الكريم ودرس علوم مختلفة في الزاوية كالفقه والبيان وعلم الحديث على يد فقهاء أجلاء وعلماء أعلام منهم الشيخ أحمد بن عمر والشيخ أبو القاسم بن الطاهر. حسين خوجة، المصدر السابق، ص: 253.

(7) المصدر نفسه، ص 254.

(8) أشار ابو القاسم سعد الله أن الشيخ خليفة بن حسن القماري نسبة إلى قمار بضواحي واد سوف كان حيا سنة 1192هـ كان يتردد بين مسقط رأسه و بين بسكرة و خنقة سدي ناجي أخذ الفقه المالكي على مشايخها وعلمائها منهم الشيخ أبو القاسم السجوري. أبو القاسم سعد الله:المرجع السابق ، ج2، ص – ص: 77–79.

عن الشيخ عبد الله بن ابي القاسم الجلالي في الخنقة[1]، وعن أكابر بلاد زواوة منهم الشيخ محمد السعدي والشيخ محمد المغربي والشيخ أبو القاسم الذي كانت له مكانة ومنزلة علمية في منطقة زواوة. و عدد الورتلاني الكثير من علمائها وأعلامها وفضلائها وذكر الشيخ محمد بن الطيب والشيخ أحمد بن ناصر و كانت زواوية خنقة سيدي ناجي تضم الجامع الكبير[2] و الزاوية و المدرسة[3].

إقليم توات في الجنوب :

فضاء صحراوي واسع يقع إلى الجنوب من وادي الساورة و يتشكل من واحت متلاحقة و قصور كثيرة [4]، و ذكر صاحبي الرحلة العياشة و الناصرية في رحلتيهما " ... هذه البلدة مجمع القوافل القوافل الآتية من بلاد تنبكت و بلاد أكيدز على أطراف السودان ... و يوجد بها البضائع و السلع التي تجلب من هناك ... [5]" إن هذه الإشارات تدل على مدى حيوية النشاط التجاري في المنطقة و إلى التنوع السكاني بها ما يجعلها محطة هامة االتبادل التجاري و التواصل الثقافي بين مكونات ذلك النسيج الإجتماعي خاصة فئة العلماء و الفقهاء .

احتوى إقليم توات على مراكز ثقافية صحراوية في تمنطيط و بني عباس . ويُعد القرنان الثاني و الثالث عشر الهجريين (12 –13 هـ/ 18–19 م) عصرا ذهبيا فإنتعشت الحركة الفكرية والثقافية وكثر العلبماء و الفقهاء و الشيوخ و تنوع الإنتاج الفكري و الثقافي و يعود ذلك أساسا إلى مايلي :

---

(1) محمد مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار. تح: علي الزواوي ومحمود محفوظ، دارالمغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988، مج1، ص :437.

(2) الجامع الكبير: يرجع تأسيس الجامع الكبير إلى القرن 11هـ/17م واسع يحوي على ست وعشرين عرصة به صحن غير مغطى .أما المدرسة فقد تأسست سنة 1171 هـ وهي تحتوي على خمس وعشرين غرفة وتضم كل غرفة من خمسة إلى عشر طلاب ولها بابان خارجي وداخلي يؤدي إلى الجامع. ابو القاسم سعد الله: المرجع السابق ،ج1، ص: 284

(3) الورثلاني: المصدر السابق، ج1، ص: 254.

(4) محمد حجي : الحركة الفكرية ، ج2 ، ص: 631.

(5) العياشي : المصدر السابق ، ج2 ، ص ـص : 79 –80.

1) بُعد منطقة توات عن مركز الصراع السياسي فس الجزائر و تمتعها بالهدوء ما أتاح للنشاط الثقافي بالتطور و جعل المنطقة مركز جذبللعلماء الفارين من مناطق الصراع [1].
2) إنتشار الزوايا في سائر المناطق الصحراوية و التي جمع شيوخها بين العلم و العمل فساهموا في تبسيط المعارف و العلوم وتنافست الزوايا في استقطاب الطلبة ما كان له أكبر الأثر في نشر العلم و المعرفة .
3) مساهة أهالي إقليم توات بتقديم الدعم و العون للطلبة و المدرسيين بالأوقاف لبناء مختلف المؤسسات التعليمية فلم يخل قصر أو مدينة في إقليم توات من مدرسة قرآنية أو زاوية [2].

ومن أبرز علماء المنطقة خلال الفترة المدروسة نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

-**الشيخ البكري بن عبد الكريم ت 1133هـ/ 1750م:** أخذ علم النحو عن الشيخ محمد بن علي الوجروتي و عن الشيخ سعيد قدورة و الحاج محمد القاضي و له إجازة من الشيخ الحرشي ، تصدى للتدريس و تقلد خطة الإفتاء في إقليم توات و كافة الجيوب و القصور الصحراوية ،تعرض إلى وشاية لدى السلطان المغربي إسماعيل العلوي وعند مقابلتهكذب ما نُسب إليهو مدحه السطان قائلاً : "...لا قاضي بعد البكري .." إن شهادة السلطان المغربي في حق الشيخ البكري تدل علة مدى كفائته العلمية و إلى التطور العلمي و الثقافي في إقليم توات رغم بعدها عن مراكز الحواضر الثقافية في الشمال و من ثمة يعد إقليم توات حلقة وصل هامة بين المراكز الثقافية بين الشمال و الجنوب[3].

-**الشيخ عمر بن عبد القادر التينلاني ت 1152هـ/1739م** : أخذ علوم القران من شيوخه بمسقط رأسه منهم الشيخ محمد سالم التواتي ثم إنتقل إلى مدينة فاس التي أتم فيها دراسته و نال علوم التفسير عن شيخه محمد بن عبد الله السجلماسي و علم النحو عن أبي عبد الله زكري الفاسي و البيان عن الشيخ عبد السلام البناني و غيرهم .تصدى للتدريس بجامع القرويين ثم عاد إلى تينلانعام 1129هـ/1716مو تولى خطة القضاء ،أخذ منه عدد من طلبة العلم منهم أبو زيد الجنتوري و أبو زيد

---

(1) محمد صالح حوتية :توات و الأزواد خلال القرنين الثاني عشر و الثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتسع عشر للميلاد). دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية ، جزآن ،دار الكتاب العربي ، الجزائر،2007 ، ج1 ،ص :274.

(2) بلقادر عبد القادر :المرجع السابق ، ص :90.

(3) محمد صالح حوتية : المرجع السابق ، ج1 ، ص-ص :275- 276

التينلاني و له عدة مخطوطات و نوازل منها نوازل الغنية و فتاوي في القضاءو تقييدات على المختصر[1].

–الشيخ عبد الرحمن بن ابراهيم التواتي ت 1160هـ/1747م :يرجع نسبه إلى تيطاف من بلاد تواتو انتقل رفقة أسرته إلى عين صالح ثم مكث في بلاد تينجورارين ،أخذ علوم القران عن أبيه و عمه الألفية و المختصر ،عقد العزم متوجها إلى فاس فرده أهله لما بلغهم قدوم الشيخ أبي حفص فأقام عنده نحو سنة و نصف قرأعليه دروسا في المختصر من أوائل البيوع و و جمع الجوامع و السلم و التخليص و لامية الأفعال و دروسا من صحيح البخاري ،و حضر تدريسه للمختصر و الرسالة و الأجرومية و عقب وفاة شيخه تصدى للفتوى و التدريس ،وله شرح على المختصر و له مواقف على شرح عبد الباقي الزرقاني[2] .

ب– أهم مراكز التواصل الثقافي بالمغرب الأقصى:

1– مدينة فاس

حظيت مدينة فاس بدراسات و إشكاليات كثيرة إرتبطت بحاضر و ماضي المدينة[3]، فهي تُعد حاضرة المغرب التاريخية و تحتل في جغرافيته وتاريخه أهمية كبرى و عُرف المغرب الأقصى عند العثمانيين بمملكة فاس[4].

لم تكن المدينة في مركز المغرب جغرافيا بيد أنها تقع في ملتقى الطرق التي تحكمت في تاريخ المغرب منذ القديم . فهي على مدخل بين سلسلتي الريف والأطلس المتوسط في طريق يربط بين شرق البلاد والسهول المتفتحة على الأطلسي وفي موضع يربط بين جنوب المغرب و واحات تافيلالت وما يليها من أقاليم الصحراء والأقاليم الشمالية المطلة على المتوسطي ، ثم إنها على طريق سهل بين المغرب الشرقي و الجزائر و كانت المدينة ممر طبيعي بين طنجة والتخوم الصحراوية. وعليه فإن المدينة تمتعت بأهمية جغرافية جعلها تزخر بمورد بشري و إقتصادي و ثقافي متنوع[5].

---

(1) بلقادر عبد القادر :المرجع السابق ، ص: 91.

(2) محمد صالح حوتية : المرجع السابق ، ج1، ص :280.

(3) من جملة الكتب والدراسات التي تناولت مدينة فاس نذكر على سبيل المثال لا الحصر إسماعيل ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، الكتاني زهرة الأس في بيوتات فاس. عبد الهادي التازي: جامع القرويين المسجد والجامعة لمدينة فاس.

(4) الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص: 193.

(5) ابراهيم حركات: المرجع السابق، ج3، ص: 519.

حوّت المدينة على ما يقارب سبعمائة جامع ومسجد وعدّد الوزان خمسون منها ووصفها بأنها كبيرة حسنة البناء وذكر قائلا: "... في المدينة هناك الجامع الأعظم و يعرف بجامع القرويين في غاية الكبر يبلغ محيط دائرته نحو ميل ونصف الميل و له واحد وثلاثون بابًا كلها كبيرة عالية و الصومعة التي يؤذن عليها عالية جدًا وفي داخل الجامع على طول الجدران كراسي مختلفة الأشكال يدرس عليها العديد من العلماء حيث يلقون دروساً تتعلق بأمور دينهم وشريعتهم ، و تبدأ هذه الدروس بعد الفجر بقليل و تنتهي بعد ساعة من شروق الشمس..." [1] . إن الوصف الذي قدمه لنا الحسن الوزان حول مدينة فاس في بداية القرن 10هـ/16م يعطي إنطباعا بأن المدينة كانت تعج بالنشاط والسكان وحوت المدينة على كثافة سكانية عالية لدرجة أنه أستحدثت مساجد عديدة خارج أسوار المدينة . و إستعرض مرمول النشاط العلمي والثقافي لجامع القرويين وجاءت في مذكراته عند زيارته لمدينة فاس قائلا " ... أنه درس الأخيرة ظلت تستقطب الطلاب الأجانب..."[2].

شهدت المدينة فترات من المحن و الفتن أواخر العهد السعدي و بداية العهد العلوي حيث تعطلت الصلوات بجامع القرويين وسدّت جوامعها ولم تُصَّل الجمعة الثالثة من شهر رمضان وعُطلت التراويح و توارى العلماء بها وهجر بعضهم الآخر[3].

إهتم السلاطين العلويين بالمدينة فقاموا ببناء مساجد وصيانة أخرى، منها جامع الأندلس ومدرسة العطارين ومدرسة المصابحية ومدرسة الحلفاويين ومدرسة الشراطين 1071- 1081هـ التي بناها السلطان الرشيد و أكملها السلطان إسماعيل [4]. سعى كل من السلطان محمد بن عبد الله المعروف بمحمد الثالث ومن بعده المولى سليمان إلى تنظيم جامع القرويين فالأول أصدر مرسوما 1203هـ/1789م لتنظيم الحركة العلمية والثقافية في المدينة والأخر شارك في تسيير الدروس والإشراف عليها ، ولم يحد المولى سليمان عن محمد الثالث و أكد على مسألة الرجوع إلى أمهات الكتب والمصادر ورأى أنّ الإقتصار على بعض الشروح و الحواشي من شأنه أن يحد الفكر و يقف أمام قدرة على التحصيل والمناقشة[5].

---

[1] الحسن الوزان: المصدر السابق ، ج1، ص: 223.

[2] مارمول كربخال: وصف افريقيا. تر: محمد حجي وآخرون ،جزآن ، دار النشر المعرفة الرباط 1989، ، ج2، ص- ص: 146- 147، التازي: المرجع السابق، ج3، ص: 716.

[3] القادري: المصدر السابق، ج3، ص: 1364.

[4] ابن زيدان: الدرر الفاخرة ، ص:36.

[5] التازي: المرجع السابق، ج3، ص: 725.

إحتفظت مدينة فاس بتقاليدها العلمية والثقافية بالتعمق في الفقه المالكي والعناية بعلوم القرآن من خلال نظام الكراسي العلمية الذي حافظت عليه منذ العهد المريني و كان نظام الكراسي العلمية يقوم بتخصيص الأوقاف لتدريس العلوم الدينية والشرعية وغيرها من خلال قراءة أمهات الكتب في مختلف فروع المعرفة العلمية و تُسند الكراسي العلمية إلى علماء وشيوخ و فقهاء أعلام[1].

إرتبطت الكراسي العلمية بنوع العلم أو الكتاب المعني بالتدريس حيث كان هناك كرسي للتهذيب وآخر للرسالة القيروانية ومثله في الحديث والفقه، والملاحظ أن عدد الكراسي العلمية إزداد في العهد العلوي ،ولم يعد تأسيسها قاصرا على رجال الدولة بل أصبح يشارك في ذلك عامة الناس وشملت مدن أخرى غير فاس في مراكش ومكناس وتيطوان.[2] و أشار محمد المنوني إلى صعوبة وضع قائمة وافية للكراسي العلمية بجامع القرويين، إلاّ أنه قدم عدد قارب خمسة وثلاثين كرسيا، يتصدى للقيام بكل كرسي عالم من العلماء الأجلاء، تختلف إختصاصاتهم و لكل منهم زمن معين و وقته الخاص به. فالشيخ

يجلس على الكرسي ومن حوله الطلبة مجتمعون على شكل دائرة تُعرف بحلقة العلم حيث يشرع أحد الطلبة البارزين في السرد و العالم يشرح و يفسر ، و وجب على طلبة العلم إحترام حلقة العلم فليغلب عليهم الإنتباه مع تدوين أقوال العلماء و يمنع عليهم الكلام أثناء التدريس إذْ أنَّ مجرد اللغو يعرض الطالب إلى سخط شيخهِ، كما يستحسن عدم طرح الأسئلة إلاّ بعد أن يأذن لهم الشيخ. لم يقتصر حضور حلقات الدروس العلمية على الطلبة فقط بل كثيرا ما يحضرها عامة الناس ويختلف نسبة عدد الطلبة والعامة باختلاف موضوعات التدريس وشهرت وصيت العلم من خلال كفاءته ومقدرته وفصاحته[3].

أشار أبو راس الناصري الجزائري إلى منزلة فاس العلمية قائلا: « ...فهي قبلة الإسلام والسلم والاستلام والمقام الأعلى والمثابة الفضلى فهي أم القرى المغرب المغرب الوافر وخوائف المزاير...»[4] وما يدل على ازدهار الحركة الثقافية والعلمية لمدينة فاس العدد الضخم من العلماء والفقهاء والأدباء وفي

---

(1) محمد المنوني: الكراسي العلمية، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف، ع6: ص: 92.

(2) محمد المنوني: المرجع نفسه، ص: 87.

(3) نفسه ص: 90.

(4) أبو راس لناصري: فتح الإله، ص: 111.

هذه الفترة نذكر على سبيل المثال لا الحصر ابن أبي زيد الفاسي والشيخ اليوسي والرحالة العياشي والقادري واالبناني.[1]

1- مراكش:

فقدت مدينة مراكش[2] أمجادها العلمية والثقافية التي ورثتها منذ عهد المرابطين ومن بعدهم الموحدين فتناقص فيها العمران وهجرها العلماء وتوالى عليها الخراب. ومع مطلع القرن 10هـ/16م بلغت مراكش أوج نهضتها العلمية والثقافية خاصة في عهد السلطان أحمد المنصور السعدي بسبب كثرة العلماء الذين تجمعوا بها من أهلها و من الوافدين عليها من جهات مختلفة فتصدرت حواضر المغرب الأقصى[3] و نافست فاس في منزلتها العلمية[4] فعمت مساجدها و مدارسها و نشطت حركة التأليف و الكتابة بها .[5]

إن الفتور الكبير الذي أصاب الحركة الثقافية والعلمية للمدينة يرجع إلى مجموعة من الأسباب.

1- الفتنة التي أثارها المأمون بين العلماء من أجل حَمْلهم على إصدار فتوى حول تمكين العرائش للمحتل الإسباني عام 1017هـ[6] ، هذا الأمر دفع بالعلماء إلى الهجرة إلى البوادي فرارًا.[7]

2- بروز الزاوية الدلائية التي إستقطبت الوافدين من العلماء و الطلبة حتى أصبحت الزاوية منارة للعلم و الفكر نبغ فيها العلماء و الفقهاء و المحدثين و الشيوخ و تخرج على أيديهم علماء ذاع صيتهم مثل الرحالة العياشي والعلامة اليوسي[8].

---

(1) الملاحظ من كتب التراجم و الفهارس التي تناولت علماء مدينة فاس أن إسم الشيخ أو العالم أو الفقيه كثيرا ما اقترن باسم المدينة. فيقال الشيخ فلان بن فلان الفاسي وهذا يدل على أن أصله ونسبه و تعلمه كان في مدينة فاس.

(2) مراكش: مدينة كبيرة تقع على سهل واسع على مسافة أربعة عشر ميلا من الأطلس شيدت من قبل يوسف بن تاشفين وجعلها عاصمة له، كثرت جوامعها ومدارسها. حسن الوزان: المصدر السابق. ج1، ص: 138.

(3) محمد حجي: الحركة الفكرية ، ج2، ص: 340.

(4) عمار بن خروف: المرجع السابق، ج2 ، ص: 152.

(5) الكتاني يوسف: مدرسة الإمام البخاري في المغرب. جزآن ، دار لسان العرب، بيروت، ، ج1، ص: 448.

(6) القادري: المصدر السابق، ج3، ص: 1167.

(7) عبد الله كنون: المرجع السابق، ص: 274.

(8) الكتاني: المرجع السابق، ص: 449.

إختلفت المصادر المغربية في تحديد سنة تسليم العرائش إلى المحتل الإسباني فأشار القادري إلى سنة 1017هـ وحين ورد ذلك عام 1019هـ/1610م عند الضعيف . الضعيف: المصدر السابق، ص: 71.

3- إن الأوضاع السياسية التي عرفها المغرب الأقصى خلال القرنين 10- 11هـ/16- 17م ومدنه خاصة مراكش على اعتبارها مدينة إحتضنت أجهزة الدولة من إدارة و جيش جعل المدينة تتخبط في فتن وحروب وصراعات و أشارت المصادر إلى ذلك، فعقب وفاة المولى إسماعيل عرفت البلاد أزمة دامت ثلاثين سنة 1727- 1757م بسبب تنازع أولاده من بعده وتسلط جيش عبيد[1] . و ذكر الناصري إلى حدوث فتنة بالمغرب و ظهور الملوك الثلاثة من أولاد السلطان محمد بن عبد الله فبعد مقتل السلطان اليزيد تمسك أهل مراكش بدعوة المولى هشام و بايع أهل فاس المولى سليمان.[2]

4- ذكر محمد المنصور في مؤلفه المغرب قبل الإستعمار أن تأسيس مدينة الصويرة 1765م جعل الحركة التجارية تنقل عن مدينة مراكش و ذكر أن جميع من زار المدينة عند نهاية القرن 12هـ /18م لاحظ مدى تدهور حالة المدنية فالطبيب الإنجليزي " وليام لامبريير " لاحظ في سنة 1790م أن الكثير من دورها كان في حالة خراب[3] في حين ذكر الضعيف أن المدينة أصابها الشلل في مجالات متعددة خاصة النشاط التجاري، ثم إن المدينة لم تسلم من الوباء الكبير الذي خرب مدن المغرب 1799- 1800م فهلك جزء كبير من سكانه وعليه فإن المدينة عرفت تدهوراً عمرانياً كبيراً.[4]

ذكر صاحب الأعلام لمن حل مراكش وأغمات من الأعلام إلى مجموعة واسعة من أعلام وشيوخ وعلماء مدينة مراكش، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- اليفرني[5] ورد ذكرهُ الأفراني أو الوفراني وهو أبو عبد الله محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله ولد بمراكش حوالي سنة 1080هـ/ 1670م[6] قرأ على جماعة من أعيان مراكش كالشيخ أحمد بن علي المداسي المراكشي الذي لازمه كثيرا، إرتحل إلى فاس لطلب العلم فأخذ عن علمائها ومشايخها كالشيخ أحمد بن عبد الحي الحلبي[7] ومحمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي. تقلد خطتي الخطابة

---

(1) الأفراني: صفوة، ص: 303.

(2) الناصري: المصدر السابق، ج8، ص: 86.

(3) محمد المنصور: المرجع السابق، ص- ص: 35- 36.

(4) الضعيف: المصدر السابق، ص- ص: 315- 317.

لوسيت فالونسي: المرجع السابق، ص- ص: 27- 28.

(5) الأفراني: نسبة قبيلة يفرن بفتح الياء والراء وبينهما الفاء الساكنة، قبيلة مشهورة بالمغرب متاخمة لقبائل مغراوة.

(6) الأفراني: صفوة، ص: 11.

(7) أحمد بن عبد الحي الحلبي ت 1120هـ أثنى عليه علماء عصره منهم الشيخ عبد القادر الفاسي والشيخ عبد الواحد بن محمد البوعناني والقاضي أبو مدين المكناسي، كانت له حظوة عن السلطان إسماعيل العلوي حيث وقره وكرمّه بالعطايا . القادري: المصدر السابق، ج5، ص:1936.

والإمامة بمسجد علي بن يوسف[1] وتصدى لقراءة التفسير وصحيح البخاري وإجتمع عليه طلبة مراكش بالبحث والجدال في مجلسه و رمّوه بالزندقة. نال حظوة عند السلطان إسماعيل العلوي و حيث كلفه بوضع تاريخ لدولته[2].

– محمد بن ناصر الدرعي ت 1140هـ: مراكشي النشأة إشتغل بالقراءة والتعليم رحل إلى المشرق فحج ورجع حيث تصدى خطتي الإمامة والخطابة بالمسجد إلى أن توفي[3].

– محمد بن عبد الله الدوادي: نزيل مراكش وجامع العلوم الشرعية، عكف على تدريس مختصر خليل وألفية إبن مالك وصغرى السنوسي، توفي بالوباء في 1160هـ[4].

3– مدينة تيطوان:

لم تكن مدينة تيطوان[5] على نفس المكانة والأهمية من الناحية الثقافية والعلمية مقارنة ببقية الحواضر الثقافية الكبرى مثل فاس ومراكش ويرجع ذلك إلى عدة عوامل.

1–إن القرب الجغرافي للمدينة و وقوعِها على خط التماس مع العدو الأيبري (الإسباني والبرتغالي) جعل منها ثغراً، فكان كل شخص قادر على حمل السلاح من سكانها يعد مرابطاً في سبيل فيقضي الفرد في متجره أو حقله وسلاحُه يظل معلقاً في كتفه أو موضوعاً على جانبه حتى إذا ما سمع صوتاً ينذر بالخطر أسرع إلى تقلد سلاحه لِمواجهة العدو. وكان العلماء والشيوخ يترددون على مدينة تيطوان منهم الشيخ علي اليوسي الذي زارها 1085هـ في مرات عديدة يرغب الناس في الجهاد في قصائد ونظم

---

(1) محمد المكي الناصري الدرعي: الدرر المرصعة في أخبار أعيان درعة، مخطوطة مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، ص: 135.

السملالي العباسي بن ابراهيم: الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تر: عبد الوهاب ابن منصور 9 أجزاء ، المكتبة الملكية، الرباط، 1993، ، ج6، ص: 51.

(2) الأفراني: نزهة الحادي، ص– ص: 309– 310. عبد الله المرابط: فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة . منشورات كلية الآداب ، تيطوان ، ط1 ، 1999، ص: 667.

(3) السملالي: المصدر السابق، ج6، ص: 49.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص: 63.

(5) تيطوان: ورد ذكرها في الحسن الوزان بتطوان وهي مدينة صغيرة بناها الأفارقة القدامى وفتحها المسلمون وخربها البرتغاليون عام 803هـ/ 1399م ثم بناها قائد اندلسي جاء من فاس. الحسن الوزان: المصدر السابق، ج5، ص– ص: 318– 319.

شعرية،[1] غير أنه أبدى أسفه في الوقت نفسه لعدم وجود من لا يملأ العين من العلماء العاملين والتلاميذ النشطين .[2] وعليه فإن المدينة لم تكن دار علم و أدب وإنما كانت دار رباط و جهاد من جهة و مركزا تجاريا من جهة أخرى.

2- فضّل الكثير من المهاجرين الأندلسيين التوجه إلى المدن والحواضر العامرة و المشهورة بالعلوم والآداب مثل مدينتي فاس و تلمسان، وذلك بسبب أن معظم الأندلسيين كانوا أهل علم و أدب و لأن مدينة تيطوان كانت على حدود الرباط و الدفاع وقريبة من ميدان القتال تحمس المهاجرون الأندلسيون إلى الأفلام والطروس وجانبوا القتال والحروب[3].

3- أشارت كتب التراجم ومشاهير تيطوان في القرن 10هـ/16م إلى عدد قليل من علماء وفقهاء مدينة تيطوان، فالقاضي إبن عسكر في مؤلفه دوحة الناشر والذي كان كثير التردد على المدينة لم يذكر من مشاهير و علماء مدينة تيطوان إلّا بعض أفراد منهم القاضي الكراسي.[4] في حين قدّم لنا القادري بعض علماء ومشاهير مدينة تيطوان منهم الشيخ عبد القادر المنوني و إقتصر في ترجمته على أنه أحد علماء مدينة تيطوان والشيخ عبد الله بن علي شطير التيطواني والشيخ محمد بن علي الورزازي نزيل مدينة تيطوان و الذي أخذ عنه عدة علماء و له فهرسة وشرح لقصيدة الشيخ محمد إبن ناصر في العبادات.[5] العبادات.[5]

4- لم يذكر شيخ تيطوان وعالمها الحاج علي بركة[6] أي واحد من علماء مدينة تيطوان الذين أجازوه في العلوم وإنما إقتصر على شيوخ وعلماء فاس، وهذا يدل على أن العلماء الذين كانوا بتيطوان في ذلك العهد لم تكن لهم روايات يجزون بها ومن ثم فإن المدينة في النصف الأول من القرن 11هـ/17م لم

---

(1) القادري: المصدر السابق، ج5، ص: 1800.

(2) محمد داود: تاريخ تيطوان، مهد المولى الحسن، تيطوان، 1959، ص: 427.

(3) محمد داود: المرجع نفسه، ص: 168.

(4) محمد ابن عسكرالحسني الشفشاوني: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح: محمد حجي، منشورات مركز التراث الثقافي، الدار البيضاء، 2015، ط4، ص: 27.
محمد حجي: الحركة الفكرية، ج2، ص: 417.

(5) القادري: المصدر السابق، ج7، ص- ص: 2467- 2469,

(6) أبو الحسن عل بن محمد بركة الأندلسي التيطواني ت 1120هـ أخذ عن أبي محمد عبد القادر الفاسي و أبي علي اليوسي وتلقى من أبي عبد الله بن ناصر مكث بفاس مدة برسم القراءة ثم رجع إلى بلده فبث بها علومه ودرس بها التفسير له حاشية على المكودي وشرح على الاجرومية. الأفراني: صفوة، ص: 364. القادري: المصدر السابق، ج5، ص-ص: 1933- 1934.

يكن بها علماء كبار أو أدباء مشهورين وكانت جل إتجاهاتهم في علوم اللغة والفقه والنوازل عن طريق الدراية لا على سبيل الرواية[1].

إن الوضع الثقافي والعلمي للمدينة انتعش في النصف الثاني من القرن 12هـ/18م حيث أشار الكتاني في مؤلفه فهرس الفهارس إلى الشيخ أحمد الوزرازي الذي كان مجلسه غاصًا بطلبة العلم من العوام والخواص يستفيدون من علم الحديث والسيرة والشمائل المحمدية للترميذي و الشفا للقاضي عياض وألفية العراقي و مختصر خليل. و وصف الكتاني الشيخ على أنه حبر تيطوان وفخرها العلامة المحدث، وما يدل على شهرة الشيخ الورزازي هو إقبال الشيخ عبد الرزاق حمادوش الجزائري للأخذ من شيخ وعالم مدينة تيطوان.[2]

4- مكناس:

تحولت مكناس[3] من مدشر قبل المرابطين إلى حصن منيع في عهدهم ثم إلى معسكر في العهد الموحدي ثم إلى مدينة أخذت الطابع الأندلسي في عهد المريني و في عهد السعدين عرفت المدينة مرحلة تراجع ذلك أنهم ركزوا على جنوب المغرب وأغفلوا مدن الشمال.

عرفت المدينة عصرها الذهبي على عهد السلطان إسماعيل العلوي الذي إتخذها عاصمة لملكه و أشار ابراهيم حركات إلى الدوافع التي جعلت السلطان يؤسس عاصمته الجديدة[4] و ذكر منها.

1- صعوبة تثبيت جهاز الحكم في مدينة فاس في وضع سادهُ الفوضى والفتن حيث أكدت ثورة فاس والتي إمتدت أربعة عشر شهراً عام 1084هـ/ 1673 م إلى صعوبة إستقرار نظام الحكم.[5]

2- الموقع الجغرافي للمدينة حيث أستخدمت مكناس لمراقبة تحركات الفاسين وأهل الأطلس المتوسط.

---

(1) محمد داود: المرجع السابق، ص: 428.

(2) الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير: فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم، والمشيخات والمسلسلات، إع: إحسان عباس، ثلاثة أجزاء ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ط2، ، ج3، ص- ص: 1110- 1111.

(3) مكناس: مدينة كبيرة أسستها قبيلة مكناسة فسميت بإسمها تبعد عن فاس بنحو ستة وثلاثين ميلا. الوزان: المصدر السابق، ج1، ص: 214.

علّق ابن زيدان في مؤلفه اتحاف الأعلام على تسمية المدينة، بمكناسة الزيتونة وذكر حتى تتحدر المدينة من مكناسة القبيلة. ابن زيدان: المصدر السابق، ج1، ص: 33.

(4) ابراهيم حركات: المرجع السابق، ج3، ص: 511.

(5) ذكر القادري أن مدة الحرب والحصار بين السلطان إسماعيل العلوي وأهل فاس سنة كاملة وشهرين وثمانية وعشرين يوما. القادري: المصدر السابق. ج4، ص: 1581.

3- البعد الجغرافي بين مراكش و فاس و تافيلالت و الأطلس المتوسط جعل السلطان إسماعيل العلوي يستبعد إقامة حاضرة ملكه في مراكش في المقابل كانت مكناس محطة وسط الطريق بين السوس وفاس[1].

أشارت المصادر على ما شهدته المدينة من نهضة معمارية ومدى إنتشار المؤسسات الثقافية حيث شُيدت المساجد و الجوامع و الزوايا و المدارس ، بلغ عدد مساجد مكناس في العهد الإسماعيلي مائة وأربعين مسجدًا،[2] فيها المساجد الكبرى و الصغرى ومن أشهرهم الجامع الأعظم[3] حيث تُدرس فيه مختلف حقول المعرفة العلمية وإحتوى جامعها الأعظم على عدة كراسي علمية[4].

فقدت المدينة أهميتها السياسية والثقافية بعد وفاة السلطان إسماعيل، وذكر صاحب البستان أن أولاد وحفدة السلطان خربوا ما شيّده وفضلوا الإستقرار بمدينة فاس،[5] وقدم لنا الرحالة إبن حمادوش الجزائري إشارات تدل على تدهور الحياة الثقافية والعلمية وذكر أنه دخلها عام 1156هـ/ 1743م وكان له لقاء بعلمائها فلم يجد من يحسن علم التوقيف[6]، وغادر المدينة بعد أن مكث أحد عشر يومًا[7].

إن أهم أعلام وعلماء مديمة مكناس في هذه الفترة نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- **محمد أبو مدين السوسي** قاضي الحضرة الإسماعيلية بمكناسة الزيتونة أخذ على مشايخه منهم الشيخ الحسن بن مسعود اليوسي، برع في فنّ الخطابة عزل عن خطة القضاء عام 1088هـ وولى مكانه أحمد بن سعيد المجيلدي له شرح على منظومة الأخضري في المنطق المعنونة بالسلم المرونق،[8] توفي بمكناسة عام 1120هـ[9].

---

(1) إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج3، ص: 519.

(2) بوركبة السعيد: دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية، جزآن ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ، ج1، ص: 230.

(3) الزياني: البستان الطريف ، ص: 148.

(4) بوركبة السعيد: المرجع السابق، ص-ص: 231- 232.

(5) الزياني: المصدر السابق ، ص: 156.

(6) ابن حمادوش: المصدر السابق ، ص: 77.

(7) ابن حمادوش: المصدر نفسه، الهامش2، ص: 80.

(8) القادري: المصدر السابق، ج6، 1937.

ابن زيدان عبد الرحمان بن محمد السجلماسي: إتحاف أعلام الناس بجمال أخيار حاضرة مكناس، تح: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ط1، 5أجزاء، ج4، ص: 104.

(9) أشار ابن حمادوش في ترجمة لقاضي الحضرة المكناسية وذكر أنه توفي عام 1123هـ. في حين أشار القادري وابن زيدان إلى عام 1120هـ.

- **ابن شقرون المكناسي عبد القادر بن العربي المدغري** كان حيًا عام 1141هـ. أخذ عن شيوخ مكناسة منهم القاضي أبو مدين السوسي رسالة إبن أبي زيد ومختصر السنوسي وعن القاضي سعيد العمري حيث حضر مجلسه في إقراء البخاري وعن جماعة من شيوخ فاس منهم أبو العباس أحمد بن الحاج أخذ عنه الربع من مختصر الشيخ خليل وأبو عبد الله محمد القسمطني أخذ عنه المقامات الكبرى للشيخ السنوسي وغيرهم له شرح على البسط وأرجوزة في علم الطب[1].

5- سجلماسة :

تُعد المدينة مركز تجاري هام في شرق جنوب المغرب ذلك أنها همزة وصل بين المغرب و بلاد السودان الغربي . و إقترنت المدينة بركب الحجيج السجلماسي الذي يسلك الطريق الصحراوي عابرا القطر الجزائري[2] ، و إحتوائها على فئة الأشراف العلويين جعلها مقصدا للعلماء و أهل العلم ، و تعدد زواياها جعلها تلعب دور ثقافيا هاما في الجنوب . ومن أشهر علمائها نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

- **ابن ناجي السجلماسي ت1112هـ** : ابو العباس أحمد بن محمد بن ناجي الخطيب و المفتي بجامع القرويين ، تقلد خطة الإفتاء ما يقارب العقدين . كان من خواص الحضرة الإسماعلية و من أعيان و علماء الدولة حيث تصدى للدفاع عن وجهة نظر الحضرة الإسماعلية في قضية تمليك الحراطين مبرزا نية السلطان في جمعه للإستفادة منهم و رد على علماء فاس المناضين على القضية [3].
- **ابن مبارك السجلماسي ت 1156هـ/1744 م:** أبوالعباس أحمد مبارك اللمطي السجلماسي له باع وتبحر في المنطق والبيان والأصول والحديث والقراءات والتعبير، رحل الى فارس قد خلها عام 1110 هـ واخذ عن شيوخها محمد القسمطيني ومحمد المسناوي أجازه في رواية البخاري الشيخ الخرشي، اخذ عنه جماعة من طلية فاس توفي بالطاعون في حدود سنة 1156 هـ [(4)].

إبن حمادوش: المصدر السابق، ص: 46.

(1) إبن زيدان: المصدر السابق، ج5، ص: 382. عبد الله كنون: المرجع السابق، ج1: ص: 289.

(2) محمد المنوني : من حديث الركب المغربي ، ص : 33.

(3) القادري : المصدر السابق ، ج 5 ،ص :1943. التازي : المرجع السابق ، ج3 ، ص : 798.

((4)) القادري: المصدر نفسه ج6 .ص:2133. مخلوف: المرجع السابق ج1 .ص: 506 محمد الأخضر: المرجع السابق، ص:237 .

6-البقاع المقدسة :

شكلت البقاع المقسة مركزاً آخر لا يقل أهمية عن مراكز التواصل الثقافي في البلدين ، فكان علماء البلدين – الجزائر و المغرب الأقصى – يجاورون الأماكن المقدسة خاصة المدينة المنورة ، فقد فضَّل الشيخ عيسى الثعالبي الجزائري و محمد بن سليمان الروداني المغربي الأستقرار بالمدينة المنورة [1]، و إلتقى علماء البلدين و تبادلوا الأفكار و تباحثوا في مسائل فقهية و كلامية مختلفة ، و على سبيل المثال لا الحصر أخذ العياشي علوم مختلفة عن الشيخ عيسى الثعالبي و إجتمع به بين سنتي 1064 و 1065هـ /1654م في القاهرة [2] و سمع منه بعض مسند احمد بن حنبل و أجازه جميع مروياته عن أشياخه [3] . و لقيه مرة أخرى أثناء رحلته الحجازية سنة1073 هـ/ 1662م فقرأ عليه جملة من المتون و أغلبها في الحديث الشريف و ذكر العياشي شيخه الثعالبي قائلاً : " ... قرأت عليه و سمعت ما لم يسمع غيري .." [4]. و في المشرق كانت تضيع الهوية الخاصة للجزائري و المغربي وتنعدم الفوارق المكانية ليصبح الواقد إليها يُطلق عليه مغربياً ، ثم أن لقاء علماء المنطقة الجزائر والمغرب بنظرائهم من العلماء المشارقة كان عاملا في نقل المؤثرات المشرقية على إختلافاتها إلى الجزائر و المغرب الأقصى.

و مما تقدم في هذا المبحث الثاني الموسوم بـ " أهم مراكز التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب" يمكن القول :

1-لم تكن المراكز الثقافية في البلدين على نفس الأهمية و المكانة ، فهناك حواضر حافظت على تراثها الثقافي و العلمي مثل قسنطينة و فاس و آخرى تراجعت بسبب الفتن و الفوضى التي لحقت بها مثل تلمسان و مراكش .

2- إن الوجود العثماني أكسب مدينة الجزائر أهمية سياسية و ثقافية جعلها مقصد العلماء و أهل العلم من داخل البلاد و خارجها خاصة العلماء الماغربة .

3-تجاوز التأثير الثقافي أسوار المدن لينتقل إلى مناطق شملت البوادي و الأرياف و الزوايا .

---

(1) عمار بن خروف : المرجع السابق ، ج2 ، ص : 164.

(2) العياشي : المصدر السابق ، ج2 ، ص : 129.

(3) القادري : المصدر السابق ، ج4 ، ص : 1629.

(4) العياشي : المصدر نفسه ، ج2 ،ص: 139.

الفصل الثالث:

مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب

المبحث الأول:

الإجازات العلمية المتبادلة بين علماء البلدين

المبحث الثاني:

الرحلات المختلفة بين علماء البلدين

المبحث الثالث :

المراسلات العلمية و أهم الكتب المنتشرة في البلدين

مقدمة الفصل الثالث :

مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب الأقصى

إن التواصل الثقافي بين الأفراد و الجماعات عملية معقدة تقوى و تضعف على حسب الظروف و المستجدات وبالنظر إلى تقاطع القواسم الثقافية بين البلدين و تشابه البنية البشرية والسمات اللغوية والدينية وحتى المذهبية زاد من حيوية الفعل الثقافي بين الجزائر و المغرب و ما جعل مظاهره واضحة و ما ساعد على إذابة الجليد بين حكام البلدين في فترة الأزمات و الخلافات السياسية. و في هذا الفصل الثالث سندرس مظاهر التواصل الثقافي بين البلدين و قسمناه إلى ثلاث مباحث .

كان المبحث الأول تحت عنوان الإجازات العلمية المتبادلة بين علماء البلدين ، فإستعرضنا الإجتزات العلمية المتبادلة بين علماء البلدين . ثم إنتقلنا إلى المبحث الثاني و درسنا الرحلات بين الأفراد و الجماعات و التي تنوعت بين الرحلة العلمية و الحجازية و السفارية و حتي القسرية منها . و جاء المبحث الثالث لدراسة المرسلات العلمية بين علماء البلدين و إستعرضنا لإهم الكتب المنتشرة في البلدين .

مقدمة المبحث الاول :

الإجـــــــازات العلمية بين علماء البلدين .

تُشكل الإجازة إحدى مظاهر التواصل الثقافي بين العلماء ، و لأهميتها تسابق العلماء و الفقهاء و الشيوخ و أهل العلم و حتى الأمراء و الملوك على نيلها و الحصول عليها ، و غت مقصداً و مطلباً من جميع الطبقات . و قطع العلماء و أهل العلم مسافات و عبروا أوطاناً و أمصاراً من أجل الحصول على إجازة عالم في كتاب أو حديث .

يمكن تصنيف الإجازات العلمية لعلماء الجزا ئر إلى صنفين أساسين :

- الصنف الأول: يتعلق بإجازة العلماء الجزائريين لبعضهم بعض[1] ، و ذكر إلى صعوبة إحصاء عددها و أشار إلى أمثلة [2] و خلص أن علماء البلد الواحد لا يمنحون الإجازات لبعضهم البعض و أكد على أن الإجازة لا تأتي إلا بترحال و قطع مسافت و الأخذ على علماء غير أهل البلد الواحد.
- الصنف الثاني إجازة علماء الجزائر لغيرهم من العلماء : و في هذا الصنف الذي يضم الإجازات المتبادلة بين علماء الجزائر بغير من العلماء المشارقة و المغاربة ، سنقتصر على دراسة الإجازات المتبادة بين علماء الجزائر و نظرائهم في المغرب الأقصى و الذي هو محل الدراسة . و عليه يكمن طرح التساؤلات التالية :

1- ما هي أبرز الإجازات العلمية بين علماء البلدين ؟

2- ما نوع محتوى الإجازات العلمية المتبادلة بين علماء البلدين؟

3- هل هناك فوارق علمية و ثقافيةو بين علماء البلدين ؟

---

[1] الورثلاني: المصدر السابق، ج2، ص: 100. مخلوف: المرجع السابق ، ج2، ص: 476.

[2] ابوالقاسم سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص: 44.

إجازة الشيخ محمد الزجاي للشيخ ابن سحنون صاحب الثغر الجماني حيث لازم إبن سحنون مجلس الزجاي و أخذ عنه الفقه المالكي و قرأ عليه صحيح البخاري و كبرى السنوسي. و معظم جمع الجوامع للسبكي و حواشي السعد و متَّنهِ و ألفية ابن مالك. إجازة الشيخ أحمد الزروق البوني للشيخ الورتلاني صاحب الرحلة الورثلانية و ذكر أنه أجازه في سائر العلوم النقلية و العقلية

مــفهوم الإجازة:

1- لغة: مأخوذة من جواز الماء الذي يستعمل لسقاية الماشية والأرض ويقال: إستجزت فلان فأجازني إذا سقاك ماء لأرضك وماشيتك ، كذا طالب العلم يسأل العالم أن يجيزه علمه فيجيزه إياه، فالطالب مستجيز والعالم مجيز [1].

2- إصطلاحا: هي إذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته ومؤلفاته ولولم يسمع منه ولم يقرأ عليه وذلك بقوله: "... أجزت لك أن تروي عني الكتاب الفلاني أوما صحّ عندك من مسموعاتي.. "[2]و عرفها محمد التونجي بأنها إذن من شيخ لطالب علم أولعالم آخر في رواية الحديث الشريف أوالفقه أوالتاريخ وغيرها من العلوم، أوهي إذن في تولي منصب كالفتوى والتدريس وغيرهما[3].

إن الأصل في الإجازة أن ينطق بلفظها الصريح شفاها أمام تلميذه و الكتابة مساوية للنطق و غالبا ما تكتب الإجازة بخط الشيخ كأن يقول : " أجزت فلانا رواية هذا الكتاب عني" . و نظرا لأهميتها لتسابق العلماء و الأئمة و الملوك إلى نيل الإجازة و الحصول عليها و أصبحت مقصداً و مطلباً من جميع الطبقات و قطع العلماء و طلبتهِ مسافات كبيرة وعبروا أو طائًا و أمصارا من أجل الحصول على إجازة عالم في كتاب أو حديث و كانوا يلحون في طلب ذلك [4].

شروط قبول الإجازة:

ذكر العلماء شروط الإجازة والرواية بها والعمل بمقتضاها شروطا و لابد أن تتوفر في المجيز و المجاز و هي:

---

[1] محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب. 15 مجلد، دار الجبل، بيروت، 1988، ج1، ص: 531.
الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية. دائرة المعارف العثمانية ، 1357هـ، ص: 312.
[2]يوسف الكتاني : المرجع السابق، ص: 129.
[3] محمد التونجي: المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ص: 33.
[4]يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج1، ص: 131.

1- أن يكون المجيز عالمًا بما يُجيزهُ في دينه و روايته معروفا بالعلم ذلك أن يكون الشيخ المجيز من أعلام و علماء عصره و أكثرهم فضلاً و شهرةً فلا يمنحها عالم مغمور لعدم إقبال الطلبة في الغالب إلّا على فضاحلة العلماء ، فالشهرة و الصيت الواسع مقياس لكفاءة العالم [1].

2- أن يكون المجاز من أهل العلم متسمًا به حتى لا يضع العلم إلّا عند أهله وذكر ابن قنفد القسنطيني في "كتابه شرف الطالب" أن طلب الإجازة و الرواية من شأن أهل العلم [2].

أ- إجازة علماء الجزائر لعلماء المغرب الأقصى

1- إجازة الشيخ عمر المنجلاتي الجزائري للشيخ لإبن زاكور الفاسي المغربي.

إن موقع مدينة الجزائر و شهرة علمائها و مراكزها العلمية جعلها محطة للعديد من طلبة أهل العلم و العلماء المغاربة برًا و بحرًا حيث حلّوا ونزلوا وأقاموا بها، وتبادلوا مع علمائها مختلف المسائل الفقهية والكلامية فأجازوا و إستجازوا و من هؤلاء العلماء المغاربة الذين حلّوا بمدينة الجزائر و الأخذ عن علمائها نجد الشيخ محمد بن زاكور الفاسي المغربي [3].

حَلَّ بمدينة الجزائر عام 1093هـ/1682م لم يفصح في كتابه الموسوم لهذه الرحلة " نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتيطوان " عن أسباب رحلته و إختلف الباحثون في تحديدها فأرجع

---

[1] يستدل على تبحر عالم في علم من العلوم على إشتهار مؤلفاته وتعددت مصنفاته وإقبال أهل العلم والعلماء عليه فعلى سبيل المثال لا الحصر إقبال الطلبة والعلماء على الشيخ ابن الفكون لتبحره في علم النحو.

[2]أبي العباس أحمد بن بن قنفد القسنطيني ت 810 : شرف الطالب أسس المطالب، تح: عبد العزيز صغير دخان، مكتبة الرشد، ط1، 2003، ص: 236.

عبد الله محمد بن مريم المليتي المديوني التلمساني: البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان. تح: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م، ص: 307.

[3] ابن زاكور: ت 1120هـ/1708م، محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد أبوعبد الله بن زاكور الفاسي ولد بفاس بسنة غير معلومة ورجح عبد الله كنون في بداية الربع الأخير من القرن 11هـ/ 17م أخذ على أعلام وعلماء مدينة فاس منهم عبد القادر الفاسي وأبوالحسن اليوسسي. وأبوعبد الله محمد بن أحمد القسنطيني رحل إلى تيطوان وأخذ عن شيوخها وإلى مدينة الجزائر وهم أبوحفص المنجلاتي وعبد المؤمن الجزائري وسعيد قدورة، له عدة تصانيف منها تزيين قلائد العقبان بفرائد التبيان ونشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتيطوان.

ابن زاكور: نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتيطوان، تح: مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، المعرفة لدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة 2011، ص- ص: 13- 27. القادري: المصدر السابق، ج5، ص- ص: 1937-1938.

عبد الله كنون سبب زيارته لِلجزائر إلى أسباب عائلي ذلك أن أولاده كانوا موجودين بمدينة الجزائر وإستبعد كونه حَلَّ بها لطلب العلم و أشار إلى أن ابن زاكور لم يذكر أنه خرج قاصدا لطلب العلم [1]. لكن ابو القاسم سعد الله أكّد أنّ سمعة و شهرة بعض علماء الجزائر جعلته يرحل و ينزل و يقيم بها للأخذ عن علمائها و شيوخها و ذكر أن الحدود و الفوارق العلمية بين البلدين تكاد تكون غير موجودة [2].

مكث ابن زاكور بمدينة الجزائر عدة شهور، أخذ عن علمائها و طالت مدة إقامته[3] و قدّم لنا وصفا للحياة الثقافية و العلمية لمدينة الجزائر و ذكر قائلا :"...غرر أعلام ينجلي بهم الظلام وشموس أئمة تتفرج بهم كل غمة وتفتخر بهم أحبار هذه الأمة... " و عدد ابن زاكور خصال علمائها قائلا: «...فإهتديت بأنوارهم السنية إلى قطف ما راق من أنوارهم الجنسية ورتعت رياض آدابهم فتمتعت ونهلت من حياض علومهم حتى تضلعت و كرعت في أنهار بلاغتهم حتى رويت... و هصرت من أقنان براعتهم ما هويت و نسيت ببشرهم و تأنيسهم و ما إقتنسته من المعارف في تدريسهم من عانيته من رهج القفار و قاسيته في لجج البحار... " [4].

إن هذا الوصف شهادة من رحالة مغربي يدل على مدى إنتعاش الحركة الفكرية و الثقافية في مدينة الجزائر و إلى مدى ترحاب علماء و أعيان مدينة الجزائر بوجود هذا الرحالة المغربي في مدينتهم مؤكدين على مدى الترابط الإجتماعي و الثقافي .

سعى ابن زاكور على نيل إجازات العلماء الجزائريين والأخذ عنهم فقرأ مختصر الدين التفتزاني على الشيخ أبي عبد الله خليفة القماري و صرّح ابن زاكور ذلك قائلا: "...و يرغب محمد بن قاسم بن محمد الفاسي المدعوابن زاكور أن تتحفوه بقربكم في بعض الأوقات بمجمعٍ يكون فيه بمرأى منكم و مسمع

---

[1] عبد الله كنون: ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة. نق: محمد بن عزوز، جزآن، دار ابن حزم بيروت، ط1، 2010،ج1، ص- ص: 1269- 1270.

[2] أبوالقاسم سعد الله: المرجع السابق ، ج2، ص- ص: 47- 48.

[3] ذكر محمد كنون أنه دخل مدينة الجزائر عام 1093هـ وبقي بها إلى رجب عام 1094هـ محمد كنون: المرجع السابق، ج1، ص: 1270.

[4] ابن زاكور: المصدر السابق، ص: 41.

يقرأ عليكم فيه مختصر سعد الدين التفتزاني على تخليص مفتاح البيان و البديع و المعاني، فأنتم بدور كمال هذه الآفاق..." [1].

دأب ابن زاكور على تقديم نظم وقصائد مدحية[2] يستجيز بها شيوخه بالجزائر، كلما ختم كتابا أو أنهى دراسة في علم من العلوم. فلازم ابن زاكور الشيخ عمر المنجلاتي[3] أربعة أشهر و قرأ عليه جامع الجوامع للإمام السبكي [4].

اعتذر الشيخ عمر المنجلاتي في منح الإجازات لإبن زاكور ذلك أنه غير مؤهل لهذه الدرجة[5] على الرغم أن الشيخ المنجلاتي أخذ العلم بجد واجتهاد عن شيوخ أجلة حيث لازم الشيخ عبد الواحد السجلماسي الأنصاري أربعة عشر سنة أخذ عنه في الأصول و البيان و المنطق و مصطلح الحديث [6].

.[6]

---

[1] ابن زاكور : المصدر السابق ، ص: 73. بلحميسي: المرجع السابق، ص: 144.

بروفنسال: مؤرخو الشرفاء. تع: عبد القادر الخلادي ، دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر ، الرباط ، 1977 ص- ص: 204- 205.

[2] ومما ذكر ابن زاكور في مدح شيخه عمر بن محمد المنجلاتي، نذكر:

وإذ ذكر معاهد قد راقت نضارتها — فإن في ذكرها أُنسا و معتبرا
حبر الجزائر و الدنيا برمتها — من عالج العلم حتى ذاع و إنتشر
بحر العلوم التي غاصت مناهلها — فقد زمان و سبل الجهل فيه جرًا
إنّ الإمام أبا حفص الرّضى عمرا — أضحى يطرّز ما حكى و ما إبتكر.

ابن زاكور: المصدر نفسه، ص- ص: 43- 44.

[3] عمر المنجلاتي: عمر بن محمد بن عبد الرحمان بن يوسف الجزائري الدار و المنشأ المنجلاتي نسبا ت 1104هـ، أخذ عن شيوخ أجلاء كالشيخ علي السجلماسي الأنصاري و سعيد قدورة، برع في فنون متعددة. الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص- ص: 124- 128. عادل نويهض: المرجع السابق، ص: 318.

[4] عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي عام 727هـ، لازم الإمام الذهبي أمعن في طلب الحديث والفقه والأصول اشتهر بمصنفه جامع الجوامع في الاصول.

احمد بن حجر العسقلاني ت 852هـ: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج2، ص- ص: 425- 427.

[5] ابن زاكور: المصدر السابق، ص: 46. ابوالقاسم سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص: 46.

[6] المصدر نفسه، ص: 46.الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص: 127.

ألّح ابن زاكور في نيل الاجازة الشيخ المنجلاتي عدة مرات فأسعفه المنجلاتي في طلبه حرصا على جَبْرِ خاطرِه، فأجاز له أن يروي عنه ما رواه عن أشياخهِ من الفنون التي أسردها [1].

كان علماء الجزائر يدركون مكانة الإجازة وأهميتها، ذلك أنه عندما طلب ابن زاكور الإجازة من الشيخ المنجلاتي إعتذر منه و تحجّج بعدم أهليته و أن باعه قصير و مع إلحاح ابن زاكور أسعفه الشيخ المنجلاتي في طلبهِ و أجابه و أجازه في ذلك [2].

2- إجازة الشيخ محمد بن سعيد قدورة لإبن زاكور الفاسي:

إنّ شهرة أسرة قدورة في مدينة الجزائر وتوارثها للخطط الشرعية من إفتاء وقضاء وإمامة وخطابة لسنوات ولعقود كثيرة جعلت ابن زاكور يسعى إلى نيل إجازة أحد علماء هذه الأسرة و هو الشيخ محمد بن سعيد قدورة. حضر ابن زاكور مجلس الشيخ محمد بن سعيد و سمع منه بعض من الجامع الصغير وأبواب من صحيح البخاري [3]. و سأل ابن زاكور شيخه الإجازة فإعتذر له و ألّح إبن زاكور في طلبه وحين إقترب موعد سفره إلى فاس كتب إليه بِنظم يستجيزه و يستعطفه و مما ورد فيها.

قد آن أن ينجز الوعد الذي وعدا من لا نرى حازمًا قد حازه أحدا

و من حوى العلم و المجد الصراح معًا و من روى عن أبيه البرّ والرشدا

سمي خير الورى مفتي الجزائر من يجري اغترفت أحبارها مددا

مولاي أسرفت في إنظار منتظر إجازة وهي أسنى ما به اعتضد

و أنت أعلم أهل العصر قاطبة بها و من لم يقل هذا فقد جحدا

أجز و أنجز فلا عريت من شرف إجازة لم تغادر لكم سندا[4]

3- إجازة الشيخ محمد بن المؤمن الجزائري للشيخ ابن زاكور الفاسي المغربي:

---

[1] نفسه، ص: 46.الحفناوي: المصدر نفسه، ج2، ص: نفس الصفحة.

[2] ابن زاكور: المصدر السابق، ص: 57. مخلوف: المرجع السابق ، ج1، ص: 476.

[3] المصدر نفسه، ص: 70. بلحميسي: المرجع السابق، ص: 141.

[4] المصدر نفسه، ص :71.

انتقل ابن زاكور إلى مجلس الشيخ ابن المؤمن الجزائري[1] و قرأ عليه صدرا من كتاب جامع الجوامع للسبكي و بعض من تلخيص المفتاح و أرجوزة إبن التلمساني في الفرائض و تبادل معه في مسائل علمية، و إلتمس ابن زاكور أن يجيزه فيما قرأ مع الشيخ ابن المؤمن الجزائري أو سمع منه، ونظم ابن زاكور قصيدة مدح فيها شيخه[2] ومما جاء فيها.

لولا إبن عبد المؤمن المرتضى قضى فؤادي من لظى لوعته

جعلته قصدي ونعم الذي يقصده الإنسان في غربته

أقطف أنوار المنى غضة تحت ظلال العلم في حضرته

و يسعف الطالب في قصده و يسعد الراغب في رغبته

أفادنا علم الفرائض في أدنى مدى أرفل في مشيته [3].

يُعد الشيخ ابن المؤمن الجزائري من أهم أعلام و علماء مدينة الجزائر حيث أخذ العلم بقسط وافر عن الشيخ أبي المحاسن علي الشراملسي فقيه و محدث مصر و أجازه مدرس الحرمين الشريفين ونزيل المدينة المنورة أبو العباس أحمد تاج الدين برواية أرجوزة من نظمه في العقائد و الفروع [4].

ب- إجازة علماء الجزائر للشيخ عبد الرحمن الجامعي الفاسي المغربي.

قدم الشيخ عبد الرحمن الجامعي الفاسي[1] إلى الجزائر بعد سنة 1119هـ أقام بها مدة و زار أثناءها عدد من مدنها و إجتمع بعلمائها و أعلامها، فوفد على رباط وهران و شارك أهاليها فرحتهم بالفتح الأول لمدينة وهران وقام بشرح أرجوزة محمد الحلفاوي التي سجلت أحداث هذا الفتح [2] .

---

[1] ابوعبد الله محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري أخذ عن إبن الكماد القسنطيني، ثم رحل إلى المشرق مرارًا وحظي بصحبة شيوخ أجلة مثل الشيخ علي الشبراملسي وعن الشيخ إبراهيم اللقاني وعن شيخ الإسلام بالبلد الحرام الشيخ محمد إبن علان الصديقي. ابن زاكور: المصدر السابق، ص: 50، الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص: 275.

[2] القادري: المصدر السابق، ج5، ص: 1937.

[3] ابن زاكور: المصدر السابق، ص- ص: 52- 53، بلحميسي: المرجع السابق، ص: 127.

[4] الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص: 271.

اجتمع عبد الرحمن الجامعي بالشيخ مصطفى الرماصي برباط وهران، فوجده في مسجده يطالع كتبه و يقرئ طلبته[3]، و لم يذكر إبن سحنون أن الشيخ الرماصي قد أجازه و لا أن الجامعي طلب منه الإجازة و أشاد الجامعي بمسألة إجابة دعوة باي وهران محمد بكداش للالتحاق برباط وهران حيث إلتحق طلبة العلم و حملة القرآن بالرباط و الجهاد [4].

انتقل الشيخ عبد الرحمن الجامعي إلى مدينة الجزائر و نال الشيخ عبد الرحمن الجامعي حظوة لدى الداي محمد بكداش باش.[5] وصف الشيخ عبد الرحمن الجامعي المدينة و علمائها و أعلامها وذكرها قائلا: "...و أما مدينة الجزائر فأول بلد لقيت بها مثل ما فارقته من أدباء بلدي ...و هذه المدينة لا تخلوا من قراء نجباء و علماء أدباء و أعلام خطباء و مساجدهم بالتدريس معمورة... ".[6] .تُعد هذه الشهادة الثانية من نوعها و التي يقدمها عالم من علماء المغرب بعد السيخ ابنزاكور الفاسي و تدل على ان شهرة علماء الجزائر تجعل كل وافد عليها يسعى إلى الأخذ من علمائها و اعيانها و ان الوضع الثقافي في مدين الجزائر لا يختلف كثيرا على ما هو عليه في حاضرة المغرب الأقصى مدينة فاس .وعلى الرغم من مدح عبد الرحمن الجامعي لعلماء و أعلام مدينة الجزائر ،لم تشر المصادر إلى إجازة علماء مدينة الجزائر للشيخ عبد الرحمن الجامعي رغم أن المدينة حوت على أعلام وعلماء ومشايخ أمثال ابن علي الجزائري و أسرة قدورة حيث تطلع كل عام وافد على مدينة الجزائر للأخذ عن شيوخها وعلمائها ونيل الإجازة منهم. ومن خلال وصف الجامعي للحياة الثقافية لمدينة الجزائر من علمائها و أعلامها وأدبائها

---

(1) عبد الرحمن الجامعي: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الجامعي الفاسي الدار المولود عام 1087هـ العالم الأديب والمؤرخ والإمام الجامع للعلوم والمعارف أخذ عن والده و عبد الرحمن الفاسي و محمد العراقي رحل و دخل قسنطينة و أخذ عن عالمها الشيخ أحمد البوني و دخل تونس و تصدى للتدريس و حصل منه نفع عظيم له تأليف في فتح قلعة وهران وله الرحلة المسماة بالدرر المدحية في الدولة الحسينية. مخلوف: المرجع السابق ، ج1، ص: 505.

(2) مما ورد فيها: تَلَتْ رسل البشائر يوم عيد عليا سورة الفتح السعيد
وقل وهران يكفيك إفتكاك و إنقاذ من الأسر الشديد
عبد الرحمن الجامعي: شرح أرجوزة الحلفاوي في فتح مدينة وهران، مخطوط بمكتبة عبد العزيز العامة، ورقة 100، 101.
ابن ميمون: المصدر السابق، ص: 262.

(3) ابن سحنون: المصدر السابق، ص: 34.

(4) المصدر نفسه، ص: 81.

(5) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص: 443.

(6) الحفناوي: المصدر السابق، ج2، ص: 255.

وخطبائها ومساجدها يدل على أن الشيخ عبد الرحمن الجامعي مكث بمدينة الجزائر لوقت مناسب جعله يطلع على أحوال و أوضاع المدينة.

1- إجازة الشيخ أحمد البوني للشيخ عبد الرحمن الجامعي الفاسي:

ذكرت بعض الدراسات[1] أن الشيخ عبد الرحمن الجامعي رحل إلى قسنطينة و أخذ عن عالمها الشيخ أحمد البوني ولكن الأصح أنه إثر عودته من الحج عاد إلى مسقط رأسه بونة[2] وتصدى للتدريس والتأليف وشدت إليه الرّحال من مناطق مختلفة[3] ،مدح الشيخ عبد الرحمن الجامعي مدينة بونة و ذكر حبرها أحمد البوني قائلا:

لشيخ بونة أحمد الحبر ذو الفهم الذي يرتقي إليه النيل

و أخو البذل والتفضل والجود على من به يضيف السبيل

إن نشاء الصدق فيه قل بونة مصر و بحر نداه و العلم نيل[4]

ذكر الشيخ الجامعي شيخه أحمد البوني في رحلته المسماة " التاج المشرق الجامع ليواقيت المغرب والمشرق" و ترجم له قائلا: "...لما دخلتها – يعني بونة – أممت دار الشيخ أبي العباس أحمد بن الولي الصالح أبي عبد الله قاسم إبن الولي الصالح أبي عبد الله محمد المعروف لبساسي فوجدته طلق المحيا وأنزلني بنزل لإكرام أضيافه مهيا..." و أثناء تلك المدة كان الشيخ الجامعي يحضر دروسه و ذلك ما أفصح عنه قائلا : "... فأقمت عنده ينزهني في كل يوم في رياض تأليفه الحديثية و غيرها... وكنت أحضر أثناء تلك المدة مجلس رواية الصحيحين بين يديه مع مشايخ بلده وولديه... وأن تأليفه بلغ ما

---

(1) الدراسات التي ذكرت دخول الجامعي لمدينة قسنطينة والأخذ عن أحمد البوني. نذكر مخلوف في مؤلفه شجرة النور الزكية، ص: 505. محمد محفوظ في كتابه تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ط1، 5 أجزاء، ج2، ص: 10.

(2) أحمد بن قاسم البوني: الدرر المصونة في علماء وصلحاء بونة، تح: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، 2007، ص: 13.

(3) مخلوف: المرجع السابق، ص: 476.

(4) أحمد البوني: المصدر السابق، ص: 154.

ينيف على المائة ما بين مختصر ومسهب... ولما وقفت في علم الحديث على بحر العياب والعجب العجاب سألته الإجازة فيما وقفت عليه من تصانيفه...».[1]و ذكر صاحب الدرر أن الشيخ أجاب الجامعي في ذلك قائلا:

و بعابد الرحمن أعني الجامعي تلذذت يشعره مسامعي

و كنت فيما مرّ قد أجازت له و بَيْننا محبة مكملة[2].

تنقل الرّحالة المغربي عبد الرحمن الجامعي بين المدن و الحواضر الثقافية للجزائر، بداية من رباط وهران مروراً بمدينة الجزائر و ما حوته من مشايخ و أعلام و علماء وصولاً إلى مدينة بونة في مدة قاربت سبعة عشر سنة ، لم تذكر المصادر إلى تصدر الشيخ الجامعي للتدريس بجوامعها [3]ذلك أنه رحل إلى تونس قبل سنة 1136هـ و جعلها دار مقام له[4] و تصدى للتدريس بجامع الزيتونة و كان له شأن كبير بين علمائها و كثر عليه الطلاب من حوله [5].

ب- إجازة علماء المغرب الأقصى لعلماء الجزائر :

1- إجازة بعض علماء المغرب للشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري.

عُرفَ عن الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري بالترحال، فأدى فريضة الحج مرتين عامي 1130 هـ و 1161هـ/1748م و ظل مقيما بالأماكن المقدسة – المدينة المنورة- و إنتقل الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش إلى المغرب مرتين على الأقل عامي 1145هـ و1156هـ. و أشتهر الشيخ بن حمادوش في مجال أدب الرحلة و التاريخ برحلته المعروفة بـ " لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال" سجل فيها ما عُرض له و ما شاهده و ما إطلع عليه شخصيا من أحداث و وقائع لفترة فاقت أربعة سنوات (1156-1161هـ/ 1743-1748م) و ذكرها في شكل مذكرات إعتمد فيها على الترتيب

---

(1) الكتاني: فهرس الفهارس، ج1، ص: 236.

(2) أحمد البوني: المصدر السابق، ج2، ص: 102.

(3) يرجع السبب إلى أن حكام الجزائر الأتراك العثمانيون لم يهتموا بالجانب الثقافي و أغفلوا عنه ، و ركزوا جل إهتماماتهم إلى الجوانب السياسية و الإدارية و العسكرية

(4) محمد محفوظ: المرجع السابق، ج2، ص: 10.

(5) حسين خوجة: المصدر السابق ، ص: 255.

الزمني حسب السنوات و الشهور و الأيام فجاءت مقتصرة على أخبار الجزائر و المغرب الأقصى، وهذا ما يجعل مؤلفه مصدراً مهمًا للتعرف على الحياة الاجتماعية و الثقافية للجزائر و المغرب الأقصى في القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر الميلادي) و تضمنت رحلته وصفًا دقيقا لعلاقة العلماء ببعضهم البعض وما كان يدور في مجالسهم من مسائل فقهية و أمور علمية كطرق الإقراءة و الأسانيد والإجازات[1] .

2-إجازة الشيخ محمد بن علي الورزازي المغربي للشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري.

انتعشت الحركة التجارية و الثقافية لمدينة تيطوان في الربع الأخير من القرن11هـ/17م وتصدر الشيخ الورزازي المشهد الثقافي للمدينة فتصدى للتدريس و إنتفعت جميع الطبقات به ، لكن القادري أشار إليه بصورة موجز فذكر أنه نزيل مدينة تيطوان و مفتيها و له نوازل[2] في حين ذكره الضعيف في حوادث سنة 1177هـ و أشار إلى شجاعته ذلك أنه دخل الشيخ أحمد الورزازي على السلطان محمد بن عبد الله في مجلسه و كان بالمسجد مع بعض خاصته و كان لا يعرفه فقال: " يا هؤلاء الناس من فيكم السيد محمد بن عبد الله فلما تعرف به تصافح معه و قال له: "...لا يحل لك من الله أن تسكن النصارى في مدائن المسلمين و يرفعون فوق ديارهم العلامات و فيهن التصاوير.." وأضاف قائلا: " ...لماذا تعطي المال من بيت المسلمين لمن لا يستحقه، فأنت المسؤول عنه بين يدي الله...." وواصل الضعيف سرد اللقاء قائلا: "...ولما أراد الرجوع لتيطوان أعطاه السلطان خمسمائة دينار فأبى وردّعليه قائلا: " ...إن كان ولابد فأفد. بها بعض الأسرى من بلاد الروم وأما أنا فلا حاجة لي بها... "[3]. و وصفه الكتاني في فهرس الفهارس أنه حبر مدينة تيطوان و فخرها المحدث أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله الورزازي الدرعي ت 1179هـ، حج مرتين وزار بيت المقدس و وقعت له مع علماء مصر مناظرة و أجازوه [4] .

---

(1) ناصر الدين سعيدوني، ناصر: المرجع السابق، ص- ص:432- 434.

(2) القادري: المصدر السابق، ج7، ص: 2385.

(3) الضعيف: المصدر السابق، ص: 172.

(4) الكتاني: فهرس الفهارس، ج1، ص: 1111.

رحل الشيخ ابن حمادوش الجزائري سنة 1156هـ إلى مدينة تيطوان من أجل طلب العلم[1] أقام بها مدة إتصل من خلالها بالعديد من العلماء و إلتقى بالجامع الكبير للمدينة[2] بالشيخ الورزازي حيث كان مجلسه غاصاً بطلبة العلم يستفدون من العلوم التي يقدمها و من بين المواد التي يدرسها الشيخ الورزازي علم القراءات و علم الحديث و السيرة و الشمائل المحمدية للترميذي و الشفا للقاضي عياض وألفية العراقي و مختصر خليل [3].

لازم الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش شيخه الورزازي فأخذ عنه صحيح البخاري ومسلم ومن موطأ الإمام مالك وسمع منه درسا من جامع الجوامع للسبكي ومختصر خليل وذكر ابن حمادوش مدى إلتزام شيخه بمواقيت الدروس حيث كان يدرس مختصر خليل ضحى كل يوم و التفسير بين المغرب و العشاء [4].

كتب الشيخ الورزازي بإجازة بخطه إلى عبد الرزاق بن حمادوش[5] ذكر فيها أنه رغب في أن يُسمعه بعض الحديث قائلا: "...فأسمعته بعض موطأ مالك ابن أنس من رواية يحي بن يحي الليثي و أجزته سائره... وأسمعته بعض صحيح مسلم بن الحجاج القشيري و أجزته سائر و رغبني أيضا أن أجيزه في كل ما صحت لي روايته من مسموع و مجاز... فأسعفته... أن يروي عني الكتب الستة أعنى البخاري و مسلم و أبو داوود و الترميذي و النسائي و ابن ماجة و يروي عني موطأ مالك و مسند أحمد بن حنبل..." [6].

إن العلاقة العلمية بين الشيخ أحمد الورزازي و الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش كانت عميقة حيث أجاز الأول للأخر أن يروي عنه بعض الفهارس و ذكر الشيخ الورزازي قائلا: "...أجزته بكل ما

---

(1) مارس ابن حمادوش أثناء رحلته التجارة إلى جانب اتصاله بالعلماء وكان حريصا على اقتناء الكتب بالشراء أو النسخ، ابن حمادوش: المصدر السابق، مواضع متعددة. الهامش2، ص: 69.

(2) ذكر ابن حمادوش أن الجامع يعرف باسم جامع لكاش. ابن حمادوش: المصدر نفسه، ص: 35.

(3) بوركبة السعيد: المرجع السابق، ج1، ص- ص: 309- 310.

(4) ابن حمادوش: المصدر السابق، ص: 36.

(5) المصدر نفسه، ص: 37. الكتاني: فهرس الفهارس، ج1، ص: 1112.

(6) المصدر نفسه، ص: 37. الكتاني: المرجع نفسه، ج1، ص: 1112.

صّحت لي روايته من جملة ما في فهرسة[1] الشيخ الإمام ابن غازي المكناسي ثم الفاسي و كذا ما في فهرسة الشيخ محمد بن سليمان السوسي ثم المكي و ما في فهرسة الشيخ ابراهيم الكردي..." [2].

ب- إجازة الشيخ عبد السلام البناني الفاسي المغربي للشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري.

انتقل عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري إلى حاضرة المغرب التاريخية فاس [3]، حيث حضر حلقات العلم التي عقدها الشيخ عبد السلام البناني الفاسي[4] في مجلسه بالقرويين فكان عامرا بالأعلام والعلماء فتقدم الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش إليه باستدعاء نظمي في إثني عشر بيتاً راجيًا منه الإجازة و جاء فيها:

سموت فلم يكن بقربك نازل مكنت في أوج العز تمطر بالسؤل

فأنت هو الشمس المنيرة في الورى لكهفك قد تأوي الركائب للظل

طلعت بأرض الغرب كنت نهارهم ففي نورك الإسلام تذهب في السبل

---

(1) الفهرس: يطلقها أهل المغرب على الكتاب الذي يجمع فيه الشيخ شيوخه وأسانيده وما يتعلق ذلك، أطلق عليه الأولون لفظ المشيخة وبعد ذلك لفظ المعجم وعند بلاد الأندلس لفظ البرنامج أما في القرون المتأخرة فأهل المشرق يسمونه الثبت وعند أهل المغرب بالفهرسة.

(2) ابن حمادوش: المصدر السابق، ص: 38. الكتاني: المرجع السابق، ص: 67.

(3) ذكر المحقق أن الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش التقى بالشيخ البناني في مدينة تيطوان لكن لم نشر كتب الترجم من القادري واليفرني إلى جانب المراجع الكتاني في فهرس الفهارس ومخلوف في شجرة النور الزكية أن الشيخ البناني الفاسي إلى تصدي للتدريس بتيطوان ولكن بحاضرة المغرب التاريخية مدينة فاس. وعليه فلا لعالم لأن المحقق ذكر أن النسخة المخطوطة هي الوحيدة والمتواجدة بالرباط رقم ك463 أما بقية أجزاء الرحلة فهي مفقودة.

ابن حمادوش: المصدر السابق، ص: 33.

القادري: المصدر السابق: ج6، ص: 2164.

(4) محمد عبد السلام البناني الفاسي ت 1163هـ/1749م: أبو عبد الله محمد بن عبد السلام البناني الفاسي دار ومنشأ وولادة كان ملازما لتدريس مختصر خليل بمسجد القرويين، مجلسه مجلس وقار وسكينة خاص بالوجوه والأعيان اجتمع عليه الطلبة الواردين على فاس بقصد القراءة و يدرس الرسالة بين العشائين بالمدرسة المصباحية.

القادري: المصدر السابق، ج6، ص: 2164. الكتاني: المرجع السابق، ج1، ص: 224. مخلوف: المرجع السابق، ج1، ص: 507.

وقد حسد الشرق المغارب فيكم فأرسلني نروي الرواية بالنقل

رددت بنور العلم شموسهم فطالت لياليهم وملّوا من اليل

أيا شيخنا البناني الأمم محمد فقد شهدت لك الأكابر بالفضل

كأنك لقمان في علمك والهدى أو أنك حسان إذا فهمت بالقول

أبح لي أنل من بحرك علمك غرفة أَبُلُ بها حَرَّ الفؤاد من الجهل

أجزني و أطلق لي رواية كلما رويته عن أشياخ غر أولي الطول

و وشح بخطك الشريف إجازتي فذلك لها الزهر النضيد مع الفل

علكم سلام الله في كل لحظة و أتباعك النجل الشريف على الفعل

وَصِلِّ إليه العرش عن خير مرسل وأفضل من حاز الشفاعة في الرسل[1]

كتب الشيخ البناني بخطة إجازة في أواخر محرم 1156هـ للشيخ عبد الرزاق بن حمادوش ورد فيه مايلي: "... أجزت الفقيه المذكورة جميع ما يجوز لي و عني روايته من مقروء ومسموع ومجاز، كل ذلك بشرطة عند أهله و آذنت له أن يُحدثَ عني بكل ما يسمعه عني أو بلغه عني من مؤلفات ومناولات، ثم عدّدّ مؤلفاته و هي شرح على كتاب الإكتفا للإمام الكلاعي المسمى بمعاني الوفاء بمعاني الإكتفاء و شرح على اللامية الزرقانية في الفقه و شرح على الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي وشرحه لعبد السلام بن مشيش... و واصل قائلا : ... و غير ذلك مما جمعته أو نظمته إجازة تامة عامة...".[2] و قد فارق الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري شيخه البناني[3] و إنتقل إلى الشيخ أحمد بن مبارك المعروف بالسجلماسي.

3- إجازة الشيخ أحمد بن مبارك السجلماسي المغربي للشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري

---

(1) ابن حمادوش: المصدر السابق، ص: 39.

(2) نفسه، ص: 62.

(3) ذكر ابن حمادوش أن شيخه البناني كان راض عنه. نفسه، ص: 65.

أخذ الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش بفاس عن الشيخ أحمد بن مبارك المعروف بالسجلماسي [1] فقرأ عليه مختصر السنوسي في المنطق و إستحضر الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش فضائل شيخه في تحقيق المسائل و تحريرها و مدى تواضعه و إحسانه للطلبة.[2] و تقدم الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش بإستدعاء إلى الشيخ ابن مبارك طالباً إجازته في قصيدة ، و مما ورد فيها.

أيا شيخنا شيخ البرية كلها	أسيد أحمد المبارك في الدهري
و أنت امام بالعلوم محققا	بساحتكم فلك النجاة من البحري
و إني طلبت الله ان أوى وجهكم	و أسجد عن تلك الأكف على البري
وها أنا قد نلت الذي كنت اشتهى	و قد بقيت لي الإجازة في النشري
فضع خطك المرفوع في نصب صفحتي	و عقب به من قد لقيت من الغري[3]

لم يكتب الشيخ ابن مبارك السجلماسي الإجازة لابن حمادوش فقد إستحي كتابتها نثرا و أراد صياغتها شعراً[4] إلا أن المنية وافية الشيخ ابن مبارك بسبب إجتياح الطاعون مدينة فاس.

سعى ابن حمادوش وراء نيل إجازة ابن مبارك السجلماسي رغم وفاته .و نقدم بطلب مكتوب الى القاضي بوخريص[5] السجلماسي يطلب فيها الشهادة على إجازة ابن مبارك له مؤكدا فيها على قراءته على الشيخ ابن مبارك مختصر السنوسي في المنطق و على تقيده عليه شرحاً سماه " الدرر على المختصر " كان قد رآه الشيخ ابن مبارك و سعد به و ذكر ابن حمادوش أن قاضي القضاة شاهد شرحه عند الشيخ ابن مبارك و أمعن فيه النظر و سأله ما هذا؟ فقال ابن مبارك :إجازة فلان لِأوقع اثرها بالبنان

---

[1] القادري: المصدر السابق ج6 .ص:2133. مخلوف: المرجع السابق ج1 .ص: 506 محمد الأخضر: المرجع السابق، ص:237 .

[2] ابن حمادوش: المصدر السابق، ص: 85.

[3] ابن حمادوش: المصدر السابق، ص: 83 .

[4] نفسه، ص: 86.

[5] القاضي بوخريص 1188هـ /1774م: عبد القادر بن العربي بن عبد العزيز بوخريص الفيلالي الكاملي قاضي فاس لثلاثين سنة .اخذ عن ابي عبد الله محمد العراقي وابي عبد الله المسناوي وابي عبد الله محمد بن سلام اللبناني، لازم الشيخ ابن مبارك السجلماسي وافن عمره في خدمته وكان مجلس درسه يحصل فيه النفع للمتعلمين.
القادري: المصد ر السابق ج7، ص: 2403. مخلوف: المرجع السابق ج1.ص: 512.

فتركه و إياه في المسجد. فكتب له القاضي بوخريص شهادة بإجازة ابن مبارك له و أجازه هو بدوره فيما رواه عن ابن مبارك و غيره مما له من معقول و منقول و ذلك يوم 27 جمادى الاول1156 هـ [1] .

4-إجازة الشيخ أحمد السرائري التيطواني للشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري

عاد الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري إلى مدينة تيطوان بعد أن مكث بمدينة فاس ما يقارب لستة أشهر [2] و بأمر من شيخه اللبناني توجه ابن حمادوش إلى الشيخ أحمد السرائري التيطواني و أخبره بأن شيخه أرسله إليه.

كتب الشيخ أحمد السرائري التيطواني إجازة للشيخ عبد الرزاق بن حمادوش و مما جاء فيها قوله "...أجزتُهُ فيها سمع و غيره ذلك مما يَصحُ لي و عني روايته إجازة تامة عامة..." و كان ابن حمادوش بتردد على مجلس شيخه فقرا عليه الفية العراقي من زوال الشمس إلى صلاة الظهر [3].

6-إجازة الشيخ عبد القادر بن شقرون الفاسي المغربي لبعض علماء الجزائر :

تردد بعض علماء الجزائر على مدينة فاس للأخذ من علمائها وأعيانها ومن هؤلاء العلماء الجزائريين أبي راس الناصري الذي لازم عالم فاس و فقيها الشيخ عبد القادر بن شقرون الفاسي فتذاكر معه في بعض المسائل[4] . كما أجاز ابن شقرون في مدينة فاس قاضي وهران الطاهر بن عبد القادر بن عبد الله بن محمد الشهير بـ " المشرفي المعسكري "شارح النصيحة الزروقية ،وأجازه كذلك تليمذ ابن شقرون الشيخ الطيب بن كيران[5] إجازة عامة[6].

كان من عادة علماء القرى والمناطق النائية الخروج لملاقاة ركب الحجيج المغربي عبر مختلف محطاته خاصة الصحراوية منها. وشكل ذلك مظهر للتواصل الثقافي بين علماء وصلحاء تلك المناطق بركب الحجيج المغربي، ففي نواحي بسكرة وفد بعض علماء المنطقة على الركب وكان من بينهم الشيخ

---

[1] ابن حمادوش: المصدر السابق .ص.ص:90.89.

[2] بقي ابن حمادوش بمدينة فاس من التاسع ربيع الأول الى عشرين شوال عام 1156 هـ.

المصدر نفسه الهامش 6، ص: 99.

[3] نفسه، ص: 69.

4) أبوراس الناصري : فتح الإله ، ص : 105.

[5] الشيخ الطيب بن كيران ت1227هـ/ 1812م: محمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران ولد عام 1172هـ له إطلاع واسع ومعرفة جيدة تخرج عليه عدة علماء وله شرح ألفية العراقي في السيرة.

القادري: المصدر السابق،ج7، ص: 2487.

[6] الكتاني : المرجع السابق ، ج1 ، ص : 466.

خليفة بن حسن القماري الذي إعتاد على الخروج من قريته قمارى لملاقاة ركب الحجيج المغربي ويتصل بعلماء الركب.

والتقى الشيخ خليفة بن حسن القماري في عام 1193هـ/1779م بالشيخ ابن شقرون الفاسي في طريقه إلى الحج ،وأطلعهُ على نظمهِ لمختصر خليل والذي سماهُ بـ "جواهر الإكليل في نظم مختصر خليل "وبعد أن قرأ ابن شقرون أجزاء منه كتب له تقريظ في شهر بيع الآخر و مما ورد فيه قوله : "...وقد إطلعني على نظمه الجليل لمختصر أبي الدنيا خليل المكتوب هذا أول ورقة منه،فطالعت منه البدء والختام ومواضع منه أنبأتني على أنه مقدام من فرسان البراعة ...إذ هو نظم عذب الموارد مهذب المقاصد سلس العبارة رائق الإشادة وطلب مني أن أُوقع عليه ما تيسر ولم يعذرني إذ أنا على سفر فأسعدته إسعاد محب صادق ..." [1]رغم أن ابن شقرون لم يصرح بمنح الإجازة للشيخ القماري إلا أن طلب هذا الأخير منه التوقيع جعل هذا التقريظ عبارة عن إجازة تأليفية.

للإشارة فإن صاحب الرحلة الناصرية قدَّم حكما مخالفا لما ذهب إليه ابن شقرون حول منظومة الشيخ القماري ، حيث إلتقى صاحب الرحلة "الدرعي الناصريط بالشيخ القماري في محطة سيدي عقبة ووصف منظومته بقوله :"... هو نظم سلس لابأس به غير أن صاحبه غير متمكن من الصناعة العروضية وإنما للنظم عنده سجية.و مهما يكن الأمر فإن شاهدة أحد فقهاء المغرب المعروفين – ابن شقرون – تدل على القيمة العلمية للشيخ حسن بن خليفة بن قماري الجزائري من جهة وإلى إنتعاش الحياة الثقافية في البوادي والمراكز البعيدة عن الحواضر وكذا إلى الصلات العلمية التي ربطت علماء الجزائر بعلماء المغرب حيث كانت الفوارق العلمية تكاد تكون منعدمة.

لم تفصح كتب التراجم والرحلات إلا على إشارات بسيطة عن إجازات علمية متبادلة بين علماء البلدين ومن تلك الإجازات كانت إجازة الشيخ محمد بن أحمد بن مبارك السجلماسي للشيخ عمر بن عبد القادر التنيلاني الجزائري،هذا الأخير رحل إلى حاضرة المغرب الأقصى مدينة فاس و أخذ عنه علم التفسير وعلم النحو عن الشيخ عبد الله محمد زكري الفاسي وعلم البيان عن الشيخ عبد السلام البناني وعلم الحساب عن الشيخ محمد بن عيسى إلى جانب علوم آخرى[2]. إن كفاءة الشيخ عمر بن عبد القادر التنيلاني العلمية و الفقهية مكنته من تصدي مهمة التدريس بجامع القرويين بفاس[3].

---

[1] ابو القاسم سعد الله : المرجع السابق ، ج2 ، ص : 77.

[2] محمد صالح حوتية : المرجع السابق ، ص : 276.

[3] بلقادر عبد القادر : المرجع السابق ، ص: 91.

و التقى إمام الراشدية أبوعبد الله محمد بن الموفق الجلالي بلعلماء فاس فإستفاد منهم و أجازهُ جماعة ذكرهم في إجازته لتلميذه عبد القادر الراشدي منهم الشيخ محمد جسوس والشيخ التاودي بن سودة و الشيخ محمد البناني والشيخ عبد الله السوسي و لشيخ إدريس العراقي وغيرهم [1]. ومما تقدم نستخلص :

1- قوة الصلات العلمية بين علماء البلدين

2- لم يبخل علماء البلدين في تقديم الإجازة لبعضهم البعض .

3-إن الفوارق العلمية و الثقافية تكاد تكون منعدة بين علماء البلدين .

[1] ابن سحنون : المصدر السابق ، ص : 228.

المبحث الثاني :

الرحلات المختلفة بين علماء بين البلدين .

شكلت الهجرة علماء البلدين في الإتجاهين مظهر من مظاهر التواصل الثقافي بينهما وتنوعت دوافعها ، فهناك من إنتقل لتوسيع أفاقهم العلمية و لإثراء معارفهم و تنويع مصادرها و ملازمة الشيوخ و العلماء و الأعيان و نيل الإجازات .و منهم من توجه إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج و كان ضمن ركب الحجيج العلماء و الفقهاء و الشيوخ و طلبة أهل العلم و على إعتبار أن ركب الحجيج المغربي كان يمر بالقطر الجزائري و بمراحله المختلفة كانت مناسبة للعلماء في تفعيل التواصل الثقافي بينهما . و من العلماء من ترأس رحلات دبلوماسية فإلى جانب مهامهم السياسية لم يمنع ذلك من تواصل ثقافي بين علماء البلدين ، و هناك من اضطر الى ترك بلده ليستقروا في البلد الآخر بعدما تعرضوا إلى المضايقات .

في هذا المبحث سنتتبع مختلف الرحلات المختلفة بين علماء البلدين .

تُعد الرحلة على إختلافاتها محطة هامة لطالب العلم ، و هي في الغالب تشمل ثلاث مراحل أساسية وهي :

أ- مرحلة الأخذ و التعلم :

تُشكل هذه المرحلة اللبنة الأولى أو حجر الزاوية في المسار التعلمي،أين ياخذ التلاميذ عن شيوخ وعلماء مناطقهم ،فعلى سبيل المثال لا الحصر أخذ أبوراس الناصري علوم القرآن بأحكامه على يد شيوخه بمسقط رأسه بنواحي جبل كرسوط و أحواز مجاجة قبل ان يستقر به المقام بام عسكر[1]. وأشار أبوراس الناصري في مؤلفه " فتح الإله " إلى شيوخ منطقته وذكر منهم الشيخ علي بن موسى اللبوخي والشيخ ابن زقاق والشيخ الطاهربن عمرون المغراوي [2]، وكان لهؤلاء نشاط علمي واسع حيث انشأوا الزوايا والمدارس و تكوَّن على أيديهم عدد كبير من المشايخ الذين حملوا بعدهم راية العلم و المعرفة .

ب-مرحلة الخروج و البحث عن العلم :

إن طالب العلم إذا ما أخذ المبادئ الأساسية في مختلف العلوم شدَّ الرحال إلى الحواضر الثقافية الكبرى سواء داخل البلاد أو خارجها . فطالب العلم في الجزائر عادة ما انتقل إلى المراكز

---

[1] ناصر الدين سعيدوني : المرجع السابق ، ص :460.

[2] ابو راس الناصري : فتح الإله ، ص : 21.

الثقافية الإقليمية في مدينة الجزائر أو قسنطينة أو تلمسان وغيرها من المراكز في البلاد ، وكذلك بالنسبة لطالب العلم في المغرب الأقصى كانت وجهته العلمية الأولى مدينة فاس ثم مراكز أخرى في مراكش و مكناس وغيرهما .

ج- مرحلة العطاء و الإنتاج الفكري :

تتميز هذه المحطة بالنضج و بداية العطاء الفكري و يبدأ في عملية التاليف على أنماط مختلفة منها الشروح و الحواشي و المتون و النظم و غيرها و نذكر على سبيل المثال لا الحصر شرح الخرشي و البناني و كتاب الدرر على مختصر السنوسي لأبن حمادوش الجزائري .

من العسير إحصاء عدد العلماء المغاربة الذين وفدوا إلى الجزائر خلال القرنين 11- 12 هـ /17- 18 م إلّا أن عددهم قد عرف إنخفاضاً مقارنة بالقرن 10هـ/ 16م [1] و يعود ذلك الى ما يلي:

1- حالة الركود الثقافي والجمود الفكري الذي عرفته الجزائر خلال القرنين 11- 12هـ /17. 18م وهذا ما أفصح عليه ابن الفكون بمناسبة تأليفه لمنشور الهداية و ذكر في مُصنفهِ " منشور الهداية " بعدما رأى سحائب الجهل قد أطلت و أسواق العلم قد كسدت فصار الجاهل رئيسا و العالم في منزلة يدعى خسيسا و عدد في كتابه مجموعة من العلماء الذين تقلدوا المناصب الدينية أو تصدوا للتدريس وإنتقدهم نقداً لاذعاً و أبدى سخط كبيراً على بعضهم [2].ولم يحد أبو راس الناصري عن تلك الحالة وذكر قائلاً : "...إننا في زمن عطت فيه مشاهد العلم و معاهده و سدت مصادره و موارده... و تحسر لِأحوال الأذكياء و الافاضل..."[3] .

2- حالات الفوضى والفتن التي رافقت نظام الحكم في الجزائر من خلال الانتقال من نظام حكم الى آخر واستفحال ظاهرة الإغتيالات على مستوى هرم السلم وعليه فإن الوضع السياسي للجزائر كان غير مستقر، ثم أن السلطة العثمانية في الجزائر اهتمت بالجوانب السياسية و المتمثلة في الحفاظ على الاستقرار السياسي و الدفاع عن الحدود و اغفلت عن الجوانب الثقافية و تركتها للمبادرات الفردية أو تحت رعاية المؤسسات الخيرية الوقف[4] .

---

[1] شويتام أرزقي :المرجع السابق ، ص 88.

[2] ابن الفكون: المصدر السابق .ص: 32.

3. ابوراس الناصري: عجائب الاسفار، ص: 44.

[4] ابوالقاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1 .ص: 313.

كان العلماء المغاربة يفيدون إلى الجزائر للإفادة والإستفادة من علمائها ومنهم من جعلها محطة أثناء تنقلاتهم إلى الشرق لِأداء فريضة الحج أو في مهمة علمية[1] أو دبلوماسية ونذكر من هؤلاء ما يلي:

أ-رحلة ابن زاكور الفاسي الى الجزائر 1098هـ /1683م:

حل الشيخ ابن زاكور الفاسي بمدينة الجزائر عام 1093 هـ/ 1683م و كانت له إتصالات بعلماء مدينة الجزائر و من بين شيوخه في مدينة الجزائر الشيخ محمد بن سعيد قدورة و أشاد ابن زاكور بِمدينة الجزائر و علمائها و أعلامها و ذكر الشيوخ الذين أجازوه أمثال الشيخ عمر المنجلاتي و قَيَّدَ ابن زاكور رحلته العلمية[2] في كتابه الموسوم بـ ً نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتيطوانً " .

ب-رحلة عبد الرحمن الجامعي الفاسي إلى الجزائر 1119هـ/1783م

قدم الشيخ عبد الرحمن الجامعي الفاسي الى الجزائر بعد عام 1119هـ/1708م مكث بها مدة زار أثناءها عدد من حواضرها العلمية و الثقافية و إجتمع بعلمائها و أعلامها . فحَلَّ بِرباط وهران وإجتمع مع الشيخ مصطفى الرماصي [3] و إنتقل إلى مدينة الجزائر فعدد خصالها و مدح علمائها وأعلامها [4] ثم شد الرحال الى بونه [5] و أخذ عن عالمها الشيخ أحمد البوني حيث ترجم له في رحلة المسماة بـ " بالتاج المشرق الجامع ليواقيت المشرق والمغرب ".

ج-زيارة أحمد الورزازي الى مدينة الجزائر الأولى والثانية :

1-زيارة أحمد الورزازي الأولى إلى مدينة الجزائر عام 1159هـ/ 1746م:

حلّ الشيخ الورزازي إلى مدينة الجزائر و نزل بجامعها الكبير حيث ألقى بعض الدروس تلبية لرغبة بعض علمائها[6] و أثناء إقامته بالمدينة إلتقى الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش بالشيخ أحمد الورزازي

---

[1] شوتيام أرزقي: المرجع السابق، ص: 83.

[2] كل الشواهد التاريخية تدل أن رحلة ابن زاكور الى الجزائر كانت علمية تهدف الى التحصيل ونيل الإجازات من شيوخ وأعلام مدينة الجزائر بجعل الطرح الذي قدمه عبد الله كنون في مؤلفه مشاهير المغرب عند طرح ترحيب لابن زاكور يذكر فيها انه وفد الى مدينة الجزائر لأسباب عائلية.

[3] ابن سحنون : المصدر السابق. ص: 34. ابوالقاسم سعد الله : المرجع السابق .ج1.ص: 433.

[4] الخفاوى: المصدر السابق .ج2. ص: 256.

[5] أحمد اليوني: المصدر السابق، ص: 102. أثنى عبد الرحمن الجامعي بالشيخ ابن علي الجزائري ووصفه بأديب العلماء وعالم الأدباء

ابوالقاسم سعد الله: المرجع السابق.ج2. ص: 322.

[6] ذكر ابن حمادوش أن الشيخ الورزازي ألقى درسا في التفسير على مدينة الجزائر. ابن حمادوش : المصدر السابق، ص: 263.

الورزازي الذي يُعد أحد تلاميذ الشيخ إبن مبارك السجلماسي فصحّ معه كتابه "الدرر على مختصر السنوسي " وإستغرقت عملية التصحيح عشرون يوما و شرع في عملية التصحيح يوم 23 رمضان لِيختتم في 13 شوال 1159 هـ و عقدت ثلاث حلقات في اليوم ، الأولى من طلوع الشمس إلى الضحى والثانية إلى الزوال أو عند صلاة الظهر و الأخيرة من صلاة العصر إلى المغرب.

كتب الشيخ الورزازي بخط يدهِ على أول ورقة من كتاب الدرر إجازة تأليفية و مما ورد فيها بعد الحمدلة و التصلية على النبي صلى الله عليه وسلم قائلا :"...من يضع إسمهُ عقب تاريخه أن مؤلف هذا الشرح على مختصر الشيخ السنوسي و هو الشريف سدي عبد الرزاق إبن محمد الجزائري سرده علي على وجه المذاكرة لعل أن نجد فيه ما يحتاج للإصلاح و تكميل، فأصلحنا منه المواضع التي تحتاج إلى الإصلاح على حسب ما سهله الله سبحانه علينا ، و نرجو من الله سبحانه و تعالى أن يكون كله أو جُلهُ صواب و إن وقع فيه خطأ فيكون معدوداً و محصوراً و هو إن شاء الله يصح للإقراء و المذاكرة..."[1]

أشار أبو القاسم سعد الله أن الشيخ الورزازي أعطا لابن حمادوش شهادة تدل على براعته في معالجة هذا الموضوع و ذكر أن الشيخ إبن عمار الجزائري قَرَّظَ هذا الكتاب و قال بأنه كتاب صغير الحجم كثير الفائدة و أجاز قراءته و شجع عليه [2] .

ب-زيارة أحمد الورزازي مرة آخرى إلى مدينة الجزائر 1162هـ/1748م .

اجتمع الشيخ الورزازي المغربي أثناء زيارته الثانية لمدينة الجزائر بأحد أبرز أعلام و أعيان المدينة وهو الشيخ محمد بن محمد المهدي المعروف بإبن علي [3] منفي الحنيفة بالجامع الجديد، فإلى جانب تقيده خطة الإفتاء تصدى الشيخ إبن علي الجزائري للخطابة وعُرفَ بتبحُرِهِ في علم الحديث والتفسير، وكانت له صلات علمية قوية مع علماء مغاربة زاروا مدينة الجزائر مثل الشيخ الجامعي الفاسي والشيخ الورزازي و إثر قدومه مرة ثانية إلى مدينة الجزائر، نظم إبن علي قصيدة طالباً من الشيخ الورزازي الإجازة وذكر قائلا:

خليلي عاد الأنس و العود أحمد فقد زارنا شيخ المشايخ أحمد

---

[1] ابن حمادوش : المصدر السابق، ص: 285.

تردد ابن عمار الجزائري على مجلس الشيخ الورزازي في الجامع الكبير. ابوالقاسم سعد الله: المرجع السابق، ص: 253.

[2] ابوالقاسم سعد الله: المرجع نفسه ج2.ص:234.

[3] محمد بن علي بن المهدي بن رمضان بن يوسف العلج كان مفتيا وخطيبا ومدرسا بالجامع الجديد لمدة فاقت ستة سنوات .ابن المفتي :المصدر السابق .ص:92. ابوالقاسم سعد الله: المرجع نفسه .ج2. 314.

فمالك قد أصبحت مالك علمه وفي خلدي أنت الإمام المجدد
فجد لي بما أرجوه منك فإنني رأيت كنز للذخائر يقصد [1]

يتضح لنا من هذه الابيات أن الشيخ ابن علي الجزائري طلب الإجازة من الشيخ الورزازي لكن لا نعلم أن إجابة الشيخ الورزازي من عدمهِ .

2-هجرة بعض علماء الجزائر الى المغرب الأقصى خلال القرنين 11 -12هـ/17 - 18م.

إن عدد العلماء الجزائريين الذين رحلوا الى المغرب الأقصى كان معتبرا نسبيا خلال القرن 10هـ/16م [2] و يعود أصل معظم هؤلاء العلماء الى مدينة تلمسان بحكم القرب الجغرافي بين مدينتهم ومدن المغرب الأقصى و إتسعت دائرة هجرة العلماء الجزائريين الى المغرب الأقصى لتشمل علماء الغرب الجزائري ثم شملت معظم القطر الجزائري[3] و إستمر توافد العلماء الجزائريين على المغرب الأقصى خلال القرنين 11-12هـ/17-18م إلا أن عددهم قد عرف إنخفاضا مقارنة بالقرن 10هـ/16م و يعود ذلك الى مجموعة من الأسباب

1) الفوضى والإضطرابات التي شهدها المغرب الأقصى مع بداية العهد العلوي بداية مع عهد المولى الرشيد ومن بعده المولى إسماعيل دخلت البلاد في فتنة دامت ثلاثة عقود بسبب نزاع أولاد السلطان على الحكم من جهة وتدخل جيش عبيد في السلطة فأصبح يُعين يَعزل ما يشاء وقف ما شاء وعليه فحالة الفوضى و الإضطرابات لا نشجع العلماء على الإستقرار والتفرغ لطلب العلم [4]

---

[1] ابن عمار :أشعار الجزائرية .تح :أبو القاسم سعد الله ، م.و.ك ، الجزائر ، 1988ص:84.

[2] من هؤلاء العلماء الذين وفدوا الى المغرب الأقصى خلال القرن 10هـ/16م نذكر ابو الحسن المطغري وأحمد الونش ريسي ومحمد بن التلمساني ومحمد شقرون وعبد الواحد الونشريسي و علي بن عيسى التلمساني و محمد بن الوقاد و أحمد المغري ويقود سبب هذه الهجرة الجماعية الى الأوضاع العامة المضطربة التي كانت سائدة في الجزائر .
عمار هلال: العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر والعشرون الميلادين، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر 1995.ع.9.ص:28 . محمد حجي :الحركة الفكرية .ج2.ص:350.

[3] أرزقي شوتيام :المرجع السابق.ص:85.

[4] أشارت المصادر إلى حالات الفوضى والفتن التي عصفت بالمغرب عقب وفاة السلاطين العلويين إسماعيل العلوي، محمد الثالث، سليمان. الناصري : المصدر السابق ، ج 7 ، ج8 ، مواضع متعددة.

2) إن العلماء الجزائريون غيروا وجهتهم العلمية من المغرب الاقصى إلى تونس و المشرق العربي وذكرت المصادر عدد من العلماء الجزائريين الذين إستقروا بالحواضر العربية الإسلامية مثل القاهرة و الحجاز و الشام [1] ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر

- عيسى الثعالبي الذي إستقر بمكة المكرمة و دامت إقامته بالمشرق حوالي تسعة عشر سنة و توفي بمكة المكرمة عام 1080هـ/1669م [2] .

- يحي الشاوي رحل من الجزائر سنة 1074هـ/1663م قاصدا البيت الحرام و قضى إثنتين و عشرين سنة بالمشرق [3].

- محمد بن عبد المؤمن الجزائري كانت له رحلة علمية و أخرى حجازية إلى المشرق و نال إجازات مشايخة الأزهر [4] منهم الشيخ أبو الحسن الشبراملسي الشافعي عام 1083هـ/1673م .

- محمد الساسي البوني و إبنه أحمد كانت لِكليهما رحلة علمية الى المشرق . فاستقر الشيخ البوني بالجامع الأزهر أين قرأ على أشهر علمائها و درس هناك ثم عاد إلى الجزائر أما إبنه أحمد البوني فكان موجوداً بِمصر عام 1092هـ/1681م و لازم أعلام و أعيان مدينة القاهرة وأ خذ عنهم كالشيخ عبد الباقي الزرقاني و الشيخ الخرشي و غيرهم [5] .

- الشيخ الورثلاني الذي حج ثلاث مرات على الأقل الأولى عام1153هـ/1740م والثانية 1166هـ1767م و الثالثة 1179هـ/1765م و مكث في الأخيرة ثلاث سنوات إلى غاية 1181هـ/1767م [6] .

إن أهم العلماء الجزائريين الذين وفدوا الى المغرب الأقصى خلال القرنين 11- 12هـ/17-18م .

2- رحلة الشيخ محمد بن عبد الكريم الجزائري إلى المغرب الأقصى :

تردد الشيخ محمد بن عبد الكريم الجزائري على مدينة فاس و إستقر بها منذ سنة 1083هـ/1672هـ تزامن قدومه مع عهد السلطان العلوي إسماعيل الذي أكرمه و ذكر اليفرني أن

---

(1) ارزقي شيوتام :المرجع السابق ، ص:87.

(2) القادري :المصدر السابق .ج4 ، ص:1562.

(3) الأفراني :المصدر السابق .ص:336 . عادل بويهض : المرجع السابق .ص:186.

(4) الحفناوي :المصدر السابق .ج2، ص:273. مخلوف :المرجع السابق ، ج1، ص:458.

(5) الكتاني :المرجع السابق .ج1.ص:482.

(6) ناصر الدين سعيدوني : المرجع السابق .ص:418.

السلطان إسماعيل كان يُجلهُ و يُعظمهُ ، و لازمهُ شيخ فاس و عالمها عبد القادر الفاسي [1]. و ذكره تلميذه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الفاسي (ت 1134هـ/1721م) في فهرسته الموسمة بـ " المنح البادية في الأسانيد العالية " حيث ذكر المشايخ الذين أجازوه و من جملتهم الشيخ محمد بن عبد الكريم الجزائري [2] .

3- رحلة الشيخ محمد بن أحمد القسنطيني المعروف بإبن الكماد إلى المغرب الأقصى :

ينتمي الشيخ إبن الكماد الى عائلة ذات علم و شرف من مدينة قسنطينة أخذ عن مشايخ الجزائر منهم المقري بجبل زواوة و عن عالم مدينة الجزائر الشيخ محمد بن سعيد قدورة و أشار أبو القاسم سعد الله أن الشيخ محمد بن أحمد القسنطيني فضّل الهجرة الى المغرب على الدخول في منافسات حول المناصب و الوظائف الشرعية كالإقتاء و القضاة و الخطابة و الإمامة.[3]

رحل الشيخ ابن الكماد الى مدينة فاس عام 1083هـ بِرسم القراءة على مشايخها [4] فأخذ عن الشيخ علي اليوسي و تصدر بفاس لِلإقراء جمع الجوامع للسبكي فأبدع فيها إقرائه و رأى الطلبة من حفظهِ ما لما يعهدوه من قبل فكثر الإزدحام عليه[5] و برع الشيخ إبن الكماد في علم الكلام و المنطق و الحديث و الفقه و زاحم علماء فاس[6] بتكوينه العلمي الجزائري و هذا يدل على نوعية التعليم في الجزائر و مكانته فشغل كرسي البخاري بجامع القرويين[7] و تخرج عدد كبير من علماء المغرب عليه نذكر على سبيل المثال لا الحصر الشيخ عبد الرحمن الجامعي الفاسي و الشيخ محمد بن عبد السلام البناني الفاسي و الشيخ محمد المسناوي الدلائي و حظي الشيخ إبن الكماد بمكانة رفيعة لدى ملوك

---

(1) القادري: المصدر السابق .ج5.ص:1800.

(2) الكتاني: المرجع السابق.ج2، ص- ص:595-596 .

(3) ابو القاسم سعد الله : المرجع السابق:ج1.ص:427.

(4) ابو القاسم سعد الله : المرجع انفسه، ص:428.

(5) الأفراني: صفوة .ص:360. الحفناوي : المصدر السابق .ج2 .ص:265.

(6) ذكر القادري عن مجموعة شيوخه في الجزائر و هم :الشيخ سعيد قدورة و ابن المؤمن الجزائري .القادري :المصدر السابق .ج5.ص:192.

(7) الكتاني يوسف : المرجع السابق.ج1.ص:453.

المغرب الأقصى [1] توفي بفاس عام 1102هـ و ذكر الأفراني أن الشيخ إبن الكماد لما دخل مدينة تيطوان في أول قدومه للمغرب وقع بينه و بين قاضيها الفقيه أبي عبد الله بن قريش و حشة [2].

4- رحلة الشيخ محمد بن عبد الله أيوب التلمساني الملقب بالمنور إلى المغرب الأقصى :

حلّ بمدينة فاس و أخذ عن شيوخها و نال مجموعة من الإجازات كتبها له مشايخ المغرب منهم الشيخ أحمد بن مبارك السجلماسي و الشيخ أبي عبد الله المسناوي عام 1133هـ و الشيخ محمد بن حمدون بناني و من الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي الذي أجازه بفهرسته " المنح البادية في الأسانيد العالية " [3].

كما حلّ بنفس السنة إلى مدينة فاس محمد بن علي الشريف الجعدي الجزائري لِلقراءة على مشايخها و سأل الشيخ محد بن عبد الرحمن الفاسي الإجازة فأجابه بذلك و قدم له فهرسته "المنح البادية " فقرأها كلها ثم طلب منه الإجازة بجميع ما فيها فأجازه جميع ما فيها[4].

5- رحلة الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري إلى المغرب :

زار المغرب الأقصى مرتين على الأقل عامي 1145هـ و1156هـ وإنتقل بين حواضره من تيطوان الى فاس ثم مكناس حيث لازم شيوخها و أعلامها و نال إجازاتهم[5]. وتصدى للتدريس روضة الأزهار للطالب عبد الله جنان في مدينة تيطوان [6] و أشار ابن حمادوش في رحلته أنه لم يجد من يتقن الفلك و الطب بمدينة بتطوان و إهتم في رحلته العلمية بنسخ وشراء الكتب في السيرة و المنطق والأدب ، فنسخ ألفية العراقي و مختصر السنوسي في المنطق و كان قد إشترى حاشية الشيخ عبد الرحمن الفاسي على البخاري مع ألفية العراقي بمثقالين [7] .

تباحث الشيخ بن حمادوش مع شيخ تيطوان أحمد الورزازي في مسألة أفضلية الملائكة و الرسل كما كان له لقاء مع علماء مكناس و ذكر أحد علمائها و هو الشيخ عبد السلام القباب فلم يجده يحسِنُ

---

[1] الأفراني:المصدر السابق.ص:360.

[2] المصدرنفسه.ص:360.

[3] الكتاني: المرجع السابق .ج1.ص:570.

[4] الخفناوي : المصدر السابق .ج2.ص:400.

[5] ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق ، ص : 432.

[6] ابن حمادوش :المصدر السابق.ص:103.

[7] المصدرنفسه.ص.ص:70.69.

شيئا غير علم التوقيت و إلتقى بِموقت الجامع الكبير الشيخ عبد القادر الفاسي فوجده مهتماً بالأحكام وليس له خبرة . وعاد الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الى مدينة الجزائر [1].

1ـ رحلة أبوراس الناصري الجزائري إلى المغرب الأقصى ت 1239هـ

إنتقل أبوراس الناصري الجزائري إلى العديد من الأقطار الإسلامية حيث تعرف على أوضاعها واتصل بعلمائها، فحجّ مرتين الأولى عام 1204هـ/1790 والأخرى عام 1226هـ/1812 و زار تونس ومصر و بلاد الشام و فلسطين.[2] و تقلد خُطط كثيرة منها الفتوى وا لقضاة و الخطابة لكنه عُزل منها عام 1211هـ/ 1756 م ، و أشار ابن سحنون أن سبب عزل أبوراس الناصري يرجع إلى الأوضاع السياسية المضطربة التي عرفتها الجزائر نتيجة ثورة الدرقاوي التي جعلت الأتراك العثمانيون يكيلون التُهمَ إلى الطرق الدينية و لم يسلم منها أبوراس الناصري رغم علاقاته الجيدة بهم ، وقد خصّ هذه الأحداث التاريخية في كتاب سماه "... درء الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة " [3].

رحل أبوراس الناصري إلى المغرب الأقصى في عهد السلطان العلوي سليمان العلوي و مكث بتطوان ثم دخل مدينة فاس عام1215هـ/1801م [4] ، و ذكر أهمية المدينة قائلا: "... رحلت إلى مدينة فاس محل العلم و الإيناس و التقريب و التعبيد لأناس ، وهي قبلة الإسلام و السلم و الإستلام والمقام الأعلى و المثابة الفضلى .... فهي أم قرى المغرب الوافر و خزائن المزائر..."[5] .

خصّ الباب الثاني من رحلته "فتح الإله " تحت عنوان رحلتي إلى المشرق و المغرب و غيرهما ولقاء العلماء و الأعلام و ما جرى لي معهم من المراجعة و الكلام.، فإتصل أبوراس الناصري بعلماء وأعلام المغرب الأقصى و خص بالذكر الشيخ عبد القادر بن شقرون الذي لازم حلقاته التعليمية وكتب إبن شقرون إلى علماء تازة لما بلغه أنهم قصروا في حق الشيخ أبوراس الناصري[6] و عاتبهم قائلا : "...كيف بكم لم تكرموا هذا الحافظ الذي له الشهرة التامة بالمغرب و المشرق ..." و إتصل الشيخ

---

(1) ابن حمادوش : المصدر السابق.ص:77.

(2) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص: 461. الكتاني: المرجع السابق. ج1، ص: 150.

(3) ابن سحنون: المصدر السابق، ص: 46.

(4) أبوراس الناصري: عجائب الأسفار، ص: 13.

(5) أبوراس الناصري: فتح الاله ، ص: 101.

(6) نفسه، ص: 102.

أبوراس الناصري مع أديب فاس و عالمها وأ حد أعيانها الشيخ حمدون[1] و إستفاد منه و حضر الشيخ أبوراس الناصري موت شيخ وعالم مدينة فاس الشيخ الطيب بن كيران[2] و ذكر أن مدينة فاس إهتزت لموته و حزن لموته كل الناس و حضر جنازته السلطان سليمان[3] و هذا من شأن العلماء الكبار من كل الأقطار والأنصار.

و أهدى أبو راس الناصري العديد من مؤلفاته إلى السلطان سليمان العلوي منها شرح بعنوان " السلوان المؤلفة بمرسى تيطوان في أخيار الأندلس و وهران." [4] و رغم شهرة الشيخ أبوراس الناصري عند عند علماء المغرب حيث ذكر أنه لقي علماءها و عرفني فقهائها طلب منه أحد علماء المغرب و وصفه بالكبار إستعارة كتابه " درة عقد الحواشي على شرح الشيخ الخرشي " فأبي في البداية ثم أسعفه بعد إلحاحه في النهاية [5] ، لم يرد في كتابه " فتح الإله " أن نال إجازة أحد العلماء المغرب الأقصى ولم يحيز هو بدوره و تأسف الكتاني صاحب فهرس الفهارس لعدم ذكره في كتب التراجم و الأعلام رغم شهرته و علمه [6] ، و أشار إليه القادري بصورة موجزة فإقتصر على ذكر دخوله إلى مدينة فاس وتأليف كُتب تتعلق بالمغرب.[7]

2ـ رحلة الشيخ أبو عبد الله محمد بن الموقف الجلالي الجزائري إلى مدينة فاس .

رحل الشيخ أبو عبد الله محمد بن الموفق الجلالي[8] إلى مدينة فاس و إجتمع بعلمائها و أجازه جماعة من شيوخها ذكرهم في إجازته[9] لتلميذه عبد القادر الراشدي منهم الشيخ محمد جسوس[1] والشيخ

---

(1) الشيخ حمدون بن الحاج ت1232هـ: حمدون بن عبد الرحمان بن محمد بن العربي بن محمد بن علي بن محمد ابن الحاج السلمي المرداسي ولد عام 1174هـ تصدى لحسبة فاس لمدة ثم عزل نفسه اشتغل بالتدريس والتأليف له حاشية على المختصر السعد وأرجوزة في المنطق والكلام. القادري: المصدر السابق. ج7، ص: 2499.

(2) الشيخ الطيب بن كيران ت1227هـ: محمد الطيب بن عبد المجيد ابن كيران ولد عام 1172هـ له إطلاع واسع ومعرفة جيدة تخرج عليه عدة علماء وله شرح ألفية العراقي في السيرة. القادري: المصدر نفسه،ج7، ص: 2487.

(3) أبوراس الناصري: فتح الاله ، ص: 103.

(4) نفسه،ص: 102.

(5) نفسه ، نفس الصفحة .

(6) الكتائي: المرجع السابق، ج1، ص: 151.

(7) القادري: المصدر السابق ، ج7، ص: 2516.

(8) إمام الراشدية أخذ عنه تلميذه أبوراس الناصري في أم معسكر. أبوراس الناصري: المصدر السابق. ص: 42.

(9) ابن سحنون: المصدر السابق، ص: 228.

والشيخ التاودي بن سودة و الشيخ محمد البناني و الشيخ عبد الله السوسي و الشيخ إدريس العراقي الحسني ومولاي بن عبد الرحمن إدريس و غيرهم[2].

3-رحلة الشيخ عبد القادر المشرفي إلى المغرب الأقصى

إثر سقوط ثغر الجزائر 1245هـ/ 1830 رحل الشيخ عبد القادر المشرفي المعروف بابن عبد الله سقط المشرفي إلى المغرب الأقصى و تبادل الإجازات مع مشايخ المغرب الأقصى فأجازه الشيخ الهادي بن محمد الشريف و الشيخ محمد بن محمد العربي البناني المالكي، و أجاز الشيخ ابن عبد الله سقط المشرفي الجزائري بدوره بعض العلماء المغاربة في فاس كالشيخ أبي العباس أحمد بن الطاهر الأزدي المراكشي و الشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن الإمام أبي العباس أحمد الشدادي الفاسي إجازة عامة عام 1247هـ/1831م [3].

الرحلة الحجازية:

تنوعت الرحلات الحجازية في طريقها و طريقتها و منهج تدوينها و لكنها توحدت في الدوافع التي جعلت أصحابها يقومون بها و المتمثلة في أداء الركن الخامس من أركان الاسلام و هي فريضة الحج و زيارة المسجد النبوي و البقاع المقدسة عملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " ... لا تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا ومسجد الحرم و المسجد الاقصى "[4] .

إن الرحلة الحجازية عبارة عن وثيقة حضارية وثقافية حيث يتنقل الرَّحالة بين مختلف المناطق والأمصار فيسجل المعلومات التي شهدها و عرفها و علقت بذهنه و يذكر المسافات و المراحل التي تجاوزها و الصعوبات التي واجهها و يصف حال البلاد و العباد[5] ، و كان ركب الحجيج المغربي يمر

---

(1) أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد جسوس (1089- 1182هـ) شيخ الجماعة في وقته أخذ عن عبد الله المسناوي ومحمد بن عبد القادر الفاسي أخذ عنه جماعة من الأعيان كالشيخ التاودي بن سودة له تأليف عديدة منها شرح على مختصر خليل في ثمانية أسفار صنفهم وشرح من الرسالة القادري: المصدر السابق، ج7، ص:2393.
الكتاني: زهر الأس في بيوتات أهل فاس، تح: علي بن المنتصر الكتاني، منشورات النجاح، دار البيضاء. 2002، ط2، جزءان، ج1، ص: 281.

(2) المهدي بوعبدلي و ناصر الدين سعيدوني : المرجع السابق، ص:151.

(3) الكتاني: المرجع السابق . ج2. ص: 577. عادل نويهض: المرجع السابق. ص: 304.

(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب "لا تشد الرحال الا إلى ثلاثة مساجد " رقم الحديث 95، ص628.
أبي الحسن مسلم: صحيح مسلم، من: ابو قتيبة محمد الفريابي، دار طيبة، الرياض، 2006، ط2، مج1، ص:628.

(5) الحضيكي السوسي ابي عبد الله ت1189هـ: الرحلة الحجازية، تح: عبد العالي لمدبر، مركز الدراسات والابحاث وإحياء التراث، المغرب،2011، ط1، ص: 10.

عبر الجزائر بحراً و براً في طريقه إلى الأماكن المقدسة و قد ذكر التمغروتي مراحل البحرية و قدم لنا وصفاً للمدن الساحلية خاصة مدينة الجزائر، في حين ذكر العياشي ومن بعده الناصري في رحلتهما الحجازية إلى مساره الجنوبي الصحراوي . وكان ضمن ركب الحجيج المغربي العلماء و الفقهاء والشيوخ و قد حرص هؤلاء على أداء فريضتين في آن واحد فريضة الدين و فريضة طلب العلم و حرص على أن لا يفوتوا الإتصال بالعلماء في مختلف المناطق.[1]

يعد القطر الجزائري من أهم البلدان التي ورد ذكره في كتب الرحلات المغربية المدونة و التي تعبر عن اهم جسور التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب الأقصى .

1- الرحلة الحجازية لأبو الطيب المشرقي (ت 1110هـ/ 1698م):

هي إمتداد لما سبقها من الرحلات الحجازية المار عبر طريقا الصحراوي ، و ذكر صاحبها ابو الطيب المشرقي[2] العديد من المزارات الأولياء و الصالحين حيث زار روضتي الشيخ " محمد العمري والشيخ " عبد الرزاق المجلد "و هما من صلحاء قرية المشرية[3] . و أشار صاحبها أن ركب الحجيج واجهته عوائق طبيعية تمثلت في ريح قوية شغلتهم عن زيارة " سيدي خالد ". و قد ذكر العياشي في رحلته أن قبر " خالد بن سنان" من أهم المزارات الشهيرة في بلاد الزاب و تقصده ركب الحجيج المغربي (المراكشي ، الفاسي ، السجلماسي)[4] .

نلمس من الرحلة إشارات هامة تدل على مدى الصلات الودية بين أهالي كل محطة ينزل فيها الركب ، فعندما نزل الركب في بسكرة ضحى يو الخميس الرابع من شعبان لاح في وجوه الركب السرور و في اليوم الموالي توجه الركب إلى الجامع الأعظم للمدينة و ألقى خطيب المسجد الشيخ" أبو محمد بن

---

(1) ذكر الناصري الدرعي في رحلته أن الشيخ محمد المنصور انتظر ركب الحجيج المغربي قرابة شهر حتى يتصل بعلماء الركب وينتفع منهم.

أبو العباس أحمد بن محمد ناصري الدرعي: الرحلة الناصرية 1709 ـ 1710، تح: عبد الحفيظ ملوكي دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2011، ص: 711.

[2] محمد بن الطيب المشرقي ت 1170م : أبي عبد الله سيد الحاج محمد بن الطيب المشرقي الفاسي عالم المدينة المنورةو خطيب مسجدها ، له تآليف كثيرة و توفي في المدينة المنورة عام 1170هـ.

الكتاني ، أبي عبد الله محمد بن جعفر إدريس : سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء ة الصلحاء بفاس . تح : عبد الله الكامل الكتاني و حمزة بن محمد الطيب الكتاني و و محمد بن حوزة بن عاي الكتاني ، 4 أجزاء ، دار الثقافة ، الدارالبيضاء ، 2004 ، ط1،ج3،ص :67.

[3]المشرقي أبو الطيب : رحلة إبن الطيب المشرقي . مخطوطة ، المكتبة العربية الرقمية ، وجه الورقة رقم 31.

[4]العياشي : المصدر السابق ، ج2، ص :82.

عبد الواحد بن محمد الرماني " خطبة و عظ فيها الناس و بشر حجاج الركب المغربي فأذهب وحشتهم بالإناس . و عقب نهاية صلاة الجمعة إلتقى جماعة من الركب في المسجد جماعة من أصحاب الشيخ " أبي العباس أحمد بن محد بن ناصر الدرعي " و هو الشيخ أبو محمد عبد الحفيظ بن الطيب و أخوه أبو عبد الله محمد بن الطيب و هم اولاد من سيدي ناجي[1] .

2- الرحلة الناصرية لصاحبها أبو العباس أحمد بن ناصر الدرعي (ت 1122هـ/1710م):

تُعد الرحلة الناصرية من أهم الرحلات الحجازية التي عبرت القطر الجزائري عبر مسلكه الصحراوي . و ذكر صاحبها أهم مراحلها و حطاتها الصحراوية و فيها إشارات الكثير حول التواصل الثقافي بين حجاج الركب مع فقهاء و صلحاء الجزائر. كانت أولى محطات الركب السجلماسي في القطر الجزائري منطقة بوسمغون و زار خلالها الركب السجلماسي أحد شيوخ و صُلحاء المنطقة وكان إسمه " سيدي محمد بن أبي نوة ". و إلتقى الركب السجلماسي بأحد لأعيان أهل غريس و الراشدية كانوا ينتظرون الركب الحجيج السجلماسي و ذكرهما صاحب الرحلة و هما " سيدي عبد الله بن سحنون و إبنه سيدي الهاشمي " [2]. و إستعان الركب بأحد أعيان المنطقة و هو " سيدي محمد المختار " ووصفه الدرعي على أنه حافظ للقران الكريم و أنه زار أهم المراكز الثقافية في البلدين " تلمسان و مدينة الجزائر " و أنه سكن مدينة فاس خمس سنين و زار مراكش و تارودانت في المغرب الأقصى[3].

و واصل الركب مراحل طريقه الصحراوي و إلتقى مع كبير شيوخ عين ماضي الشيخ أحمد بن الدهصاء و أبناؤه و أشار الدرعي أنهم كلهم فقهاء و ذكر منهم الشيخ عبد الرحمن و محمد و زروق والشيخ بوحفص و محمد بن عيسى و الشيخ أبو القاسم و عبد الرحمن بن دلس و الشيخ عيسى بن يحي و أشار أن معظم طلبة العلم يقرؤون مختصر خليل و هم عاكفون على قراءة الفقه [4]، ثم نزل الركب الأغواط و زاروا أعيانها و فقهائها و ذكر منهم الشيخ محمد بن الحاج و الشيخ عبد الباقي و محمد بن عيسى و محمد السعيد . وفي محطة أولاد جلال إلتقى الركب بأعيان المنطقة و كانت بالمنطقة مدرسة

[1] المشرقي : المصدر السابق ، ص : 36.

[2] الدرعي الناصري: المصدر السابق ، ص : 129.

[3] نفسه ، نفس الصفحة .

[4] نفسه ، ص : 131.

للطلبة المهاجرين [1] سيدي ناجي و ذكر أعيانها و علمائها و فقهائها و ذكر منهم الشيخ بلقاسم بن محمد المبارك و الشيخ محمد بن الهاني بن الحيفان و الشيخ عبد الحفيظ بن الطيب و غيرهم [2].

رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي (ت 1175هـ/ 1761م) :

انطلقت الرحلة من سجلماسة و خرجت مع الركب السجلماسي عام 1150هـ/1737م ، و ترأس الركب الشيخ " إبن عبد الله بن عبد الكريم " وأول محطاته الصحراوية في القطر الجزائري منطقة القنادسة ببشار حيث تستريح قافلة ركب الحجيج و خلالها زار حجيج المغرب أحد أعيان و شيوخ المنطقة " أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن أبي زيان " . وفي محطة فجيج إلتقى الركب الحجازي بصاحب زاوية كرزاز و هو الشيخ محمد بن عبد الرحمن. و تعد منطقة فجيج حلقة وصل بين بلاد السودان الغربي والحواضر الثقافية في الشمال البلاد ، فقد ذكر صاحب الرحلة أنه إلتحق بالركب في منطقة فجيج إمام الأودغيز . ثم واصل الركب مراحله الصحراوية و نزل عين ماضي و لقي شيخها " سيدي الحج عيسى ". وحلَّ الركب بأولاد جلال و و إتصل بفقي المنطقة " سيدي محمد بن سعيد "و ، و نزلوا بسكرة و زار الركب أحد صلحائها و أعيانها " سيدي محمد بن المودع " و غيرهم من صلحاء المدينة [3].

الرحلة للسفارة:

ظهر هذا النوع من الرحالات في القرن 10هـ/16م فقد دأب السلاطين السعديون[4] و حتى بعدهم العلويون إلى إرسال بعض العلماء و الأعيان ضمن وفد للقيام بمهمات سياسية في بلدان أجنبية أو إسلامية ، و أصطلح الباحثون تسمية هذا الصنف من الرحلات التي أنفذتها شخصيات رسمية بالرحلات السفارية[5]، فإلى جانب مهام هؤلاء العلماء و الشيوخ و الأعيان السياسية و التي تمثلت في عقد

---

[1] الدرعي الناصري :المصدر نفسه ، ص: 138.

[2] نفسه ، ص :711.

[3] بوسليم صالح و بن قايد عمر : المرجع السابق، ص : 273.

[4] أوفد السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي اواخر القرن 10هـ/ 16م سفارة إلى القسطنطينة سنة 1581 بقيادة أبو الحسن التمغروثي خشية أن يشن أتراك الجزائر غارة على بلاده وقيد التمغروثي سفارته رحلته ب" النفحة المسكية في السفارة التركية" فقد من لنا أخبار المدن الساحلية خاصة مدينة الجزائر خلال القرن 10هـ/16م. التمغروتي : المصدر السابق. ص: 140. بلحميسى : المرجع السابق، ص:11.

[5] الغسافي محمد الأندلسي: رحلة الوزير في افتكاك الأسير، نق: نوري الجراح، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2002، ط1، ص: 14.

الإتفاقيات و إبرام الصلح ووضع أسس التفاهم تباحث هؤلاء العلماء بنظرائهم في البلدان و الأمصار التي حلّو بها و سنقتصر على ذاك ذكر السفارات المغربية التي وفدت إلى الجزائر

1-سفارة مغربية بقيادة الشيخ محمد الطيب الفاسي إلى الجزائر 1103/1691م.

شكّلت مسألة الحدود بين أتراك الجزائر و السلاطين المغاربة قضية هامة حيث تم الإتفاق بين المولى محمد بن الشريف و أتراك الجزائر سنة 1064هـ/ 1653 على أن الحدّ الفاصل بين الدولتين هو وادي تافنة و مع قيام الدولة العلوية حافظ السلطان العلوي الرشيد على هذا الإتفاق [1] .وإضطربت الأوضاع السياسية بين البلدين خاصة في عهد السلطان إسماعيل العلوي فتوغل الجيش المغربي[2] داخل الجزائر حتى وصل إلى وادي شلف[3] لينسحب أمام قوة المدفعية الثقيلة لِاتراك الجزائر وأعلن هؤلاء مساندتهم للمولى إبن محرز في صراعه على السلطة ضد المولى إسماعيل عام 1093هـ/ 1682م [4].

إن أهم موقعة جمعت الطرفين كانت واقعة المشارع 1103هـ/ 1691م[5] و التي إنهزم فيها الجيش المغربي و على إثرها أرسل السلطان إبنه عبد الله رفقة الشيخ محمد بن الطيب الفاسي و صحبة الوزير العساني لعقد الصلح[6] ، و حلت السفارة المغربية بمدينة الجزائر و إلتقى الشيخ محمد الطيب الفاسي بأعلام وعلماء مدينة الجزائر منهم الشيخ مصطفى بن رمضان المشهور بإبن العنابي و عُقدت بينهما جلسات علمية و نال الشيخ ابن العنابي إجازة من الشيخ محمد الطيب الفاسي [7].

---

[1] ابراهيم حركات: المرجع السابق.ج3، ط1، ص:14.

[2] يظهر من خلال مختلف المصادر التاريخية أن هدف السلطان العلوي إسماعيل من وراد جمع العبيد هو إنشاء جيش نظامي للدولة على غرار الجيش الانكشاري بالنسبة للأتراك العثمانيون بالجزائر. ابراهيم حركات: المرجع نفسه. ص:53.

[3] الناصري: المصدر السابق. ج7، ص:59.

[4] الضعيف: المصدر السابق. ص: 78.

[5] الزياني: البستان الظريف، ص:178.

[6] لم يدم الصلح طويلا حيث عين السلطان إسماعيل ابنه زيدان على منطقة المغرب الشرقي وأمه بتكثيف الهجومات ضد أتراك الجزائر، فتدخل الباب العالي وأرسل سفارة وفدت إلى مكن س عام 1108هـ/ 1697م تقيع السلطان اسماعيل بقبول الصلح والحدود بوادي تافتة وذكرت بعض المصادر أن السلطان العثماني مصطفى هدد السلطان إسماعيل العلوي. الضعيف: المصدر السابق ، ص:78.

[7] ابن سحنون: المصدر السابق، ص:75.

2-سفارة الشيخ أحمد الغزالي المغربي إلى الجزائر عام 1182هـ

حلّ الشيخ أحمد الغزال المغربي[1] بمدينة الجزائر عام 1182هـ لِعقد الصلح بين الجزائر والمغرب و خلالها إتصل الشيخ المغربي بأعلام و علماء مدينة الجزائر و حضر درساً للشيخ إبن عمار الجزائري في الجامع الكبير للمدينة وكان الشيخ إبن عمار يتولى خطة الإفتاء المالكي به ، أعجب الشيخ أحمد الغزال المغربي بالشيخ ابن عمار الجزائري و مدحه بقصيدة مما ورد فيها:

رووينا أحاديث الأولى و ورثو العُلَى ... قديماً ففازوا بالثناء المؤبد

فقيل أناس قد تقضى زمانهم ... فهل مثلهم يوما شهدت بمشهد

فقلت لهم و القول مني صادر ... ولم أكُ فيما قلته بمفنّد

إذا شئتم أن تنظروا شبه من مضى ... ومن فاز بالذكر الجميل المخلد

هلموا إلى بحر العلوم ومن غدا ... بأنواره أهل المعارف تهتدي

هلموا إلى مفاخر والعلا ... هلموا إلى الأسمى ابن عمار أحمد(2)

له خضعت أرباب علم لغزه ... وكيف وفيهم قام أعظم مرشد

مشاهدّه في مجلس الدرس لم يزل ... مقرله له بالرّقّ في اليوم والغد

عبارته في العلم وما بين أهله ... تدل على الفتح المبين المؤبد

فما سمعت أذني ولا العين أبصرت ... شبيها له غرب وشرق بمعهد[3]

أشار عبد الرحمن ذويب إلى تبادل الاجازة بينهما في علم الحديث في حين ذكر أبو القاسم سعد الله أنه رغم تعدد الحلقات العلمية بينها الا أنه لا يعرف أن تبادلا الإجازات بينهم ولكن أشاد الشيخ أحمد الغزال المغربي بالكفاءة العلمية و الفقهية للشيخ ابن عمار الجزائري.

---

(1) الشيخ ابو العباس أحمد بن المهدي الغزال الأندلسي الأصل المغربي مولد وموطنا هو صاص الرحلة المشهورة "نتيجة الإجتهاد في المهادنة والجهاد " ألفها عند ذهابه إلى إسبانيا لمبادرة الأسرى وقد أوفده السلطان العلوي محمد بن عبد الله إلى الجزائر عام 1182هـ.عبد الرحمن ذويب: المرجع السابق، ص:177.

(2) ابو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص:235.

(3) عبد الرحمن ذويب: المرجع السابق، ص:178.

الهجرات القسرية

1 -هجرة الزياني إلى حواضر الجزائر:

تقلد الزياني مناصب سياسية في المغرب الأقصى و عاصر فترة طويلة من السلاطين الدولة العلوية منذ السلطان محمد بن عبد الله 1757- 1790 م مروراً بإبنه اليزيد 1790- 1792 م وصولاً إلى عهد السلطان سليمان 1792- 1822 م و أسندت إليه عدة سفارات و أوامر سلطانية [1] و أشرف على شؤون عدة اقاليم و مدن مغربية[2] و رغم هذا النشاط الذي ميَّز حياة أبو القاسم الزياني لم يسلم من المضايقات إذ تعرض للعزل وا لسجن و صُدرت أملاكه و وصل به الأمر إلى محاولة قتله في عهد السلطان اليزيد[3] ، و عزل مرة آخرى بقرار من السلطان سليمان .

رحل الزياني إلى تلمسان بنية الإقامة بها و مكث بها قرابة سنة و نصف وصف خلالها أحوال البلاد و العباد و تحسر للحالة الثقافية التي آلت إليها المدينة [4] ، و غادر الزياني مدينة تلمسان فراراً من الوباء[5] الذي حلّ بالمدينة و خرج إلى مدينة الجزائر و إلتقى الزياني ببعض علماء مدينة الجزائر منهم قاضي المدينة و فقيهها الشيخ محمد بن مالك[6] ، لم تطل إقامته بالمدينة و توجه إلى مدينة قسنطينة و إجتمع مع بعض علمائها و منهم الإمام و الخطيب بالمسجد العتيق الشيخ أبي بركان سيدي مبارك بن الفقيه عمر الصنائعي و الفقيه الصرفي أبي الحسن علي بن مسعود الونيسي و القاضي أبو

---

(1) أرسلهُ المولى " محمد بن عبد الله " لقيادة سفارة مغربية إلى السلطان العثماني عبد الحميد الأول و دامت رحلتهُ مائة يوم في الأستانة و زار جميع أثارها من مساجد و مدارس و مكاتب و وصف كل ما وقعت عليه عيناه. محمد كنون: مشاهير العلم، ص: 632.

(2) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص: 476.

(3) الزياني : الترجمانة الكبرى ، ص: 139. أشار الضعيف إلى ما تعرض إليه الزياني في عهد السلطان اليزيد حيث عزم على قتله . الضعيف: المصدر السابق، ص، ص: 228 ، 231 .

(4) تحسر الزياني للحالة الثقافية والعلمية لمدينة تلمسان وهجا قاضي المواريث في قصيدة

يامن تكبر فوق ما يناسبه وظن أن خدمته الشمس والقمر
و لاسموت إلى علم البديع و لا بسطت من هيئة مشكلها الوعر
و لا ركنت إلى علم البيان و لا تفسيرك البحر منه تخرج الدرر

الزياني : المصدر السابق، ص، ص: 142. 143.

(5) وصفه الزهار بالوباء الكبير الذي إجتاح الجزائر عام1201هـ وطال إلى غاية 1211هـ وذكر أنه حصد خلق كثير وصل إلى خمسمائة حفازة كل يوم . الزهار : المصدر السابق، ص: 51.

(6) القاضي الحاج محمد بن أحمد بن مالك تولى الافتاء المالكي من سنة 1210هـ، 1214هـ/1795، 1800م . الزهار : المصدر نفسه، ص: 89 . بلحميسي: المرجع السابق ، الهامش 2. ص: 175.

عبد الله سيدي الحفصي و الفقيه أبو اقاسم المحتالي . وذكر الزياني أن المفتى أحمد بن مبارك العلمي طلب منه أوراداً فأسعفه الزياني في ذلك و هذا و قد مدحهُ الشيخ ونيس البوزنياري للشيخ أبو القاسم الزياني[1] و لقي الزياني حفاوة لدى رجال السلطة في الجزائر مثل محمد بن عثمان باي وهران و حسن باي قسنطينة[2] .

2-هجرة صاحب الطريقة التيجانية إلى المغرب الأقصى

عقب استرجاع ثغر وهران من المحتل الإسباني عام 1120هـ/1792م ضعفت العلاقة بين السلطة الحاكمة في الجزائر و الطرق الصوفية و وصلت إلى حد القطعية ما جعل صاحب الطريقة التيجانية أحمد التيجاني يفر إلى فاس عام 1211هـ بعد أن ضيق عليه باي وهران محمد بن عثمان و هدده و أرغمه على الخروج من أبي سمغون [3]. خرج التيجاني مع أولاده و بعض تلاميذه و سلكوا طريق الصحراء إلى فاس . و أرسل بِكتابه إلى السلطان العلوي سليمان يعلمه أنه هاجر من جور الترك و ظلمهم و أنه إستجار بأهل البيت الكريم [4] فقبله السلطان و أذن له بالدخول عليه و الحضور إلى مجلسه، فلما إجتمع به و أرى سمته و مشاركته في العلوم أقبل عليه و أعطاه داراً معتبرة من دورهِ فأقبل عليه الخلق و إشتهر أمره بفاس و المغرب الأقصى [5] .

عانى شيخ الطريقة أحمد التيجاني من الموقف العداء من الشرفاء و الزوايا التقليدية ذلك أن دعوة التيجاني إلى الإحجام عن زيارة الأولياء و إقامة المواسم فقد إصطدمت هذه المفاهيم بإحدى المعتقدات الراسخة سواء لدى العامة أو لدى نخبة المجتمع من العلماء و شرفاء و وصل الأمر بصاحب الطريقة إلى التفكير في الرحيل عن المغرب و الإستقرار بالمشرق إلا أن السلاطين المغاربة منحوه الحماية لكل الفارين من إضطهاد أتراك الجزائر [6].

---

(1) أبو القاسم الزياني: المصدر السابق، ص: 154.

(2) مولاي بلحميسي: المرجع السابق، ص: 175. أرزقي شيوتيام: المرجع السابق، ص: 92.

(3) أشار له محقق كتاب مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار في أهم الحوادث التي لم يذكرها المؤلف ، فرار أحمد التيجاني . الزهار: المصدر السابق، ص: 89.

(4) الزياني : الروضة السلمانية في ذكر ملوك الدولة الاسماعلية ومن تقدمها من الدول الاسلامية، مخطوطة، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، ص: 290. مخلوف: المرجع السابق، ج1، ص:542.

(5) القادري: المصدر السابق ،ج7 ، ص: 2493.

(6) محمد منصور: المرجع السابق، ص:290.

مما تقدم يمكن القول :

1) شكلت عناصر الجغرافيا و التاريخ عاملاً حاسماً في فعالية التواصل الثقافي بين البلدين.
2) إن حركة إنتقال الأفراد و الجماعات بين البلدين المتجاورين ظلت قائمة و تنوعت بإختلاف أهدافها .
3) كانت حركة الهجرة و التنقل تتم في كل الظروف و الأزمنة رغم تباين مواقف حكام البلدين في قضايا حاسمة (قضية الحدود بينهما). فإن حكام البلدين لم يضعوا قيودا ، و ربما لم يتمكنوا من وقفها .
4) إن الرحلات المختلفة ساهمت في تقوية التواصل الثقافي بين الأفراد و الجماعات ، وتلاقح الأفكار ساهم في تحقيق وحدة ثقافية و فكرية بين الجزائر و المغرب .

المبحث الثالث :

المراسلات العلمية و الكتب المنتشرة في البلدين.

تُعد المناظرات و المناقشات الفكرية و الدينية مظهراً من مظاهر التواصل الثقافي بين البلدين وما ساعد على فعاليته البنية الثقافية المتشابهة من حيث مواد الدراسة و الكتب و طرق التدريس التي كانت سائدة في البلدين.و عليه نطرح التساؤلات التالية :

1- ما هي أهم المرسلات العلمية التي تمت بين علماء البلدين ؟

2- هل إختلاف في زوايا الفكر في بعض القضايا رغم تشابه البنية الثقافية في البلدين؟

3- ماهي أهم الكتب المشهورة في البلدين ؟

أ- المناقشات و المناظرات الفكرية و الدينية:

إن تشابه البنية الثقافية بين علماء البلدين لم يمنع ذلك في إختلاف زوايا الفكر لدى بعض علماء البلدين في بعض القضايا الفكرية و الدينية ما أدى إلى مناقشات و مناظرات بين علماء البلدين . و نذكر على سبيل المثال لا الحصر مناقشة صاحب الرحلة الناصرية مع علماء و أعيان منطقةعين ماضي في مسألة زيارة الأضرحة و المزارات ، وكان لردهم إنكار ذلك وأن الرحال لا تشد إلا إلى ثلاثة مساجد [1].

و تباحث الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري مع شيخه أحمد الورزازي المغربي في مسألة أفضلية الملائكة أو الرسل[2] ، فذكر إبن حمادوش أن شيخهُ قال بفضيل الملائكة على الأنبياء ، و ردَّ عليه إبن حمادوش متعجباً أتقول بتفضيل الملائكة على الأنبياء و لم تستثني سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم ثم إنتقل الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش إلى الشيخ البناني الفاسي و أكد له أن الإجماع منعقد على أن سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم أفضل من الملائكة . و عقب أبو القاسم سعد على الحوار الذي دار بين الشيخ أحمد الورزازي المغربي و الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش ، أن الأول رغم إجازته للآخر لم يمنع إبن حمادوش من مناقشته و إنتقاله إلى شيخ آخر – البناني – و هذا يدل على مدى إستقلالته في رأيهِ .

[1] الناصري : المصدر السابق ، ص : 132.

[2] ابن حمادوش : المصدر السابق ، ص : 65.

ب-المراسلات العلمية بين علماء البلدين إثر سقوط ثغر الجزائر1245هـ/1830م.

شكلت المراسلات بين علماء البلدين حجر الأساس في تفعيل التواصل الثقافين و تعميقهِ . و يُعد سقوط مدينة الجزائر على يد الفرنسين عام 1245هـ/1830م حدثا هاما على العباد البلاد، فسارع أهل تلمسان إلى بيعة السلطان المغربي عبد الرحمن بن هشام حيث بقيت البلاد بلا أمير يجمع كلمتهم وتشتت جمعهم. و أرسلوا وفادة إلى السلطان تأكيدا في طلبهم و إستعجالا فيه في ربيع الأول عام 1245هـ/ 1830م [1] . كان السلاطين العلويون يستشيرون العلماء والفقهاء في مسائل و نوازل كبرى و كانت مسألة مبايعة أهل تلمسان للسلطان عبد الرحمن بن هشام من النوازل الفقهية وصنفت ضمن باب الجهاد[2] .

و أفتى جل علماء مدينة فاس عدم قبول بيعة أهل تلمسان للسلطان عبد الرحمن بن هشام بسبب أن إيالتهم تحت سلطة لازالت قائمة و موجودة فسارع علماء مدينة تلمسان إلى إبطال فتوى ما أفتى به علماء فاس و كاتبوا السلطان و هو بفاس بوجوب مبايعتهم و شخصوا له الوضع القائم و قدموا الأسباب التي جعلتهم يلتجؤون إليه ، و يمكن تلخيص العاصر الهامة في الرسالة :

- إن فتوى علماء فاس مبنية على غير أساس حيث إعتقدوا أن في أعناقنا بيعة للإمام العثماني ولو صح ذلك كان علينا حجة ولكن الأمر ليس كذلك.
- إن حاكم الجزائر كان متغلبا مارس الظلم والجور على أهلنا. وما يدل على تغلبه لا ينفد أوامر السلطان العثماني بل لا يكترث به أصلا و لا يتبع له قولا و لا فعلا [3] .

إن ما يدل على قدرة علماء تلمسان على إقناع السلطان عبد الرحمن بن هشام مايلي

- البعد الجغرافي بين أهل تلمسان و السلطان العثماني فتسقط بيعته العثماني ذلك لما بيننا " أهل تلمسان و بين السلطان العثماني " من المفاوز و القفار والقرى و المدن و الأمصار تجعل ملكه لا يغني عنه شيئا[4].

---

(1) الناصري: المصدر السابق، ج9، ص:27.

(2) الوزاني: المصدر السابق،ج3، ص: 56.

(3) أشار الزهار أن السلطان العثماني محمود الثاني عين سنة 1821 قبودان باشا نصوح زادة برتبة "باي لرباي" على الجزائر لكن هذا التعيين لم يكن له أثر في الجزائر التي بقيت تحت سلطة حسن باشا إلى غاية نهاية الحكم العثماني في البلاد. الزهار: المصدر السابق، ص: 183.

(4) الوزاني: المصدر السابق. ج3، ص:57.

– إن الدولة العثمانية تعيش فترات من الضعف و الوهن ذلك أن الأخبار البالغة حدّ الكثرة والإنتشار تؤكد على أنه منشغل بنفسه[1] .

– إن الدولة العثمانية عاجزة عن الدفاع ممتلكاتها القريبة و خير دليل على ذلك خبر مصر ونواحي الشام فقد إستولى عليها أعداد الدين مدة تزيد عن خمس سنوات فلم يُجرِ لهم نفعا[2].

و واصل علماء تلمسان تقديم الحج والدلائل مؤكدين على ضرورة مبايعة السلطان المغربي ومستندين إلى نص الأبي في شرح مسلم حيث فصل في مثل هذه القضية قائلا : " ... إن الإمام لم ينفذ في ناحيته لبعد أمره جاز إقامة غير فيها ..."،إن إنتظار نصرة السلطان العثماني يؤدي إلى الهلاك وتعدد القائمين وختم علماء تلمسان رسالتهم إلى السلطان المغربي بقولهم :" ...نحن مقبلين على باب نصرك وسُدته داخلين تحت طاعته ملتزمين لخدمته متوافقين مع القبائل والأمصار و أهل الرأي و الإستبصار ..." [3] . و أمام قوة الدلائل والحجج خالف السلطان عبد الرحمن بن هشام ما أفتى به علماء فاس وقبل بيعة أهل تلمسان.

1– المصنفات العلمية المتبادلة بين البلدين .

إن تشابه البنية الثقافية بين البلدين ساهم في حركية واسعة لتبادل الكتب و المصنفات و شرائها ونسخها ، و ما ساعد على ذلك الطابع الثقافي و العلمي المتجانس حيث إهتم الفقهاء و العلماء و الشيوخ في البلدين بسرد إنتاج السابقين و إجترار لعلوم الفقه و العقيدة و تقليدهم ، فكان المدرسون يرددون ما قالهُ السابقون و يدرسون الكتب و يحفظون المتون القديمة [4]، أما العلوم العقلية فأصابها تدهور كبير وإختفت معالمها و عرفت تراجعاً كبيراً ، فقد لاحظ الرحالة الجزائري ابن حمادوش – على سبيل المثال لا الحصر –تراجعاً كبيراً في علم الطب و الهندسة و الحساب في المغرب الأقصى و ذكر قائلاً : "...وأما علم الحساب و الطب و الهندسة فلم أر من يبحث عنها فضلاً عن من يتقنها ..."[5] .

---

[1] الناصري: المصدر السابق، ج9، ص:28.

[2] الواضح أن الأخبار كانت احوال المشرق الاسلامي كانت تفد إلى المنطقة ـ الجزائر والمغرب ـ عن طريق ركب الحجيج عقب نجاح الحملة الفرنسية بقيادة نابليون على مصر عام 1798م.

[3] المشرفي: المصدر السابق، ج3، ص:74.

[4] محمد بن عبد الكريم : المرجع السابق ،ص :78. أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق ،ج 2 ، ص:09.

[5] ابن حمادوش : المصدر السابق ، ص: 79.

وعليه فإن طبيعة الوضع الثقافي في المغرب الأقصى لم يختلق كثيرا عن ما هو في الجزائر ، رغم أن سلاطين المغرب الأقصى ساهموا في بعث الحياة الثقافية و العلمية في البلاد حيث اهتموا بالعلماء والفقهاء بالعلوم الشرعية و من ثم لا يمكن تحميل مسألة الجمود الفكري والثقافي في الجزائر إلى السلطة السياسية في البلاد(الأتراك العثمانيون) .

ظلت العلوم الشرعية وعلوم اللغة مادتين أساسيتين في المشهد الثقافي و الفكري في الجزائر والمغرب الأقصى ،ورغم وجود مؤلفات وحواشي وشروح لبعض أمهات الكتب المعروفة فإنه لم يظهر عليها إبداع متميز من حيث الموضوع وفي كيفية العرض والتحليل بل التزمت بالأساليب السابقة والقديمة في النقل و الاسناد، وفي تصوري يرجع ذلك إلى مايلي :

- إنتشار المذهب المالكي في المنطقة إذ يبدأ دراسته بحفظ المتون المختصرة كمتون ابن عاشور والاخضري و ينتهي بالمختصر الخليلي ،وهذاماجعل الأفق الفكري والفقهي ضيف في القدرة على استعاب الخلاف و التعدد في الافكار وهو ما ساهم في حالة الجمود الفكري بالرغم من وجود المذهب الحنفي في الجزائر خلال العهد العثماني وإنفتاح المغرب الأقصى في مرحلة من مراحله التاريخية على بقية المذاهب الأخرى خاصة الحنبلي في عهد السلطان العلوي محمد بن عبد الله.
- الحافظة والخوف من التحليل والخشية من الغوض في بعض المسائل الفقهية والكلامية ويلاحظ المطلع على كتب التراث في هذه الفترة المدروسة مذى تنبيه وتحذير طلبة اهل العلم في الخوض في علم المنطق و أشار ابن ميمون إلى ذلك قائلا : "... أما فن المنطق جرى فيه خلاف بين العلماء لانه يمت إلى الفلسفة التي حَرم الخوض فيها بعض العلماء و حذروا منها تلاميذتهم ومنعوهم ان يتعلموها لا سيما الذين لم ينالوا قسطاً وافراً من عقائد اهل السنة و خوفاً عنهم ان يتيهوا في دروب الكفر و الألحاد ..."[1] و تباحث الورثلاني مع اهل الخنقة و أقرَّ بتفوقهم في علم النحو و الفقه والحديث إلا أنه تعجب من عزوفقهم عن الأنشغال بعلم التوحيد و علم الكلام والمنطق ،فكان ردهم ان الله لا يحتاج في معرفته إلى دلي و برهان ثم ان شيخهم ابن ابي جمرة نهاهم عن الخوض في هذه المسائل [2]. أما في المغرب الأقصى فتدخلت السلطة الزمنية

[1] ابن ميمون : المصدر السابق ، ص: 47.

[2] الورثلاني :المصدر السابق ، ج1 ، ص : 254.

وأصدرت منشورا عام 1203هـ /1786م نهى فيه السلطان محمد بن عبد الله تدريس علم الكلام و المنطق و غيره ، وأكد على معاقبة من يعالجون هذه المسائل .

عرف نشاط تبادل الكتب بين البلدين إنشاراً كبيراً و شكل أحد مظاهر التواصل الثقافي بين البلدين ، فذكر الرحَّالة الجزائريون في المغرب الأقصى عدد لابأس به من عناوين الكتب التي إشتروها أو نسخوها أو إستعاروها ، فالرحَّالة إبن حمادوش إشترى ألفية العراقي و حاشية عبد الرحمن الفاسي على البخاري بمثقالين[1] و قام بنشخ نسخة من ألفية العراقي على السيرة المحمدية و نسخ مختصر السنوسي في المنطق و حاشية اليوسي و كل هؤلاء من أعلام و علماء المغرب الأقصى ، إلى جانب ذلك ذكر أنه إشترى مقامات الحريري بخمسة أوراق موزونات [2]. و تحدث الرحالة أبوراس الناصري عن إلحاح أحد علماء مدينة فاس من أجل إعارتهِ لمؤلفهِ الموسوم بـ " درة الحواشي على شرح الشيخ الخرشي " و أسعفه في طلبه[3] و كتب الشيخ أبوراس الناصري مؤلفه المشهور و هو بمدينة تيطوان الموسوم بـ " روضة السلوان المؤلفة في مرسى تيطوان و الجراية من عند أميرها تأتيني أمر السلطان سليمان " [4]، كما كتب بن حمادوش و هو بالمغرب الأقصى كتابهُ " المختصر على الدرر " [5] و الذي ساعده على تصحيحهِ الشيخ أحمد الورزازي المغربي عندما حلَّ بمدينة الجزائر عام 1159 هـ ، كما كتب عدة مقتمات وقصائد منها قصيدة رثاء لشيخهِ ابن مبارك السجلماسي و تصدى ابن حمادوش لتدريس كتاب المقنع بجامع تيطوان[6] حيث أذن له كل من شيخيهِ البناني والورزازي بتدريسهِ لطلبته ، و درس ابن حمادوش كتاب " روضة الأزهار في علم الوقت اليل و النهار " [7].

---

[1] الورثلاني :المصدر السابق ، ص : 69.

[2] نفسه ، ص : 71.

[3] أبوراس الناصري : فتح الإله ، ص: 102.

[4] نفسه ، ص : 164.

[5] ابن حمادوش : المصدر السابق ، ص:114.

[6] نفسه ، ص: 103.

[7] نفسه ، ص: 104.

سنستعرض أهم الكتب و المصنفات المتداولة في البلدين :

1-كتاب جامع الجوامع للإمام السبكي :

هو كتاب في علم أصول الفقه[1] له شروح كثيرة ، أهمها شرح جلال الدين بن أحمد المحلي الشافعي و لهذا الشرح حواشي مشرقية و مغربية ، و تعد حاشية الشيخ البناني المغربي ت 1198 هـ اهم حاشية عند علماء المغرب ، و ذكره إبن زاكور المغربي حين أقام بمدينة الجزائر فقراه رفقة جماعة من الطلبة مع الشيخ عمر المنجلاتي الجزائري [2]، و تصدى لإقرائه بجامع القرويين بمدينة فاس الشيخ محمد بن أحمد القسنطيني المعروف بإبن الكماد و برع في إقرائه و كثر عليه الطلبة من حواضر المغرب الأقصى [3].

2-مختصر خليل في الفقه المالكي :

إهتم علماء البلدين بإستعارة الكتب و نسخها و شرائها خاصة الكتب و المؤلفات الفقهية ، و سيطر مختصر الشيخ خليل على معظم الدراسات الفقهية و كاد إن يحل في المرتبة الثالثة[4] بعد القرآن الكريم و السنة النيوية و يرجع ذلك إلى كمية الشروح و الحواشي مع تنوعها ثم أن المصنف – مختصر خليل– عُد مصدراً للفقه و التشريع .

تمسك أهالي البلدين بالمذهب المالكي و هذا خلاف ما ذهب إليه عبد الرحمن بن عبد الرحيم حين ذكر أن العثمانيون بالجزائر حاولوا إضعاف المذهب المالكي و العمل على شيوع المذهب الحنفي بين الأهالي بإعتباره المذهب الرسمي للبلاد فأسسوا الكثير من المساجد و الجوامع و المدارس لتنافس المنشأت التعليمية المالكية و هذا من أجل تقوية المذهب الحنفي و إضعاف المذهب المالكي [5]، لكن الواقع أن السلطة العثمانية في الجزائر لم تفرض المذهب الحنفي على الأهالي بل أقامت المفتي و القاضي الحنفيين في المدن الكبرى التي بها جاليت عثمانية مثل مدينة الجزائر و قسنطينة و عنابة ، أما

---

(1) الإمام السبكي تـ 791 هـ / 1370 م : عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي أبو نصر تاج الدين الشافعي عمل في الفقه و لخص في الأصول جمع الجوامع و عمل عليه . ابن حجر : المصدر السابق ، ج 2 ص : 425. السبكي : جمع الجوامع في أصول الفقه . تح: عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العمية ، بيروت ، ط2 ،2002 ، ص 07.

(2) ابن زاكور : المصدر السابق ، ص : 46.

(3) الأفراني : صفوة ، ص : 360.

(4) ابو القاسم سعد الله : المرجع السابق ، ج2 ، ص : 71.

(5) عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ، ص : 24 ،25 .

في المغرب الأقصى إنفتح في مرحلة من مراحلهِ التاريخية أمام المذاهي الفقهية الأخرى خاصة الحنبلي [1]في عهد السلطان العلوي " محمد بن عبد الله " و لم يكتب له النجاح و الإنتشار بسبب تمسك المغاربة بتقاليدهم الفقهية المالكية [2].

تنوعت الشروح و الحواشي التي عالجت مختصر خليل منها شرح الزرقاني و شرح الخرشي ، أما الأول فذكر صاحب الفكر السامي أن الزرقاني وقع في أغلاط في النقل فإعتنى المغاربة بتصحيحهِ [3]، و الآخر ذكر إمام الراشدية الشيخ مصطفى الرماصي عندما إستفتاهُ أحدهم و رد الشيخ الرماصي قائلاً : "...أراك أيها السائل تحتفل بكلام عبد الباقي الزرقاني و ذلك بمعزل عن التحقيق لأن شرحهُ و شرح الخرشي لا نكترث لهما في بلادنا الراشدية لعدم تحقيقهما و عمدتهما كلام الأجهوري ، و هو كثير الخطأ ..." و هنا نلاحظ إجتهاد بعض علماء الجزائر و خروجهم عن المألوف في إجترار المسائل الفقهية و العقائدية ، وذكر الشيخ بن عبد القادر المشرفي قاضي الجامع الأعظم بأم عسكر أن الشيخ البناني الفاسي إعتمد على حاشية الرماصي على التتائي [4] .

3-صحيح البخاري :

بلغ كتاب صحيح البخاري منزلة كبرى لم يبلغهُ كتاب آخر غير القرآن الكريم ، و حظي بنوع من التقديس و التكريم[5] ذلك أنه لا يذكر إسمهُ بمفرده فيقال قرأت سيدي البخاري و حضرت درساً لسيدي بخاري واشتريت نسخة من سيدي البخاري و حضرت ختمة سيدي البخاري و هذا كله من مظاهر العناية والإهتمام لهذا المصنف لدى العلماء و الفقهاء و الشيوح و طلبة العلم في البلدين[6] .

تعلق أهالي البلدين برواية البخاري والمشاهير من علمائهم يقرؤونه ويبتدؤون قراءته من أوله إلى آخره مدة ثلاثة أشهر من اليوم الأول من شهر رجب و يختمونه أواخر شهر رمضان و يتزامن ختمهُ مع

---

(1) الناصري : المصدر السابق ، ج 8 ، ص :68.

(2) ذكر الضعيف أن الشيخ محمد بن أبي القاسم السجلماسي رجع إلى تدريس مختصر خليل عقب وفاة السلطان " محمد بن عبد الله " . الضعيف : المصدر السابق ، ص: 241.

(3) الحجوي الثعالبي : المرجع السابق ، ج4 ، ص : 117.

(4) عبد الرحمن دويب : المرجع السابق ، ص : 170.

(5) إن اهمية كتاب البخاري جعلت السلطان العلوي إسماعيل يؤسس جيشاً سماهُ جيش عبيد البخاري و الذي بلغ تعدادهُ مائة و خمسين ألف . الزياني : البستان الظريف ،ص : 171.

(6) الكتاني ، يوسف : المرجع السابق ، ص: 352.

ليلة القدر[1] و يتسابق الأهالي من سائر المدن و المناطق إلى حضور ختمهِ في المساجد و الجوامع والزوايا .

خُصص لِإقراء صحيح البخاري كراسي علمية في المساجد و الجوامع و ذكر الكتاني في مؤلفهِ " مدرسة الإمام البخاري في المغرب الأقصى " عدد من الشيوخ و العلماء و الفقهاء الذين إرتبط كراسهم العلمية بتدريس صحيح البخاري و ذكر من هؤلاء العلماء الشيخ أحمد القسنطيني الشهير بإبن الكماد حافظ مدينة فاس و شيخها فقد كانت مجالسهُ عامرة بالقرويين و كان الشيخ إبن الكماد يُدرسه في فصل الشتاءو يتفرغ لمراجعته في فصل الصيف و من تلاميذتهِ الشيخ محمد بن عبد السلام البناني [2].

4-كتاب الموطأ لإبن مالك :

يُعد كتاب الموطأ من اهم الكتب في علم الحديث ذلك أن صاحبهُ جمع الحديث مبوباً و مدوناً و أشار صاحب الفكر السامي أهميته قائلا : " ... فصنف مالك الموطأو توخى فيه القوي من حديث أهل الحجاز و مزجهُ بأقوال الصحابة و فتاوى التابعين و بوبهُ على أبواب فأحسنترتيبهُ و تبويبهُفكان كتاباً حديثياً فقهياً جمع بين الأصل و الفرع ..." [3]. فكان الكتاب أول تدوبين في الحديث و الفقه و اقبل عليه الخلق و إنتفعوا منه لتحريهِ في النقل و إنتقاء أحاديثهِ و رجاله و فصاحة عباراته و حسن أسلوبه . و ظل اهالي المنطقة – الجزائر و المغرب – مقبلين على الموطأ على إعتبارهِ الكتاب الأساسي لمذهبهم المالكي.

و مما تقدم يمكن الخروج بمجموعة نتائج و إستناجات :

- إن قنوات التواصل الثقافي بين البلدين ظلت مستمرة رغم الإظطراب السياسي الذي شهده القطرين
- لم تقف السلطة الزمنية في البلدين أمام تنقلات الأفراد و الجماعات في الإتجاهين .
- إن مظاهر التواصل الثقافي بين البلدين لا صبغة سياسية لها و إنما أتت عفوية طبيعية فرضتها عناصر القواسم المشتركة الثقافية بين البلدين .
- حرية تنقل علماء البلدين في مختلف المراكز الثقافية فالرحالة عبد الرحمن الجامعي المغربي تنقل بين مختلف حواضر الجزائر (وهران ، مدينة الجزائر ، عنابة) . و تنقل الرحلة عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري بين تيطوان و فاس و مكناس .

---

(1) الزهار : المصدر السابق ، ص: 182. ابن حمادوش : المصدر السابق ، ص ،ص : 123 ، 125 .

(2) الكتاني : المرجع السابق ، ص : 463 .

(3) الحجوي الثعالبي : المرجع السابق ، ج 2 ، ص: 114.

الخـــــاتمة

يمكن لنا من خلال هذه الدراسة و الموسومة بـ " التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب في عهد الدايات ومن عاصرهم من سلاطين المغرب الأقصى (1081-1246هـ/ 1671-1830م) " أن نخلص إلى مايلي:

1- إن الواقع الجغرافي الذي جعل أحد البلدين إمتدادا للآخر سهل من عملية التواصل الثقافي بينهما.

2- إن صور التواصل الثقافي بين البلدين لا صبغة رسمية لها لم تحددها المعاهدات و الإتفاقيات بين حكام البلدين ، وإنما جاءت طبيعية وعفوية فرضتها عناصر الترابط المشتركة بين البلدين.

3- لم يكن موقف حكام البلدين – الأتراك العثمانيون في الجزائر وسلاطين المغرب الأقصى – معارضاً لحركة تنقل الأفراد والجماعات ، فتضمنت كتب التراجم والأعلام على عدد وافر من الجزائريين الذين ارتادوا المغرب الأقصى و عدد من المغاربة الذي وفدوا إلى الجزائر.

4- إن حركة هجرة الأفراد و الجماعات بين البلدين تمت بصورة سلسة ذلك أن حكام البلدين لم يضعوا قيوداً في وجهها و ربما لم يستطع هؤلاء الحكام من وقفها .

5- تُعد الجزائر من أول البلدان الذي ورد ذكره في كتب الرحلات المغربية المدونة والتي تعبر عن أحد مظاهر جسور التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب الأقصى حيث كان الحج عاملاً كبيراً في تقوية التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب وشكلت الرحلات الحجازية على إختلاف مساراتها فرصة القاء بين علماء البلدين ما سهل من عملية الإحتكاك والتباحث في مختلف المسائل العلمية . وحتى على مستوى التواصل الإجتماعي كثيراً ما تحدثت المصادر المغربية على مدى ترحاب والحفاوة التي لقيها ركب الحجيج المغربي.

6- لم تكن المراكز الثقافية في البلدين على نفس الأهمية والمكانة العلمية و الثقافية ، فإحتلت مدينة الجزائر الريادة ومرد ذلك أن العثمانيون جعلوها مقراً لحكمهم في حين حافظت قسنطينة على رصيدها الثقافي والعلمي وتأثرت مدينة تلمسان بالفتن و الإضرابات التي عرفتها .أما المغرب الأقصى فحاضرة المغرب التاريخية مدينة فاس ظلت الوجهة الثقافية الأساسية في البلاد.

7- إن معظم علماء وفقهاء الجزائر الذين استقروا في حواضر المغرب الأقصى أظهروا كفاءة علمية عالية وتمكنوا من فرض وجودهم هناك وتعدى الأمر إلى تحصلهم على وظائف كل على حسب إختصاصه ما ساهموا في دفع الحركة الثقافية في المغرب الأقصى .

8- قطع العديد من علماء الجزائر في حواضر المغرب الأقصى أشواطا كبيرة نحو الإندماج داخل المجتمع المغربي ومنهم من تقلد خطط شرعية و من منهم من تلقى حظوة و مكانة لدى سلاطين المغرب الأقصى . وفي المقابل و رغم تردد العديد من علماء المغرب الأقصى على مدينة الجزائر لم تشر المصادر و المراجع عن إستقرار هؤلاء في حواضر الجزائر بل فضل الكثير منهم العودة إلى المغرب الأقصى أو الإستقرار في تونس أو في مختلف حواضر الثقافية المنتشرة في العالم الإسـلامي و لا سيما في البقاع المقدسة .

9- لم يختلف الوضع الثقافي في البلدين –الجزائر و المغرب – فظلت العلوم المُدرسة لا تكاد تخرج عن العلوم الشرعية و التي غلب عليها طابع التقليد للسابقين في حفظ المتون وشرح الحواشي وعليه تميز بالجمود الفكري حيث كان خاليا من الإبداع.

10- إن شهادة أكثر من عالم مغربي مشهور حول الوضع الثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني بداية من التمغروثي في القرن 10هـ/16م مرورا بعبد الرحمن الجامعي الفاسي وابن زاكور الفاسي المغربي ف القرن 11هـ/17م وصولا إلى ابن شقرون الفاسي تدل على ان المشهد الثقافي في الجزائر لا يختلف كثيرا على ما هو عليه في المغرب الاقصى ، و هذا على الرغم أن حكتم الجزائر الأتراك العثمانيون اتموا بالجوانب السياسية و الإدارية و العسكرية والإقتصادية و ظل الجانب الثقافي في الجزائر مقتصرا على جهود بعض الأفراد و الجماعات و الأسر العلمية في الوقت الذي أولى فيه سلاطين المغرب الأقصى بالحياة الثقافية و العلمية في البلاد .

11- إن أهمية الإجازات العلمية جعلت علماء البلدين يتسابقون إلى نيلها فأصبحت مقصداً ومطلباً من جميع الطبقات ،فقطه العلماء و الفقهاء و اهل العلم مساقات كبيرةو عبروا أوطانا وأمصارافي سبيل الحصول على إجازة عالم في كتاب أو حديث مع إلحاح في طلبها . ثم أن كثرة الإجازات العلمية المتبادلة بين علماء البلدين تدل على أن مواد التدريس و طرق الإقراء و القراءة كانت متقاربة . و لم تخرج معظم الإجازات العلمية المتبادلة عن نطاق العلوم النقلية لا سيما علوم الشرع و اللغة .

12- إن إضطراب العلاقات السياسية بين حكام البلدين في مرحلة من المراحل و التي كان سببها النزاع حول الحدود لم تمنع من تواصل ثقافي بين علماء البلدين ، فقد أوفد حكام البلدين سفارات لعقد الصلح و كان من ضمن الوفود علماء و فقهاء ،فإلى جانب مهام هؤلاء السيسية والدبلوماسية إلتقى علماء المشكلين للوفود مه نظرائم و تباحثوا معهم في مسائل علمية مختلفة

13- إن الكتب التي كانت متداولة في الجزائر و المغرب كانت معروفة في البلاد الإسلامية الأخرى ، و كان النصيب الأوفر متعلقة الدراسات الفقهية ذات الصبغة المالكية ويرجع ذلك إلى تعلق قلوب المنطقة الجزائر و المغرب بالمذب المالكي على الرغم أن المذهب الحنفي كان كان موجودا في الجزائر خلال العهد العثماني ، أما المغرب الأقصى فقد انفتح في مرحلة من مراحله التاريخية خاصة في عهد السلطان العلوي محمد بن عبد الله أمام المذاهب الأخلاى خاصة المذهب الحنبلي .

14- إن المراسلات العلمية بين علماء البلدين كانت بمثابة حجر الأساس في تقوية التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب .

15- إن سقوط ثغر الجزائر عام 1246هـ/1830م كشف مدى صلابة الصلات الثقافية والإجتماعية بين المجتمعين الجزائري و المغربي ذلك أن أهالي المنطقة خاصة الجهة الغربية من الجزائر و منطقة المغرب الشرقي كانوا في حالة إستنفار ضد الغزو الفرنسي للجزائر .

16- إن التواصل الثقافي عملية تفاعلية معقدة تقوى و تضعف على حسب الظروف والمستجدات . و يبقى مجال البحث مفتوحا لدراسة التواصل الثقافي بين أهالي البلدين في ظل الإستعمار الفرنسي . و نرجوا أن يوفقنا الله في خوض غمار دراستها في المستقبل إن شاء الله وبهذه النتائج و الإستنتاجات المتواضعة نكون قد حاولنا الإجابة قدر المستطاع عن الإشكاليات المطروحة في مقدمة الدراسة راجين أن يوفقنا الله .

المـــــلاحق

الزياني أبو القاسم : الروضة السليمانية في ذكر ملوك الدولة الإسماعيلية و من تقدمها من الدول الإسلامية . مخطوط بمكتبة الملك عبد العزيز ، الدار البيضاء ، ص: 245. وفيه إشارة إلى فرار صاحب الطريقة التيجانية إلى فاس

مخطوط " شرح أرجوزة الحلفاوي في فتح مدينة وهران " لصاحبه عبد الرحمن الجامعي الفاسي . مخطوط بمكتبة الملك عبد العزيز العامة ، الدار البيضاء ، ورقة 78 ،79 . و فيه إشارة إلى التواصل الثقافي بين الرحالة المغربي عبد الرحمن الجامعي و الشيخ مصطفى الرماصي الجزائري في رباط وهران.

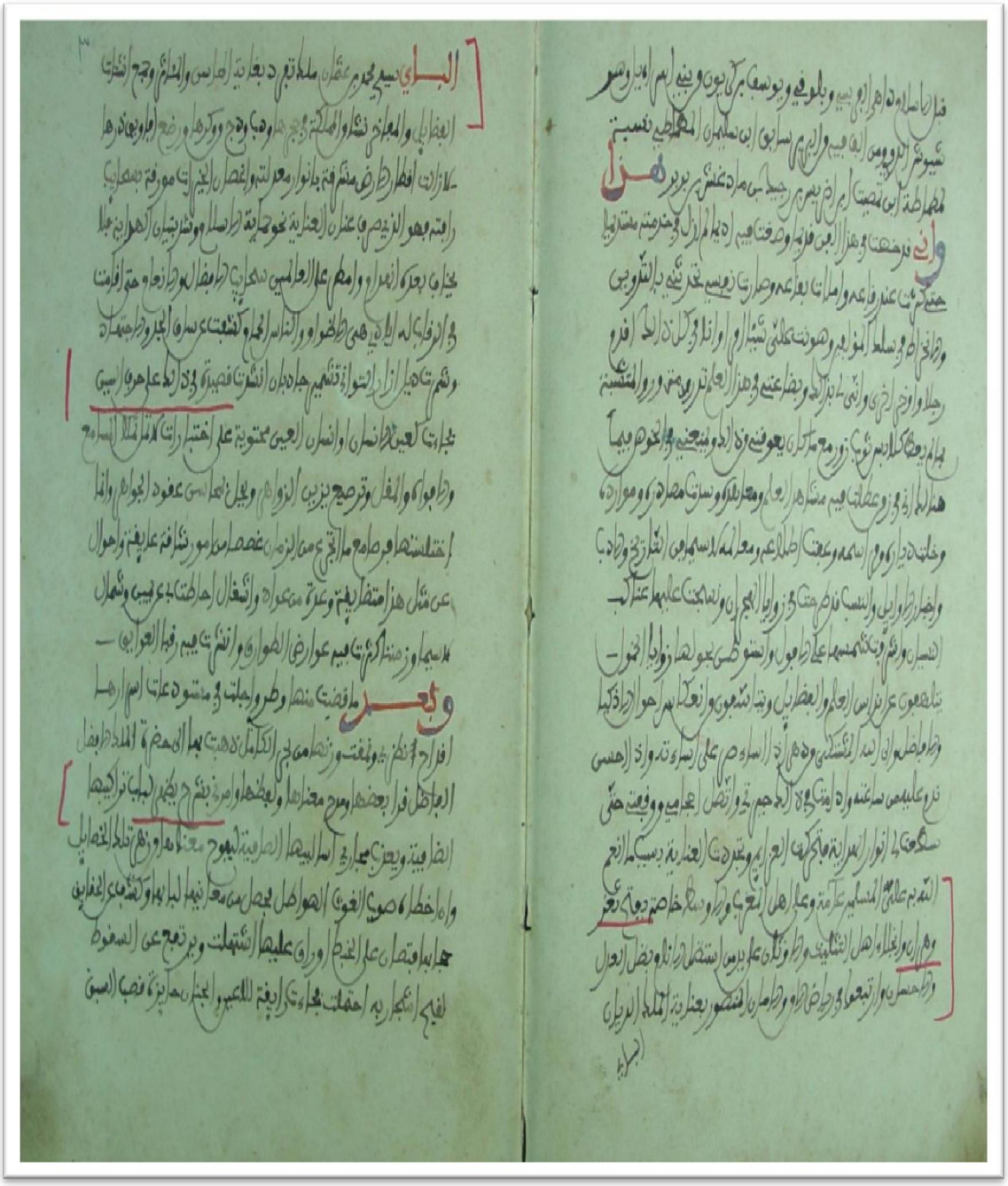

مخطوط " عجائب الأسفار و لطائف الأخبار " لصاحبه أبي راس الناصري المعسكري ، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 1632 ،. و فيه إشارة تتعلق بالوضع الثقافي في الجزائر في عصره .

مخطوط " رحلة أبي عبد الله محمد بن الطيب الفاسي المشرقي " مكتبة الرحلات المغربية .فيه إشارة إلى تواصل ثقافي بين صاحب الرحلة و علماء و أعيان بسكرة و أهل الخنقة .

قائمة المصادر و المراجع

- **القران الكريم رواية بورش عن الإمام نافع**
- **أولا المصادر و المراجع بالغة العربية**

أ- المصادر غير المطبوعة

- **المخطوطات :**

1) الجامعي عبد الرحمن: شرح أرجوزة الحلفاوي في فتح مدينة وهران، مخطوط بمكتبة عبد العزيز العامة، ورقة 100، 101.

2) الزياني أبو القاسم : الروضة السليمانية في ذكر مولك الدولة الإسماعلية ومن تقدمها من الدول الإسلامية . مخطوطة ، مؤسسة الملك عبد العزيز ، الدار البيضاء.

3) المشرقي أبو الطيب : رحلة أبي عبد الله محمد بن الطيب الفاسي . مخطوطة بخط مشرقي ،مكتبة الرحلات المغربية.

4) الناصرى أبوراس محمد : عجائب الاسفار ولطائف الأخبار، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم، 1632.

5) محمد المكي الناصري الدرعي: الدرر المرصعة في أخبار أعيان درعة، مخطوطة مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز.

ب – المصادر المطبوعة

1) الأفراني(أو الوفراني)محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله المراكشي :نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي .تص:هوداس،آنجي ، 1888.

2) الأفراني(أو الوفراني)محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله المراكشي : صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تح: عبد المجيد الخيالي، مركز التراث الثقافية المغربي، الدار البيضاء،ط1 ، 2004.

3) البوني أحمد بن قاسم: الدرر المصونة في علماء وصلحاء بونة. تح: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، 2007 .

4) الترغي عبد الله المرابط: فهارس علماء المغرب منذ النشأة الى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة. منشورات كلية الآداب، بتيطوان، ط1 ، 1999.

5) التمغروثي علي بن محمد: النفحة المسكية في السفارة التركية. تح: عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 2002 .

6) الثعالبي الحجوي: الفكر السامي في الفكر الإسلامي. 4 أجزاء، إدارة المعارف ، الرباط ، 1340هـ .

7) الحسن مسلم: صحيح مسلم. تخ :ابو قتيبة محمد الفريابي، دار طيبة، الرياض، ط2، 2006.

8) الحضييكي السوسي ابي عبد الله ت1189هـ: الرحلة الحجازية. تح: عبد العالي لمدبر، مركز الدراسات والابحاث وإحياء التراث، المغرب،ط1 ، 2011 .

9) ابن حمادوش الجزائري: رحلة ابن حمادوش" لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال". تح ابو القاسم سعد الله، م، و، ن، ت، الجزائر،1983 .

10) الحفناوي أبو القاسم محمد :تعريف الخلف برجال السلف . تقديم : محمد رؤوف القاسمي .جزآن ،دار موفم للنشر ،الجزائر ، 1991.

11) حمدان بن عثمان خوجة: المرأة. تح و تع : محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP ،الجزائر، 2005.

12) الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية .دائرة المعارف العثمانية ،1375هـ.

13) ابن خلدون عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون" ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" دار الفكر، بيروت، 8أجراء .

14) خوجة حسين :ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان . تح : الطاهر المعموري،الدار العربية للكتاب ،ليبيا،تونس، 1975.

15) الدرعي الناصري : الرحلة الناصرية (1709–1710 م). تح : عبد الحفيظ الملوكي ، جزأن ،دار السويدي للنشر والتوزيع ، الإمارات العربية المتحدة ، ط1 ،2011.

16) الراشدي أحمد عبد الرحمن الشقراني: القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 ،1991.

17) الروداني محمد:صلة الخلف بموصول السلف.تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي ،بيروت،ط2، 1988.

18) ابن زاكور محمد: نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتيطوان. تح: مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، المعرفة لدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة ، 2011 .

19) الزهار أحمد الشريف: مذكرات أحمد الشريف الزهار (1754 – 1830م). تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2 ، 1980.

20) الزياني أبو القاسم : البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف (من النشأة إلى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله). تح : رشيد الزاوية ،مركز الدراسات والبحوث العلوية ، الرباط ،ط1،1992.

21) الزياني أبوالقاسم : الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا و بحرا .تح : عبد الله الفيلالي ، دار المعرفة للنشر والتوزيع ،1991.

22) الزياني محمد بن يوسف: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران. تح: المهدي بوعبدلي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر التوزيع ، 1978 .

23) ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد السجلماسي: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس. تح: على عمر، 5 أجزاء ، مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة،ط1، 2008.

24) السبكي : جمع الجوامع في أصول الفقه . تح: عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط2 ،2002 .

25) ابن سحنون أحمد بن محمد الراشدي (ت 1211هـ/1796م): الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني. تح: المهدي بوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973 .

26) ابن عسكر محمد الحسني الشفشاوني : دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر. تح: محمد حجي ، منشورات مركز التراث الثقافي، الدار البيضاء، ط4، 2015.

27) ابن عمار أحمد :أشعار جزائرية . تح :أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1988.

28) العنتري محمد الصالح :فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاءهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة .نقو تع :يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر و التوزيع ،2009.

29) العياشي عبد الله بن محمد: الرحلة العياشية (1661م–1663م). جزأن، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر، الامارات العربية، ط1. 2006

30) الغساني محمد الأندلسي: رحلة الوزير في افتكاك الأسير، نق: نوري الجراح، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2002.

31) ابن الفكون عبد الكريم : منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية .تح : أبو القاسم سعد الله ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،ط1، 1987.

32) القادرى محمد بن الطيب: نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني . تح: محمد حجي وأحمد التوفيق ، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996.

33) ابن قنفد القسنطيني ت 810 أبي العباس أحمد بن حسين: شرف الطالب أسس المطالب. تح: عبد العزيز صغير دخان، مكتبة الرشد، ط1، 2003 .

34) كربخال مرمول :إفريقيا .تح :محمد حجي و آخرون ،المعرفة للنشر و التوزيع ،الرباط ،1989.

35) مجهول: مذكرات خير الدين بربروس. تر: محمد الدراج، الأصالة، الجزائر،ط1، 2010.

36) المحبي محمد أمين (ت 1111هـ /1699م) : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر . دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، 4ج .

37) ابن مريم التلمساني البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. تح: محمد بن أبي شنب،المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م .

38) المزاري الآغا بن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر. تح: يحيى بوعزيز، ثلاثة أجزاء ،دار الغرب الإسلامي، بيروت.

39) المشرفي محمد بن محمد بن مصطفى: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية. تح: إدريس بوهلبلة، جزأن ، منشورات وزارة الأوقاف، المغرب، ط1، 2005.

40) ابن المفتي حسين بن رجب شاوش: تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها. تر: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، ط 1، 2009.

41) مقديش محمود :نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الاخبار. تح: علي الزواوي و محمد محفوظ ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت، ط1،1988.

42) المقري أحمد: روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيتُه من أعلام الحضرتين مراكش وفاس .نق :عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط، ط2، 1983.

43) المقري أحمد : رحلة المقري إلى المغرب والمشرق.تح : محمد بن معمر، مكتبة الرشاد ، سيدي بلعباس، ط1، 2004.

44) المقري أحمد: أزهار الرياض بأخبار القاضي عياض.تح : السقا مصطفى و الأبياري إبراهيم وشلبي عبد الحفيظ . 5 أجزاء ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، 1939

45) ابن منظورمحمد بن مكرم: لسان العرب. 15 مجلد ، دار الجبل، بيروت، 1988.

46) ابن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية. تح: محمد عبد الكريم ، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007 .

47) الناصري أبوراس محمد: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي و نعمته. تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، م، وك، الجزائر، 1982 .

48) الناصري أبو راس محمد :عجائب الأسفار و لطائف الأخبار .تح :بوركبة محمد ،جزأن،منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ،الجزائر ،2011.

49) الناصري أحمد بن خالد: كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى .تح : أحمد الناصري ومحمد الناصري و جعفر الناصري ،دار الكتاب ،المغرب.

50) شالر وليام: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكي في الجزائر (1816– 1824م)، تع: إسماعيل العربي، ش و ت، ن، الجزائر،1982 .

51) الشقراني أحمد عبد الرحمن الراشدي :القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط. تح : ناصر الدين سعيدوني ، دار البصائر للنشر و التوزيع ، ط2 ،2013.

52) سبنسر وليم: الجزائر في عهد رياس البحر، تر: عبد القادر زبادية، دار القصبة ،الجزائر2006.

53) الورثلاني محمد بن الحسين :نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار .تع : ابن مهنا القسنطيني .3 أجزاء ، دار المعرفة الدولية ،الجزائر ،طبعة خاصة ، 2011.

54) الوزان الحسن :وصف إفريقيا .تح :محمد الأخضر و محمد حجي ،جزان ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،ط2 ،1938.

55) الوزاني أبي عيسى المهدي: النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى المعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب، تح، عمر بن عياد، 3 أجزاء ، وزارة الأوقاف، المغرب، 1997.

56) الوهراني مسلم بن عبد القادر: تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب و المسافر. تح: رابح بونار، ش و، ن. ت، الجزائر، 1974.

ج-المراجع العربية :

1) الأخضر محمد: الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية. دار الرشاد ، الدار البيضاء ،ط1 ، 1977.

2) أندريه ريمون: المدن العربية الكبير في العصر العثماني، تر، لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، 1991،ط1 .

3) بروفنسال ليفي: نخب تأريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى، دار الأمان، المغرب، 2013 .

4) بروفنسال ليفي:مؤرخو الشرفاء.تع:عبد القادر الخلادي ،مطبوعات دار المغرب للتأليف و الترجمة والنشر ،الرباط ،1977.

5) بلحميسي مولاى : مدينة الجزائر من خلال النصوص العربية والأجنبية، منشورات وزارة التعليم العالي و وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ع8 ، 1982.

6) بلحميسي مولاي : الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ط2 ، 1981.

7) بن حموش مصطفي: المدينة والسلطة في الاسلام (نموذج الجزائر في العهد العثماني)، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث دوائر البشائر، الامارات، دمشق،ط1 ، 1999.

8) بن حموش مصطفي: مساجد مدينة الجزائر وزواياها من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية،دار الامة، الجزائر، ط1 ،.2007

9) بن خروف عمار: العلاقات الاقتصادية والإجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب، دار الأمل ،الجزائر، 2008، ج2.

10) بن خروف عمار:العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ،دار الأمل ،الجزائر 2016،ط2،ج1.

11) بن منصور عبد الوهاب: قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط1968، ج1 .

12) بوركبة السعيد: دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية، جزآن ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ، ج1

13) بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج2 ، 1999.

14) بوعزيز يحي:أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت،ط1 ،1995.

15) التازي عبد الهادي: جامع القرويين" المسجد و الجامعة لمدينة فاس"، دار نشر المعرفة، الرباط، 2000.

16) جون (ب) وولف : الجزائر و أوربا 1500–1830 م . تر : أبو القاسم سعد الله ،م،و،ك ،الجزائر ،1986

17) الجيدي عمر: محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الاسلامي، عكاظ، المغرب .

18) حجي محمد: الحركة الفكرية في المغرب في عهد السعديين،مطبعة فضالة ،المغرب،ج1978،2.

19) حجي محمد: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط،1964

20) حسن على حسن : الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس، مكتبة الخانجي،مصر،1980،ط1 .

21) حوتية محمد صالح :توات و الأزوارد خلال القرنين الثاني عشر و الثالث عشر (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية . جزأن ،دار الكتاب العربي ،الجزائر ،2007.

22) داود محمد:تاريخ تطوان ، معهد مولاي الحسن ، تطوان ،1959.

23) الزبيري محمد العربي :مقاومة الجزائر للتكتل الأوربي قبل الإحتلال ، مجلة الأصالة ، الجزائر ، 1972 ، ع12 .

24) ابن زيدان: الدرر الفاخرة لمأثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1973.

25) سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1985،ط2، ج1 .

26) سعد الله أبو القاسم: رائد التجديد الإسلامي محمد العنابي .دار الغرب الأسلامي ،بيروت ، ط2 ، 1990.

27) سعد الله أبو القاسم: شيح الإسلام عبد الكريم الفكون .دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ،1986.

28) سعيدوني ناصر الدين والمهدي بوعبدلي: الجزائر في العهد العثماني، م، و، ك،الجزائر،1984.

29) سعيدوني ناصر الدين: من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ط1 .

30) سعيدوني ناصر الدين: ورقات جزائرية (دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الثقافي العهد العثماني)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999 .

31) غلاب عبد الكريم: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي. 3 أجزاء ، دار الغرب الاسلامي،بيروت، ط1، 2005، ج3.

32) الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير: فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم، والمشيخات والمسلسلات، إع: إحسان عباس، ثلاثة أجزاء ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ط2

33) الكتاني يوسف :مدرسة الإمام البخاري في المغرب . جزأن ،دار لسن العرب ،بيروت ،دون تاريخ .

34) الكتاني: زهر الاس في بيوتات أهل فاس، تح: علي بن منصر الكتاني، منشورات الدار البيضاء، المغرب، ج1، ط1، 2002 .

35) كنون عبد الله: النبوغ المغربي في الأدب العربي . 3 أجزاء، 1962.

36) كنون عبد الله: ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، نق: محمد بن عزوز، دار ابن حزم بيروت، ط1، 2010، جزءان، ج1 .

37) لقبال موسى: المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، م، و، ك،الجزائر، 1984 .

38) لوسيت فالونسي: المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر1790-1830،تر: الياس مرقص،دار الحقيقة، بيروت، ط1، 1980.

39) محفوظ محمد: تراجم المؤلفين التونسيين، 5 أجزاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1982

40) محمد التونجي: المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2 .

41) محمد المنصور:المغرب قبل الاستعمار (المجتمع والدولة والدين 1792-1822م).تر:محمد حبيدة، المركز الثقافي العربي ،المغرب،ط1، 2006.

42) مخلوف محمد :شجرة النور الزكية في طبقات المالكية . تخ وتع :عبد المجيد خيالي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط1، 2002.

43) المدني أحمد توفيق :حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا (1492-1792م).الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1976،ط2.

44) المدني أحمد توفيق: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792م)، ش، و. ن. ت، دار البعث، الجزائر.

45) المدني أحمد توفيق: محمد عثمان باشا داي الجزائر(1766-1791)، الجزائر، 1986.

46) المنوني محمد: من حديث الركب المغربي ، مطبعة المخزن ،تطوان ،1953.

47) النعنعي عبد المجيد: أوربا في بعض الأزمنة الحديثة و المعاصرة ، دار النهضة الأوربية ،بيروت ،1983 .

48) نور الدين عبدالقادر: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي . مطبعة البعث ، قسنطينة، 1965.

49) نويهض عادل : معجم أعلام الجزائر ،مؤسسة نويهض للثقافية ، بيروت ، ط1، 1981.

50) وولف (ب) جون : الجزائر و أوربا 1500-1830م .تر: أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986.

د-الدوريات و الرسائل الجامعية :

1) أرزقي شويتام: العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية، مجلة الدراسات التاريخية ،جامعة الجزائر 2 .2011 . ع: 13 .

2) أرزقي شويتام: المؤثرات اللغوية الاجنبية في اللغة العربية في الجزائر العثمانية ، مجلة العمل الجواري في ترقية اللغة العربية. المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر 2010.

3) بقادر عبد القادر : جهود علماء توات في الدرس اللغوي خلال القرنين الثاني عشر و الثالث عشر الهجريين (دراسة في الأنماط و الأشكال). مجلة الأثر ،جامعة قاصدي مرباح ورقلة ،ع19 ،2014.

4) التميمي عبد الجليل: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1816- 1871م) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، مركز الدراسات و البحوث عن الولايات العثمانية ، زغوان ،1985.

5) حنيفي هلايلي: الحضور الأندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء المحاكم الشرعية ،المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي،تونس،ع25 ،2002.

6) حنيفي هلايلي: القرصنة و شروط افتداء الأسرى الإسبان في الجزائر خلال العهد العثماني ،مجلة الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة سيدي بلعباس ،ع4 ،2003.

7) حنيفي هلايلي: الوفاق الأوربي وانعكاساته على إيالة الجزائر مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس ،ع13-14 ، 2016.

8) زبيري محمد العربي :مقاومة الجزائر للتكتل الأوربي قبل الاحتلال ، مجلة الأصالة ، الجزائر ،ع12 ، 1972.

9) زكية زهرة : الأميرال سدناي سميث و التحالف الأوربي – المسيحي ضد الجزائر عام 1814م ،،مجلة الدراسات التاريخية ،جامعة الجزائر 2 ،2013 ، ع: 15-16 .

10) عيد مسعود: حركة التعليم في الجزائر العهد العثماني، مجلة سيرتا، قسنطينة، مطبعة البعث،ع3 ،1980.

11) لزغم فوزية: البيوتات والأسر العلمية في الجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والحضارية الاسلامية، وهران، 2014.

12) هلال عمار: العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر والعشرون الميلادين، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر،ع9 ، 1995.

هـ- الموسوعات العلمية :

1) مجموعة باحثين: معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا،1989.

2) دائرة المعارف الاسلامية، مج 10، ع09 .

- ثانيا المصادر و المراجع بالغة الفرنسية :

1) Albert Devoulx : Les Edifices religieux de l'ancien d'Alger, in R.A .N68.
2) Belhamissi , Moulay : Marine et Marins d' Alger (1518- 1830). 3 Tome ,Bibiothéque nationale d' Algérie , Alger,1996.
3) E.Marchand: L'Europe et La Conquête d' Alger d'après des documents originaux ، tires du archives de L'état ، paris ، perrin ، 1913.
4) Emerit Marcel : Le voyage de la Condamné à Alger en 1731, in R A, 1954, n98.

5) Emest Mercier: Constantine au 17 eue siècle (élévation de famille el fagoun).
6) Fray diego de Haedo : Topographie et Histoire générale d'Alger. tra : Monnereau et A.Berbrugger, 1870.
7) Henri, de Grammont : Histoire d'Alger sous la domination Truque (1515-1830).Ernest Leroux , paris, 1887.
8) Henri Garrot :Histoire générale de L'Algérie ، Alger ، 1910.
9) Jacques Berque : I' intérieur du Maghreb 16-19 siècle, éd: Gallimard, paris, 1978.
10) Kaddache(m): l'Algérie durant la période Ottoman, opu, Alger 1991.
11) Kuran, Erkumemt: La lettre du dernier Dey d'Alger au Grand- vizir de L'Empire ottaman, in R A, Alger, 1952.
12) Laugier de Tassy : Histoire de Royaume d'Alger, 1725.
13) Léon Galibert : Histoire de L'Algérie Ancienne et Moderne, paris, 1843
14) Rayomond(A) : Signes Urbains et études de la population des grandes villes arabes a l'epoque ottoman .Bulletin d 'études orientales, N27, 1974.
15) Robin: Les Oulad ben Zamoun, in R.A, 1875, T: 19.
16) Shaw : Voyage Dans la Régence d'Alger, ed Marlin, Paris, 1830.
17) Tauxier: Expédition des trucs contre le flissas, In: RA, 1875, T: 19.
18) Venture de Paradais: Alger au 18siècle, éd, Eagnan, Alger ,1898.

فهرس الموضوعات

المـــــــوضوع:..... الصفحة
المـقـــــــــدمة .....أ
مدخل : لمحة حول التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى 9

الفصل الأول :

الأوضاع السياسية و الثقافية في الجزائر في عهد الدايات ، و من عاصرهم من سلاطين المغرب الأقصى(1081هـ-1245هـ / 1671م-1830م).

المبحث الأول : الأوضاع السياسية و الثقافية في الجزائر في عهد الدايات

أ-الوضع السيلسي في الجزائر

- عهد الإرتباط القوي بين حكام الجزائر و الدولة العثمانية (1519 – 1659 م).....21
- عهد الإرتباط الضعيف بين حكام الجزائر و الدولة العثمانية (1659 – 1830م).....22
- عهد بعض الدايات بالقوة.....24
  1- الداي شعبان.....24
  2- الداي محمد عثمان باشا.....25
  3- الداي حسين باشا.....30
- إستفحال قوة الإنكشارية في حكومة الجزائر.....31
- المؤتمرات الأوروبية حول المسألة الجزائرية.....32
- أهم الحملات البحرية على الجزائر(1815-1830م).....35
- انهيار حكم الداي حسين و سقوط الإيالة 1245هـ/ 1830م.....39

ب- الوضع الثقافي في الجزائر

- الوظائف الدينية والعلمية بالجزائر خلال العهد العثماني.....43
- مساهمة المهاجرون الاندلسيون في الحياة الثقافية بالجزائر.....46
- وصف للحياة الثقافية إستنادا من المصادر المحلية والاجنبية.....49

المبحث الثاني :

أ- الوضع السياسي في المغرب الأقصى.

الحياة السياسية و الثقافية في المغرب الأقصى (1081هـ-1246هـ /1671-1830م).

- ظهور الحركة العلوية و قيام الدولة بسجلماسة.....53
- القضاء على الامارات المحلية وتحقيق الوحدة الداخلية للمغرب الأقصى في عهد المولى الرشيد(1075-1082هـ/1664-1672م).....54

- فرض السلطة المركزية في عهد السلطان اسماعيل العلوي.....55
- مرحلة الفوضى و الفتن(أزمة الثلاثين سنة(1139هـ-1171م/1727م-1757هـ).....58
- المغرب الأقصى في عهد المولي محمد بن عبدالله (1171هـ-1204هـ/1757م-1790م)...59
- مرحلة ما بعد عهد السلطان محمد الثالث إلى غاية الغزو الفرنسي للجزائر-1245هـ/1790-1830.....60
- بيعة أهل تلمسان للمولى سليمان.....61
- إسترجاع مدينة وجدة من أتراك الجزائر 1211هـ/1796م.....62
- بيعة السلطان سليمان لابن اخيه المولى عبد الرحمن بن هشام.....62
- بيعة أهل تلمسان للمولي عبد الرحمن بن هشام عقب نجاح الغزو الفرنسي على الجزائر1248هـ-1830م.....63

ب-الوضع الثقافي في المغرب الأقصى

- الوضع الثقافي في المغرب الأقصى زمن الفتن و المحن.....65
- مساهمة علماء أهل الدلاء في بعث الحركة الثقافية في الحواضر الكبرى.....67
- الوضع الثقافي للمغرب في عهدي الرشيد واسماعيل العلوي.....69
- الوضع الثقافي في عهد الفوضى والفتن(ازمة الثلاثين سنة).....71
- الوضع الثقافي في المغرب الأقصى في عهد سليمان و عبد الرحمن بن هشام 73

الفصل الثاني :عوامل التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب الأقصى

(1081- 1245 هـ /1671-1830 م).

المبحث الأول : القواسم المشتركة بين البلدين

- البنية الجغرافية و الطبيعية (العامل الجغرافي الطبيعي).....76
- البنية البشرية في البلدين.....79
- البنية المذهبية في البلدين (العامل الديني و المذهبي).....81
- دور الحكام في عملية التواصل الثقافي (العامل السياسي)..... 83
- البنية الثقافية ومؤسساتها (العامل الثقافي).....85

المبحث الثاني :

أهم مراكز التواصل الثقافي بين البلدين

1-في الجزائر

- مدينة الجزائر.....96
- قسنطينة 99
- تلمسان.....102
- معسكر.....104
- مازونة.....106
- عنابة 107
- بلاد زواوة 108
- بسكرة و زاوية خنقة سيدي ناجي 110
- إقليم توات 112

2-في المغرب الأقصى :

- فاس.....114
- مراكش.....117
- تيطوان.....119
- مكناس.....121
- سجلماسة 123
- البقاع المقدسة (خارج نطاق البلدين).....124

الفصل الثالث :

مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر و المغرب الأقصى

المبحث الأول :

الإجازات العلمية بين علماء البلدين .

- مفهوم الإجازة 128

- شروط قبول الإجازة.....129
1- **إجازة علماء الجزائر لعلماء المغرب الأقصى**
- إجازة الشيخ عمر المنجلاتي لإبن زاكور الفاسي المغربي 129
- إجازة الشيخ محمد بن سعيد قدورة لإبن زاكور الفاسي.....132
- إجازة الشيخ محمد بن المؤمن الجزائري للشيخ ابن زاكور الفاسي المغربي.....132
- إجازة علماء الجزائر للشيخ عبد الرحمن الجامعي الفاسي المغربي.....133
- إجازة الشيخ أحمد البوني للشيخ عبد الرحمن الجامعي الفاسي.....135
2- **إجازة علماء المغرب الأقصى لبعض علماء الجزائر**
- إجازة بعض علماء المغرب للشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري.....136
- إجازة الشيخ محمد بن علي الورزازي المغربي للشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري.....137
- إجازة الشيخ عبد السلام البناني الفاسي المغربي للشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري.....139
- إجازة الشيخ أحمد بن مبارك السجلماسي المغربي للشيخ عبد الرزاق بن حما دوش الجزائري..140
- إجازة الشيخ أحمد السرائري التيطواني للشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري 141
- إجازة ابن شقرون المغربي للشيخ الطاهر بن عبد القار قاضي وهران.....141
- إجازة ابن شقرون المغربي للشيخ خليفة بن حسن القماري الجزائري.....143
- إجازة الشيخ ابن مبارك السجلماسي للشيخ عمر بن عبدالقادر التنيلاني.....143

المبحث الثاني :

الرحلات المختلفة بين علماء بين البلدين .

- **الرحلات العلمية**
- هجرة بعض علماء المغاربة الى الجزائر.....145
1- رحلة ابن زاكور الفاسي الى الجزائر 1098هـ /1683م.....146
2- رحلة عبد الرحمن الجامعي الفاسي إلى الجزائر 1119هـ/1783م.....146
3- زيارة أحمد الورزازي الأولى إلى مدينة الجزائر عام 1159هـ/ 1746م.....147
4- زيارة أحمد الورزازي مرة آخرى إلى مدينة الجزائر 1162هـ/1748م.....148
- **هجرة بعض علماء الجزائر الى المغرب الأقصى خلال القرنين 11 -12هـ/17 - 18م**.....144
1- رحلة الشيخ محمد بن عبد الكريم الجزائري إلى المغرب.....149
2- رحلة الشيخ محمد بن أحمد القسنطيني المعروف بإبن الكماد إلى المغرب عام 1083هـ.150
3- رحلة الشيخ محمد بن عبد الله أيوب التلمساني الملقب بالمنور إلى المغرب.....151

4- رحلة الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري إلى المغرب عامي 1145هـ و1156هـ...151
5- رحلة أبوراس الناصري الجزائري إلى المغرب (ت 1239هـ).....152
6- رحلة الشيخ أبو عبد الله محمد بن الموقف الجلالي الجزائري إلى مدينة فاس.....153
7- رحلة الشيخ عبد القادر المشرفي إلى المغرب الأقصى.....154

- **الرحلة الحجازية** 154
- **1**- رحلة أبو الطيب المشرقي 1110هـ/1698م.....155
- 2 - الرحلة الناصرية 1122هـ/1710.....156
- 3- رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي 1175هـ/1761م 157
- الرحلة السفارة 158
- 1- سفارة مغربية بقيادة الشيخ محمد الطيب الفاسي إلى الجزائر 1103/1691م.....158
- 2- سفارة الشيخ أحمد الغزالي المغربي إلى الجزائر عام 1182هـ.....159
- **الهجرات القسرية**
- 3- هجرة الزياني إلى حواضر الجزائر.....160
- 1- هجرة صاحب الطريقة التيجانية إلى المغرب الأقصى.....161

المبحث الثالث :

المراسلات العلمية و أهم الكتب المنتشرة في البلدين .

- المناقشات والمناظرات الفكرية 163
- المراسلات بين علماء البلدين 164
- المصنفات العلمية المتبادلة بين البلدين 165
- الخاتمة 172
- الملاحق.....176
- فهرس المصادر و المراجع.....181
- فهرس الموضوعات.....193